

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 48 APRIL – MAY 1981.

العدد (٤٨) ـ جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ السنة الرابعة ـ نيسان (أبريل) / أيار (مايو) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



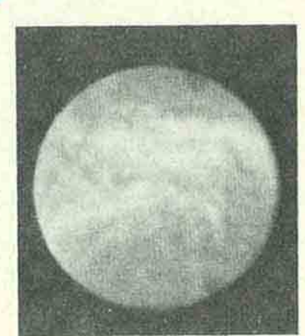
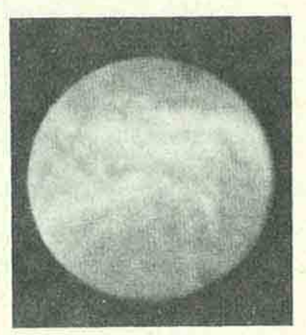
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٤٨) جمادى الآخرة ١٤٠١هـ السنة الرابعة نيسان (ابريل) / أيار (مايو) ١٩٨١م

في هذا العدد

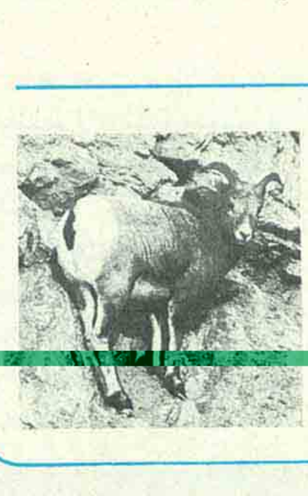
★ تقدم وسائل البحث العلمي الحديث يكشف لنا في كل يوم ظواهر جديدة في الحياة، ولكنها أيضاً تزيد من حيرتنا إزاء ظواهر غريبة في الأفق (كواكب وأجرام ونجوم وأشباه نجوم). طالع ص (١١٠) ★

★ فقد غيرت الثورة الكيميائية المعاصرة حياتنا تغييراً جذرياً، فبقدر ما زودتنا من وسائل [illegible] سببت لنا أخطاراً وأمراضاً مهنية هددت صحة البيئة وعرضتنا إلى معاناة آثار الاشعاعات المختلفة. ص (١٢٣) ★




★ كما أن للبحار حيواناته، وللجو طيوره وجوارحه، وللغابات حيواناتها.. الوديعة والمفترسة، فإن للجبال أيضاً حيواناتها التي تعيش على قممها وسفوحها. ص (٩١) ★





د . عبد العزيز إسماعيل داغستاني

★ من مواليد الطائف ١٣٦٦هـ ـ المملكة العربية السعودية .

★ دكتوراه في اقتصاديات الطاقة والتنمية ـ جامعة هيوستن بالولايات المتحدة عام ١٣٩٩هـ .

★ أستاذ مساعد بقسم الاقتصاد بكلية العلوم الإدارية بجامعة الرياض .

★ رئيس اللجنة الثقافية العامة بجامعة الرياض .

★ سوف يصدر له قريباً كتاب (قضايا سياسية واقتصادية) بالتعاون مع سمو الأمير تركي بن محمد بن سعود الكبير .



د . محمد عزت الصباغ

★ من مواليد طرابلس ـ لبنان عام ١٩٤٤م .

★ دكتوراه في الأدب العربي .

★ عمل موظفاً في وزارة البريد والبرق والهاتف ، مركز رياض الصلح في بيروت .

★ كما عمل في حقل التدريس .

★ يعمل حالياً أستاذاً متعاقداً في الجامعة اللبنانية ـ فرع طرابلس .

★ عضو عامل في المجلس الثقافي بطرابلس .

★ عضو في رابطة الجامعيين في طرابلس .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة ، كما له عدد من الأعمال المخطوطة .



جمال سليم

★ من مواليد ١٩٣١م ، دمياط ـ مصر .

★ ليسانس آداب ، قسم التاريخ ـ جامعة القاهرة .

★ دبلوم في الصحافة .

★ عمل صحفياً ، وسكرتيراً لتحرير مجلة « التحرير » المصرية ، ومحققاً صحفياً بجريدة « الجمهورية » ، ونائباً لرئيس التحرير للشؤون العربية .

★ عضو نقابة الصحفيين المصريين ، واتحاد الكتّاب .

★ عضو الاتحاد العام للصحفيين العرب ، واتحاد الصحفيين الدولي ، وعضو كتّاب الدراما في مصر .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة .

★ يعمل حالياً كاتباً صحفياً بمؤسسة روز اليوسف المصرية .



عبد المنعم عواد يوسف

★ من مواليد القليوبية ـ مصر .

★ ليسانس آداب ودبلوم في التربية .

★ حصل على جوائز من مهرجان الشعر بدمشق سنة ٦٠/٦١م ، وجائزة مهرجان رابطة الأدب الحديث سنة ١٩٦٢م .

★ أصدر الدواوين التالية : « عناق الشمس » ، « أغنيات طائر غريب » ، « للحب أغني » .

★ يعمل حالياً مدرساً بدولة الإمارات العربية المتحدة .



نادر السباعي

★ من مواليد حلب عام ١٩٤١م ـ سورية .

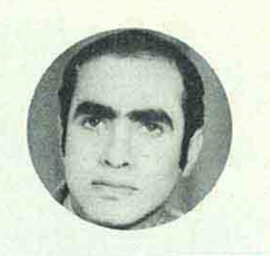
★ شهادة البكالوريا .

★ إجازة في الفلسفة وعلم الاجتماع ، ودبلوم في العلوم الطوبوغرافية .

★ عمل في حقل التعليم ، وبعض الأعمال الهندسية ذات المشاريع .

★ يعمل حالياً مدرساً للفلسفة في ثانويات حلب ، إلى جانب نشاطه الخاص في الحقل التجاري .

★ له مجموعتان قصصيتان ، وكتابان عبارة عن دراسات ، كما نشرت له بعض المقالات والدراسات في الصحف السورية والعربية .



د . موفق أبو طوق

★ من مواليد حماة ـ سورية عام ١٩٥٠م .

★ دكتور في طب الأسنان وجراحتها .

★ نشر عدداً من القصص القصيرة والمقالات الأدبية والعلمية في الصحف والمجلات العربية .

★ له كتابان مطبوعان ، وله أيضاً مجموعتان قصصيتان تحت الطبع .

الحركة الثقافية

** من خلال هذا « الملف » سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في « الوطن العربي » فحسب ، بل في « العالم » الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي :

- انعقاد مؤتمر عالمي حول السيرة النبوية في المغرب .
- اكتشاف أثري هام في اليمن .
- « القدس » مجلة شهرية صدرت حديثاً .
- المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم في دمشق .
- إقامة معرض للفن المعاصر في بغداد .
- وفاة الباحث اللغوي عبد الستار فراج .

في العالم :

- إقامة أول معرض للقصص والأساطير في فرنسا .
- إنشاء معهد لفن العمارة الإسلامية في أميريكا .
- توزيع جوائز أدبية في « شتوتجارت » في ألمانيا .
- وضع أول معجم للغة الإيرانية في ألمانيا .
- معرض لأشهر الكتب التاريخية والثقافية في المكسيك .






★ د. غازي القصيبي ★ ★ أبو عبدالرحمن ابن عقيل ★ ★ د. حمد المرزوقي ★

السعودية :

تهامة ومطبوعاتها

أصدرت **إدارة النشر بمؤسسة تهامة** كتاباً مشتملاً على ما أصدرته من كتب وما ستصدره وذلك ضمن السلسلات التي تصدرها كسلسلة (**الكتاب العربي السعودي**) وسلسلة (**الكتاب الجامعي**) وسلسلة (**كتاب الأطفال**).

فهرس لمكتبة أبها

ستصدر **المكتبة العامة بأبها** فهرساً خاصاً بها يحتوي على المواد التي تحويها المكتبة، وبهذا يعتبر هذا العمل أول عمل لمكتبة عامة في المملكة.

تشجيع الكتَّاب الشبان

يعكف **النادي الأدبي بالرياض** على دراسة الوسائل الكفيلة بتشجيع **الكتَّاب الشبان** وذلك بهدف المشاركة في العمل الأدبي من خلال نشاطات النادي الثقافية المستقبلية، ولهذا فإن إدارة النادي قد اتصلت بالعديد من الكتَّاب تدعوهم للعمل معها بغية تحقيق ذلك الهدف.

كتب جديدة

- «**الجناحان الخالدان**»، للشاعر **محمد هاشم رشيد**، صدر عن **نادي المدينة المنورة الأدبي**.
- «**عاشق البدوية**»، **قصة طويلة** تأليف **نشار محيي زكريا** «بنت المدينة»، صدرت عن **مطبعة الحضارة العربية**.
- «**أزاهير من ربوع عسير**»، مختارات من **مسابقة النادي الأدبي بأبها** وضعت في كتاب صدر عن النادي.
- «**أوراق وطنية**»، مجموعة مقالات **للدكتور حمد المرزوقي**، صدرت عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**صورة المرأة في غزل أبي الطيب المتنبي**»، تأليف **الدكتور حسن محمد الشماع**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**الإدارة ـ المفاهيم، الأسس، المهام**»، تأليف **الدكتور إبراهيم عبد الله المنيف**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**هكذا علمني وردز وورث**»، تأليف **أبو عبد الرحمن ابن عقيل**، سيصدر عن **مؤسسة تهامة بجدة**.
- «**الفارس الطيار**»، بقلم **يعقوب محمد إسحاق**، صدر في **سلسلة بطولات وأبطال** التي تصدر عن **أبي حسن لآداب وفنون الأطفال بجدة**.
- «**بائع التبغ**»، تأليف **حمزة بوقري**، صدر في **سلسلة الكتاب العربي السعودي** التي تصدر عن **تهامة**.
- «**بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ**»، تأليف **عائشة بنت عبد الله باقاسي**، صدر عن **نادي مكة المكرمة الثقافي**.
- «**بين جيلين**»، قصة تأليف **محمد زارع عقيل**، أصدره **نادي جازان الأدبي**.
- «**إمام الصابرين**»... أحمد بن حنبل»، تأليف **عبد العزيز المسفر**، صدر ضمن سلسلة «**المكتبة الصغيرة**».
- «**أفكار بلا زمن**»، مجموعة مقالات تأليف **عبد الله الحصين**، صدرت عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».
- «**النفط العربي وصناعة تكريره**»، تأليف **الدكتور أحمد رمضان شقلية**، صدر ضمن سلسلة «**الكتاب الجامعي**» التي تصدرها **مؤسسة تهامة**.
- «**بقايا وجود**»، **مجموعة شعرية** للشاعر **محمد الشقحاء**، صدرت في **الطائف**، وطبعت بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.
- «**عالم الكتب والقراءة والمكتبات**»، بقلم **الدكتور محمد أمين النبهاوي**، صدر عن **دار الشروق بجدة**.
- «**أفكار صحفية**»، مجموعة مقالات تأليف **خليل إبراهيم الفزيع**، صدرت عن **نادي الرياض الأدبي**.
- «**الاجتهاد في الشريعة الإسلامية**»، تأليف **محمد بن**

كلمة

(٦) الحركة الأدبية في المملكة

وحين نأتي إلى دور النوادي الرياضية في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية نجد أن في المملكة عدداً طيباً من نوادي الدرجة الممتازة التي توفرت لها الإمكانات الجيدة للنهوض بمستوى الرياضة، وخاصة كرة القدم حيث استطاعت هذه النوادي أن تدخل في مباريات على المستوى العربي والدولي.. وهذا الجانب ليس موضوعاً لقضيتنا.

إننا نود أن نشير إلى أن هذه النوادي يوجد من خلال تنظيماتها مجموعة من اللجان، كل لجنة مسؤولة عن جانب من نشاطات النادي، من هذه اللجان «اللجنة الثقافية». ومن هذه اللجنة برز دور النوادي الرياضية في تنشيط الحركة الأدبية من خلال الندوات والمحاضرات التي كانت تدعو لها الكتّاب والأدباء السعوديين، وقد قامت بدور ملموس قبل الخمس سنوات الماضية.

ونظراً لأن جمهور الرياضة مشجعين ولاعبين ومهتمين، يمثل مساحة واسعة، فقد كانت القاعات، أو الساحات التي تقام فيها الندوات والمحاضرات الثقافية تغص بالجمهور، على عكس ما يحدث حين تقام محاضرة، أو ندوة بعيداً عن مناخ النوادي الرياضية.

لقد كانت المحاضرات والندوات ناجحة كل النجاح جماهيرياً بالنظر إلى الذين يحضرونها، لكن النوادي الرياضية كان دورها يتوقف عند حدود إقامة المحاضرة والندوة. وكان المطلوب أن تكون المحصلة لهذا النشاط، طبع هذه المحاضرات في إصدارات تثري المكتبة السعودية، أو تضيف لها شيئاً.

وكان المناخ الاجتماعي العام مناسباً لإنجاح هذه النشاطات، إذ كان الأدباء والكتّاب يحرصون على الحضور، وإثارة المناقشات، كما أن أغلب المشرفين على اللجان الثقافية في النوادي الرياضية ممن تربطهم صلات وثيقة بالكتابة والصحافة والأدب والأدباء، وهذه العوامل ساعدت في نجاح تلك المحاضرات والندوات.

ومما يؤسف له أن النوادي الرياضية في فترة الخمس سنوات التي نناقش من خلالها قضية الحركة الأدبية في المملكة قد توقفت عن هذا النشاط، وبالتالي خسرت الحركة الأدبية مظهراً من مظاهر نشاطاتها، وقامت كليات الجامعات في المملكة بهذا الدور وهذا شيء جيد إلا أننا كما أسلفنا أن جمهور الرياضة أوسع من أي جمهور، وحضوره للندوات والمحاضرات كان يعطي لها صورة حيوية.. وهذا لا يعني أن المحاضرات والندوات التي تلقى من خلال الجامعات لم تكن ناجحة.. فقد حققت ما لم تحققه النوادي الرياضية، وذلك لأنها اتسمت بالشمول، فهي لم تكتف بدعوة أدباء المملكة وكتّابها، بل كانت تدعو أدباء وشعراء وكتّاب من مختلف الأقطار العربية بحيث أتاحت الفرصة للأدباء والشعراء السعوديين التعرف على بعض أدباء وشعراء الوطن العربي، وهو أمر دعونا إليه ـ وما زلنا ـ لما لهذه اللقاءات من مزايا ليس أقلها تعارف الأدباء ببعضهم.

وإذا كانت الجامعات قد استمرت في النهوض بهذا الدور، بل أضافت إليه بإقامة ندوات متخصصة تقام في أوقات محددة تدعو إليها عدد كبير من الباحثين والمختصين ليس من الوطن العربي فحسب بل من دول العالم مثل ندوة تاريخ الجزيرة العربية.

إذا كانت الجامعات قد قامت بهذا الدور، فإن النوادي الرياضية ما زالت مطالبة بتنشيط الجانب الثقافي والأدبي ضمن نشاطاتها الرياضية، ذلك لأن الحركة الأدبية في المملكة ما زالت في مرحلة النمو، وهي في حاجة إلى دعم كل المؤسسات العلمية منها (كالجامعات والمعاهد) والأدبية (كالنوادي الأدبية)، والرياضية (كالنوادي الرياضية)، ولا نشك في أن كل نشاط أدبي أو ثقافي لأي مؤسسة من المؤسسات له أثره مستقبلاً في الإثراء، والتطوير، والتقدم لصالح الحركة الأدبية.

علوي طه الصافي

إبراهيم الهويش، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون**.

● **«دراسة في فكر زكي مبارك»**، تأليف **الدكتور محمود الشهابي**، صدر **باللغة الإنجليزية عن تهامة للنشر**.

● **«أزمة الشعر العربي المعاصر»**، **محاضرة** ألقاها **الدكتور غازي القصيبي**، وضعت في كتاب صغير صدر عن **اللجنة الثقافية العامة بجامعة الرياض**.

المغرب:

القدس

مجلة شهرية باللغة الفرنسية تحمل اسم أولى القبلتين **«القدس»** تتألف هيئة تحريرها من الأستاذ **عبد العزيز بنعبد الله** رئيساً للتحرير، **وعطا الله محمد عطا الله** مؤسساً مسؤولاً، **ومحمد عنان** مديراً للعلاقات الخارجية. وقد صدر العدد الأول منها في شهر

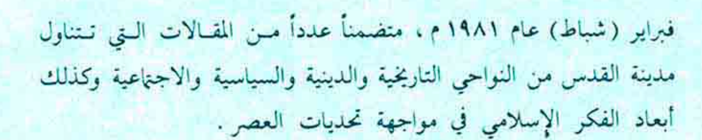
الوطن العربي



★ عبد العزيز بنعبد الله ★

★ ابن سينا ★





فبراير (شباط) عام ١٩٨١ م، متضمناً عدداً من المقالات التي تتناول مدينة القدس من النواحي التاريخية والدينية والسياسية والاجتماعية وكذلك أبعاد الفكر الإسلامي في مواجهة تحديات العصر.

مؤتمر عالمي حول السيرة النبوية

في نطاق **الاحتفال بحلول القرن الهجري الجديد** (الخامس عشر الهجري) ستنظم **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية مؤتمراً عالمياً حول السيرة والسنّة النبوية** يعقد في (الرباط) **في عام ١٩٨٢م**، يدعى إليه نخبة من **رجال الفكر الإسلامي**.

كتب جديدة

● «**الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ١٩١٢ ـ ١٩٥٦ م**»، تأليف **الدكتور إبراهيم السولامي**، صدر عن **دار الثقافة المغربية**.

● «**مختصر الدر الثمين والمورد المعين** على منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»، تأليف **عبد الواحد بن عاشر**، صدر عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب**.



سورية

المؤتمر السنوي الخامس للعلوم

عقد **في سورية** وتحت إشراف **معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم** المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم وذلك خلال الفترة من ٩ ـ ١٠ جمادى الأولى عام ١٤٠١هـ، الموافق ١٥ ـ ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م، ورافق عقد هذا المؤتمر حلقة دولية عن **آخر التطورات في تاريخ الرياضيات العربية**، دعي لهذا المؤتمر عدد من الباحثين والمهتمين بتاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا من مختلف بلاد العالم الإسلامي والعربي، وقد احتفل خلاله أيضاً بحلول القرن الخامس عشر الهجري وذكرى مرور ألف عام على ميلاد **ابن سينا**.



● **الكتاب: علي مشارف** ...

دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر

● **المؤلف: إبراهيم بن علي الوزير**

● **الناشر: دار الشروق ببيروت**

في تاريخ كل أمة «منعطف» تتاح فيه للأمة عملية تغيير مجرى حياتها بتأمل السنن وفهمها ودراستها والإفادة منها للخروج من وهنها وضعفها وضياعها بين الأمم ... إلى مكان عزيز منيع... فإن لم تفد الأمة من هذا المنعطف التاريخي فإن قوارع الآيات وعجائب النكبات تنزل بها متدفقة عليها من كل جانب، آخذة عليها كل سبيل حتى تنقرض وتزول، أو يستقيم ما بنفسها فيصلح أمرها.

وليس (بعض السوء) هو السبيل إلى الانهيار، وإن كان «جرثومة» تعمل في الكيان الحضاري، بقدر ما تمثله من السوء!!

وليس بعض الكمال في الأخذ بالسنن الكونية والبشرية هو السبيل إلى العلوّ، فالأقل سوءاً في الجملة هو الذي يسود... في الحساب الإجمالي لدرجات «السوء»!!

والميزان كونيّ دقيق، ومن هنا نفهم قول الله تعالى ﴿ **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾.

وقانون «بقاء الأمم» وعلو مكانتها في الأرض هو قانون: «**الصلاحية العامة**» الذي تتفوق به أية أمة على غيرها في درجة الفعالية الإجمالية.

وهكذا تدور الحضارات حسب قانون الصلاحية العامة.. بل وهكذا يتداول الناس الأيام ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾.

وفي رأي المؤلف الفاضل ـ ورأينا كذلك ـ أن العلو الحق والحضارة الكاملة المنشودة لا يمكن أن يكونا على هذه الأرض إلا بالإسلام.. **والإسلام وحده**، وذلك لسبب علمي واضح، وهو

كتب جديدة

● « **أسطورة الآلة** ـ التكنولوجيا والتطور الإنساني » ، تأليف **لويس ممفور** ، ترجمة **إحسان حصني** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي بسورية** .

● « **دروب القراءة** » ، تأليف **رالف ستبجر** ، ترجمة **بشير النحاس** ، صدر عن **دار الكرمل بدمشق** .

● « **الساعات المائية العربية** » ، بقلم **دونالد هيل** ، صدر عن **معهد التراث العلمي العربي بدمشق** .

● « **دليل مؤرخي العلوم العربية الإسلامية** » ، تأليف **الدكتور سامي خلف** ، صدر **باللغتين العربية والإنجليزية** عن **معهد التراث العلمي العربي** .

● « **فهرس المخطوطات المودعة في خزانة** معهد التراث العلمي العربي » ، أصدره **معهد التراث بدمشق** .

● « **موسوعة حلب المقارنة** » ، ستصدر عن **جامعة حلب** .

كما صدرت الكتب التالية عن **وزارة الثقافة السورية** :

★ « **الرومانسية في الأدب الأوروبي** » ، ج ١ ، تأليف **فان تييغم** ، ترجمة **صباح الجهيم** .

★ « **صرخة الثأر ومسرحيات أخرى** » ، تأليف **رضا صافي** .

★ « **هذا النهر المجنون** » ، **مجموعة قصص** ، تأليف **وليد إخلاصي** .

لبنان :

كتب جديدة

● « **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي** » ، تأليف **الدكتور محمد المنجي الصيادي** ، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية** .

● « **دور الأدب في الوعي القومي العربي** » ، **مجموعة بحوث** وضعت في كتاب صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت** .

● « **الكتاب العربي في لبنان** » ، **كتاب سنوي لعام ١٩٨٠ م** ، صدر عن **النادي الثقافي العربي** .

● « **لحظة الأبدية** » ، تأليف **سمير الحاج شاهين** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **اشتعالات عبد الله وأيامه** » ، **مجموعة شعرية** للشاعر **محمد القيسي** ، صدرت عن **دار العودة** .

● « **الجذوة** » ، **رواية** تأليف **محمد عبد الملك** ، صدرت عن **دار الفارابي** .

إن الإسلام يقوم على أساس يجمع في وجوده وحركته وعمله بين ما تقتضيه السنن الكونية القدرية والسنن التشريعية الهادية . . . بين الكتاب المسطور ، وكتاب الكون المصنوع ، بين التنزيل ، والتكوين ، بين ما يقتضيه ناموس الكون اكتشافاً وتسخيراً ، وما تهدي إليه شريعة الله قولاً وعملاً وعلماً ومنهج حياة للفرد والمجتمع والدولة ، بين الالتزام الذي يشع من « داخل الفرد » و « الرقابة العامة للمجتمع » !!

إن على المسلمين ـ وهم يعبرون أبواب **القرن الخامس** [illegible] سنن الله في العلوّ والهبوط . . .

إنهم ـ عبر مسيرتهم في التاريخ ـ قد تعرضوا للمدّ والجزر . . فقد وقفوا في عهد **الوليد بن عبد الملك** على أبواب **فرنسا** ، وبقيادة **الأتراك** على أبواب **فيينا** ، وكانوا لقرون طويلة أساتذة الحضارة وعلماء الأرض . كما أنهم ـ في المقابل ـ تعرضوا لنكبات كبيرة أبرزها كارثة **الأندلس** ، **وصقلية** ، فضلاً عن ضمورهم في **الاتحاد السوفييتي والصين والفلبين** .

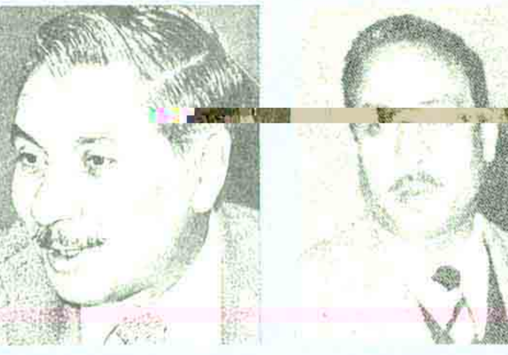
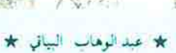
فما أسباب علوهم . . وما عوامل سقوطهم ؟

ومما يؤسف له أن المسلمين لم يقفوا طويلاً عند هذه القضية الجوهرية . . . قضية التعرف والوعي بسنن الله الكونية والبشرية .

وفي غمار جهل الأمة وغفلتها لم تستفق من خضوعها للاستعمار ، وهي تظن أنها مشرفة على الحرية والاستقلال ، إلا لتمضي أسيرةً للخطوط المرسومة لها من قبل أعدائها ، وهكذا مضت إلى فاجعة **فلسطين** ، وإلى شطر **مسلمي الهند** ، وإلى عشرات الكوارث الأخرى .

وثمة معالم بارزة يجب أن يقف عندها المسلم ، وهو يستهل مسيرة قرنه الخامس عشر للهجرة .

فإن التدبير والتنظيم واستخدام الوسائل الكفيلة بتحقيق الغايات ، إنما هي أمور يحسمها اجتهاد الإنسان ونوعية مداركه . وهي ميدان اجتهاده ، وفيها أجره وثوابه وطبيعة مصيره . . وعلى الباحثين والدارسين وخاصة أولئك المتفرغين لعلم الاجتماع ، والمثقفين ثقافة إسلامية صحيحة واعية لزمنها وعصرها ، عليهم أن يقدموا نتائج دراساتهم وأبحاثهم إلى العاملين الساعين لتحقيق الغايات المنشودة .


★ صلاح عبد الصبور ★ ★ عبد الوهاب البياتي ★

● «تاريخ علم النفس»، تأليف موريس روكلمن، ترجمة الدكتور علي زيعور، صدر في طبعته الرابعة عن دار الأندلس.

● «أقول لكم»، ديوان شعر للشاعر صلاح عبد الصبور، صدر عن دار الشروق ببيروت.

● «أبو نؤاس بين العبث والاغتراب والتمرد»، دراسة وضعت في كتاب إعداد أحلام الزعيم، صدر عن دار العودة ببيروت.

● «مدار الجدي»، رواية تأليف هنري ميللر، ترجمة أسامة منزلجي، صدرت عن دار الحداثة ببيروت.

● «نزهة الأنام في محاسن الشام»، تأليف أبو البقاء عبد الله البدري (من علماء القرن التاسع الهجري)، صدر عن دار الرائد العربي ببيروت.

● «هجرة الكفاءات العربية»، كتاب صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

● «المهرة»، مجموعة قصصية للقاص يحيى يخلف، صدرت عن دار الحقائق.

كما صدرت الكتب التالية عن دار الفكر العربي ضمن سلسلة «من وحي الإيمان»، ومن تأليف الدكتور محمد إبراهيم نصر:

★ «الإسلام أدب وسلوك».
★ «الإسلام علم وعمل».
★ «الإسلام دين ودنيا».
★ «الإسلام نور وهداية».

● «موسوعة مناهج علم الاجتماع»، إعداد وإشراف بودون ولازار سفيلد، ترجمة الدكتور فؤاد شاهين والدكتور خليل أحمد خليل، صدر الجزء الأول عن دار الحقيقة.

● «الهجرة من الغرفة المائية»، ديوان للشاعر عبد الله الصيخان، صدر عن دار العلوم ببيروت.

● «نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر»، تأليف روز غريب، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ومن المهم تسليط الأضواء على أمراضنا الاجتماعية والأخلاقية المختلفة، ووضع حد للغيبوبة الصوفية المغرقة في الشرود، وللكسل الفكري، وللنفاق وتبرير الأخطاء وعدم دراستها بصفة مستمرة، وللإقليمية المتفشية في جميع بلدان المسلمين بصورة بشعة طاغية!!

ولمزيد من الوضوح، في وقفتنا المتأنية، على مشارف القرن الخامس عشر، نجد أنه من الأهمية بمكان أن تنجز الأجيال المسلمة المهام الضرورية الآتية:

١ ـ إقامة **مراكز للبحث والترجمة والقيادة، وتوحيد المناهج الفكرية والمفاهيم السياسية** القائمة على العلم بحقائق ما يجري على الأرض، وتوجيه الحركات الإسلامية وإعدادها على المستوى العالمي.

٢ ـ تحرير الاقتصاد والمعاملات الإسلامية من غول **المعاملات الربوية**، وذلك بإقامة **بيوت أموال المسلمين** سواء التأمينية العامة لمجتمع التضامن والتكافل أو الاستثمارية والتجارية والإنمائية.

٣ ـ إقامة **مراكز الإعلام والدعوة والفكر**، ومراكز التخطيط الفكري والبحث العلمي.

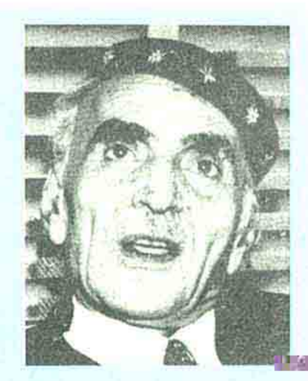
٤ ـ إقامة **المراكز العليا للاجتهاد والتجديد**.

٥ ـ إقامة المدارس الجديدة من محاضن الأطفال إلى الجامعات ومراكز البحوث على أسس من مناهج قائمة على العلم وحقائق **القرآن الكريم**.

٦ ـ إعداد القوة والأسباب لدخول الأمة إلى الدورة الحضارية الجديدة التي تتسلم بها **الأمة الإسلامية** زمام القيادة العالمية.

وبعد... فليس كتاب (على مشارف القرن الخامس عشر للأستاذ إبراهيم بن علي الوزير) إلا وقفة من الوقفات العميقة الواعية الرائدة.. التي يجب أن نقفها جميعاً أمام هذا المنعطف الجديد... منعطف القرن الخامس عشر للهجرة.. الذي نرجو أن يكون استئنافاً جديداً لحضارتنا الإسلامية المتجددة المعطاءة. وما ذلك على الله بعزيز.

د. عبد الحليم عويس
الرياض



★ محمد مهدي الجواهري ★

● «**صفوة التفاسير**»، تأليف الشيخ **محمد علي الصابوني**، صدر عن **دار القرآن الكريم ببيروت** (المجلد الأول).

صدرت الكتب التالية عن **دار الشورى ببيروت**:

★ «**الطائرات العاملة في الشرق الأوسط ٧٩ ـ ١٩٨٠**».

★ «**الصواريخ العاملة في الشرق الأوسط ٧٩ ـ ١٩٨٠**».

★ «**المدرعات العاملة في الشرق الأوسط ٧٩ ـ ١٩٨٠**».

★ «**بحوث في مؤخرة القوات المسلحة**»، اشترك في **تأليفها عدد من الباحثين في الشؤون العسكرية**، أشرف على إصدارها الكاتب العسكري **المقدم الهيثم الأيوبي**، وقد صدرت ضمن سلسلة «**كتب عسكرية**».

● «**دمشق والقدس في العشرينات**»، تأليف المرحوم **خليل مردم**، تحقيق وتعليق وإخراج **عدنان خليل مردم**، صدر عن **مؤسسة الرسالة**.

● «**دروب العمر**»، ديوان شعري للشاعر **يعقوب عبد العزيز الرشيد**، صدر عن **دار مكتبة الحياة**.

● «**القطار الأزرق الصغير**»، إعداد **إبراهيم المعلم**، قصة للأطفال، صدرت عن **دار الشروق**.

● «**ميت لا أطيق الكفن**»، مجموعة شعرية تأليف **خيري عبد ربه**، صدرت عن **دار المسيرة**.

● «**نشوء الطبقات في الجزائر**»، تأليف **مضيفة الأزرق**، ترجمة **سمير كرم**، صدر عن **مؤسسة الأبحاث العربية**.

● «**التحليل النفسي للولد**»، تأليف **فيكتور سميرنوف**، ترجمة **الدكتور فؤاد شاهين**، صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع**.

● «**عين سمكة**»، رواية تأليف **محمود عوض عبد العال**، صدرت عن **دار الكاتب**.

● «**حكايتان من زمن القهر**»، تأليف **محمود حنفي**، صدر عن **دار الكاتب**.

● «**محمد نبي الإنسانية**»، تأليف **أحمد حسين**، صدر عن **دار الشروق ببيروت**.

● «**أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات**»، تأليف **الدكتور عبد الأمير الأعسم**، صدر عن **دار الأندلس**.

● «**سبعون دقيقة حكايات**»، تأليف **الدكتور عبد السلام العجيلي**، صدر عن **دار الكاتب العربي ببيروت**.

● «**مدخل إلى الأدب المقارن ـ سعيد عقل وبول فاليري**»، تأليف **الدكتور مناف منصور**، صدر عن **مركز التوثيق والبحوث**.

● «**الأعمال الكاملة**: لتيسير سبول»، صدر عن **دار ابن رشد** في بيروت، ويتضمن الأعمال الكاملة للشاعر الأردني الراحل **تيسير سبول**.

العـــراق:

لوحات من الفن المعاصر

تحت هذا العنوان **أقيم في بغداد** معرض ضم لوحات لفنانين ذوي دور متميّز في الحركة التشكيلية العربية من تونس والمغرب والجزائر وليبيا واليمن الشمالي وقطر ولبنان والبحرين والعراق. وقد أقيم هذا المعرض في **قاعة الواسطي التابعة لدائرة الفنون التشكيلية**، وبلغ عدد الفنانين المشاركين بلوحاتهم المتعددة (٦٢) فناناً تشكيلياً.

كتب جديدة

● «**صوت السنوات الضوئية**»، تأليف **عبد الوهاب البياتي**، صدر في **بغداد**.

● «**ديوان الجواهري**»، ج٧ للشاعر **محمد مهدي الجواهري**، صدر عن **وزارة الإعلام العراقية**.

● «**الرماد في الشوارع** ... أين الرفاق؟»، **مجموعة شعرية** للشاعر **غزاي درع**، صدرت عن **دار الرشيد ببغداد**.

● «**الطب البيطري عند العرب** ـ خطوة نحو صحة البشر»، تأليف **طه حامد الشبيب**، صدر عن **وزارة الثقافة العراقية** ضمن سلسلة «**الموسوعة الصغيرة**».

اليـــمن:

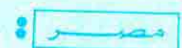
اكتشاف أثري جديد

عثر فريق من الأثريين في **جامعة صنعاء** على عدد من **النقوش الأثرية** وذلك في **ضاحية من ضواحي صنعاء** يدل بعضها على أنه **جزء من قصيدة أو مقاطع شعرية**، ونتيجة هذا يعكف الفريق بالتعاون مع بعض المؤرخين اليمنيين على فك هذه النقوش فربما تظهر حقيقة أن الحضارة اليمنية القديمة وصلت إلى مرحلة تأليف القصائد والمقطوعات الشعرية وهي مرحلة حضارية متقدمة إذا ثبت ذلك من خلال هذه النقوش.

الحركة الثقافية في الوطن العربي

كتب جديدة

● « **معتزلة اليمن** » ، تأليف **علي محمد زيد** ، صدر عن **مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء** .



كتب جديدة

● « **الدعوة الإسلامية** ــ تستقبل قرنها الخامس عشر » ، تأليف **الشيخ محمد الغزالي** ، صدر في **القاهرة** .

● « **قوانين الأسرة** ــ بين عجز النساء وضعف العلماء » ، تأليف **سالم البهنساوي** ، صدر في **القاهرة** .

● « **المدخل الاجتماعي في دراسة** التاريخ والتراث العربي » ، تأليف **حمود العودي** ، صدر عن **عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة** .

● « **أمين الخولي والبحث اللغوي** » ، تأليف **حامد محمد أمين شعبان** ، صدر عن **مكتبة الأنجلو المصرية** .

● « **فلسفة العلم** » ، تأليف **الدكتور صلاح قنصوه** ، صدر في **القاهرة** .

● «**مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث**» ، تأليف **مصطفى عبد الغني** ، صدر عن **دار الموقف العربي بالقاهرة** .

● « **مسافرة على الجراح** » ، **رواية** تأليف **جيلان حمزة** ، صدرت عن **مؤسسة الأخبار** ضمن **سلسلة** « **كتاب اليوم** » .

● « **الخوف من الحياة** » ، **مجموعة قصصية** تأليف **سعد حامد** صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

الكويت

وفاة عبد الستار فراج

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الباحث اللغوي** « **عبد الستار أحمد فراج** » عن خمس وستين سنة حافلة بالعطاء أثرى خلالها اللغة والتراث بعدد من البحوث والمناظرات المهمة ، وكان رحمه الله قد شغل ــ إضافة لنشاطه الأدبي ــ وظيفة مسؤول التراث العربي بوزارة الإعلام الكويتية **وساهم في مجلة** « **العربي** » ببحوث لغوية وتراثية وذلك تحت عنوان « **صفحة في اللغة** » . من أهم أعماله **مراجعة وتحقيق** بعض أجزاء الموسوعة اللغوية الشهيرة « **تاج العروس** » التي صدر منها حتى الآن عشرون جزءاً هي نصف أجزائها .


★ محمد الغزالي ★


★ د. محمد علي الخولي ★

كتب جديدة

● « **تكنولوجيا الطاقة البديلة** » ، تأليف **الدكتور سعود يوسف عياش** ، صدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت** ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » .

● « **صقر الرشود** ــ والمسرح في الكويت » ، تأليف **سليمان الخليفي** ، صدر عن **دار العروبة** .

● « **بنو إسرائيل في القرآن الكريم** » ، تأليف **الدكتور محمد عبد السلام محمد** ، صدر في **الكويت** .

● « **جغرافية الرفاه الاجتماعي** . . . منهج جديد في الجغرافيا البشرية » ، تأليف **د . م سميث** ، ترجمة **د . شاكر خصباك** ، صدر عن **جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية** .

● « **التفاحة** » ، للفنان التشكيلي **خليفة القطان** ، صدر في **الكويت** .

● « **دليل الطالب في التربية العملية** » ، تأليف **الدكتور محمد علي الخولي** ، صدر عن **مكتبة الفلاح** .

● « **الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر** » ، تأليف **الشيخ محمد البسام التميمي النجدي** ، تحقيق وطبع **سعود الحمران العجمي** ، صدر في **الكويت** .

الأردن

اكتشف علماء الآثار بجامعة بنسلفانيا الأميركية قبوراً أثرية قديمة بالقرب من **العاصمة الأردنية** يرجع تاريخها إلى **الفترة الأولى من العصر الحديدي** (١٢٠٠ ــ ١٠٥٠ ق . م) تحتوي هذه القبور على ٧٨ آنية زهور أثرية ومصابيح وأختام من الحديد وهياكل عظمية لحوالي (٢٢٥) شخصاً .

كتب جديدة

● «حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء»، تأليف **سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي**، تحقيق **الدكتور ياسين أحمد إبراهيم دراكة**، صدر الجزء الثالث عن **دار الأرقم بعمان**.

● «قراءات في الأدب الحديث في الأردن»، تأليف **حلمي الأسمر**، صدر عن **دار البيرق بعمان**.

البحرين:

معرض للفنون التشكيلية

أقيم في (المنامة) **معرض الفنون التشكيلية العاشر** شارك فيه أكثر من أربعين فناناً بما يزيد على مائة عمل فني من مختلف المدارس والاتجاهات الفنية وذلك تحت إشراف **إدارة الثقافة والفنون التابعة لوزارة الإعلام**.

قطر:

كتب جديدة

● «الأدب القطري الحديث»، دراسة أعدّها **محمد عبد الرحيم قانود**، صدرت في **قطر**.

تونس:

كتب جديدة

● «أدب العلماء»، تأليف **الدكتور محمد سوسي**، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس**.

● «الشرط في القرآن»، تأليف **عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي**، صدر عن **الدار العربية للكتاب**.

● «الفن التشكيلي العربي المعاصر»، كتاب سيصدر عن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**.

فلسطين:

كتب جديدة

● «معركة قلعة الشقيف»، إعداد **يحيى رباح**، صدر عن **منشورات فلسطين المحتلة**.

● «الرصاصة» و«المدفأة»، مجموعتان قصصيتان تأليف **محمود علي السعيد**، صدرتا عن **اللجنة الثقافية للنادي العربي الفلسطيني**.

نافذة

القراءة متعة

نقرأ، لأن في القراءة مُتعةً للنفس، وغِذاءً للعقل، ونقرأ، لأن في القراءة إزالةً لفوارق **الزمان والمكان**، فنعيش في أعمار الناس جميعاً، ونعيش معهم أينما كانوا، وأينما ذهبوا.

نقرأ، لأن في القراءة ينابيعَ صافيةً لخبرة كلِّ مجرب، تَفيض بالهدى والنصح والتوجيه.

نقرأ، لأن في القراءة سياحةَ العقل البَشَري بين رياض الحاضر وأطْلال الماضي.

نقرأ لأن القراءة تَنقلنا من عالم ضَيّق محدود الأفق، إلى عالم آخر أوسع أفقاً، وأبعد غاية.

القراءةُ لا تعترف بالفواصل الزمنية، ولا الحدود الجغرافية، ولا بالفوارق الاجتماعية، فيستطيع القارئ أن يعيشَ في كل العصور، وفي كل الممالك والأمصار والأقطار، فَسيرةُ العظماء وأعمالُهم التي استغرقت الأعوام الطوال في أماكن نائية يمكن عرضُها في كتاب في ساعات، وكأننا نعيش في هذه الأماكن البعيدة، بين أهلها ورُبوعها نَسمعُهم ونتحدث إليهم، وكأن هذه الأعوام الطوال قد أصبحت لحظاتٍ قصيرة من لحظات حياتنا.

ونقرأ **تاريخ الشعوب** بما فيه من سلم وحرب، وبداوة وحضارة، وكأننا لهذا السلم مشاركون، ولهذه الحرب معاصرون، وكأننا في هذه الحضارة أو البداوة مساهمون.

ونقرأ وصفَ **الرحلات** في مختلف أنحاءِ الأرض، فيحملنا الكاتب إلى قمم الجبال، ثم يَنزل بنا إلى أعمق الوديان. يسير بنا بين المُروج الخضراء، ثم ينتقل بنا فَجأة إلى الصحارى الجَدْباء، وكأننا رفاقُه لا يَفصلنا طولُ الزمان، ولا يَحُول بيننا وبينه بُعد المكان.

ونحن في حياتنا نحتاج إلى مَشورة المجربين وفكر المثقفين ونُصح الناصحين لِنَستلهمَ منها التوجيه وخبرةَ الأيام، ولكن ليس في مقْدور كل فرد أن يجد العالم المجرب والناصح الأمين، فالأمرُ يتوقف على محيطنا الذي نعيش فيه، ومَدَى الكفاءات والمواهب التي تلمعُ في آفاقه، فبقدر تعدد الثقافات والخبرات والشخصيات الموجودة فيه تكون المشورةُ سهلةً ميسورةً، أمَّا في البيئات التي غابت فيها عناصرُ الخبرة والمعرفة أو قلَّت، فلا نجدها إلا بين سطور الكتب.

د. عز الدين فراج

فرنسا :

معرض للقصص والأساطير القديمة

أقيم في (**باريس**) أول معرض من نوعه في العالم يعكس نماذج **للقصص والأساطير القديمة** وذلك تحت إشراف **الفنان الفرنسي** « **مارسيل برايس** » وكان معظم المعروضات مصنوعاً من أنواع معينة من الزجاج باستخدام بعض أنواع الحصى والزهور المجففة والريش الملون من تلك النماذج ما يعكس أحداث القصة الخرافية « آليس في بلاد العجائب » .

وفاة مورجان

عن (٨٢) عاماً توفي الكاتب والناقد الأدبي الفرنسي (**كلود مورجان**) ومن المعروف بأنه درس في كليتي آداب وعلوم جامعة باريس ، كما تخصص في إقامة محطات الإرسال التابعة للإذاعة ، وكتب أول رواية أدبية بعد رحلته إلى (يوغوسلافيا) في الفترة من ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ م . من أشهر رواياته « **العنف ، المدينة الحديثة ، دون كيشوت** » .

أمريكا :

معهد لفن العمارة الإسلامية

تم تأسيس (**معهد الآغاخان لفن العمارة الإسلامية**) ، تحت إدارة **جامعة هارفرد** بالاشتراك مع **معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا** وذلك **بهدف تشجيع البحث والتدريس في فن**



● آلات حاسبة ومترجمة ناطقة ●

دخلت إلى سوق (**الإلكترونات**) آلات حاسبة ناطقة . وسوف تقوم **شركة (شارب)** بتسويق هذه الآلات . ويمكن للآلة أن **تنطق بكافة مراحل العمليات الحسابية** التي تقوم بها . كما **يمكن إعادة العمليات للتأكد بواسطة الضغط على ملمس خاص بالإعادة** Play-Back . وهكذا يمكن أن نسمع بدلا من أن ننظر إلى الشاشة . ولا شك أن هذه الآلات **تهم الأشخاص المكفوفين وضعاف البصر** . يضاف إلى ذلك أنه يمكن السماع بواسطة سماعة أذنية صغيرة ، كما يمكن تعديل السرعة التي تعمل بها الآلة ويمكن تخفيض الصوت أو رفعه . وتبلغ مقاييس الآلة الحالية ٢٢٤ × ٩٢ × ٢٢٥ مم ووزنها ٢,٥ كغ .

وقد سبق أن أنتجت **شركة (تكساس إنسترمنت) آلات مترجمة ناطقة** أيضاً يمكن أن تترجم بين الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية وذلك في حدود ألف كلمة شائعة في هذه اللغات في المحادثات العادية . ويمكن استخدام هذه الآلة بواسطة رمز رقمي معين وهنا تنطق الآلة باللغة التي تترجم إليها وبصوت مسموع كما تظهر الكتابة على شاشتها مثل « إنني أحتاج طبيباً » . كما يمكن استخدامها كمعلم للغة الأجنبية .



العمارة والفن الإسلامي وكذلك **في علم المدن**، وقد قام (الأغاخان) بإعطاء منحة مالية للمعهد لدعم التدريس ووسائل البحث ومساعدة الطلاب المشتغلين في هذه المواضيع، بالإضافة إلى ذلك قام بتوفير الكتب الأساسية لتطوير مصادر المعلومات لمؤرخي الفن المعماري والمهندسين المعماريين ومخططي المدن الذين يشتغلون في الدول الإسلامية المختلفة.

ألمانيا:

جوائز الأدب الألماني

منحت مدينة (**شتوتجارت**) **الألمانية جائزتها الأدبية** لعام [illegible] م، **للشاعرة والكاتبة الألمانية «مارجريتا هانسل مان»**، كما منحت **جائزة أخرى مماثلة لكتب وحكايات «الأطفال»** «رأسيدلا برندر»، كما **حصل المترجم الألماني «أوتو باير»** على جائزة **الترجمة لأفضل الروائع العالمية إلى اللغة الألمانية**.

معجم للغة الإيرانية

من المعروف بأن **اللغة الإيرانية** أقل اللغات الحضارية شهرة في العالم ولا توجد لها معاجم، لذلك ستقوم **المؤسسة الألمانية للبحث العلمي** بالتعاون مع «**الدكتور فالترهين**» من **جامعة بتينجين** وهو **أحد المتخصصين في اللغة الإيرانية القديمة** بوضع معجم هذه اللغة التي استخدمت حسب أقوال العلماء في المنطقة الغنية بالنفط من إيران اليوم.

المكسيك:

معرض لأشهر الكتب

أقيم في **المكسيك معرض لأشهر الكتب التاريخية والثقافية** التي ظهرت قديماً والتي **نسخ بعضها على جلد الغزال وجذوع الأشجار**، تضمنت هذه العروض النواحي التاريخية والثقافية في المكسيك، إضافة للنواحي العسكرية القديمة.

دواء للقضاء على التدخين

اكتشف علماء **أوزبيكستان في الاتحاد السوفياتي** دواء جديداً يقضي على عادة التدخين في مدة لا تتجاوز مئة يوم اسمه (**سلفات الأناباسين**) وقد سبق استخدام هذا الدواء في معالجة بعض حالات ضيق التنفس.

وقد ذكر أن من يتعاطى الأناباسين يشعر بمذاق اللفافة (**السيجارة**) في فمه وكأنه يدخن فعلاً، كما أن جهاز دورانه الدموي يسترخي كما لو أن دمه يحتوي على كمية كبيرة من **النيكوتين**، أي أن هذا الدواء يولد كافة الآثار التي يحرضها التدخين بالجسم. يضاف إلى ذلك أن الدواء عديم الأضرار تماماً. وقد أفاد كثيرون ممن استخدموا هذا الدواء أنهم فقدوا فعلاً أي ميل أو رغبة في التدخين بعد مرور حوالي مئة يوم على بدء العلاج.

● سيارة سباق للأولاد ●

قامت **شركة (ماجا) الفرنسية** بإنتاج سيارة للأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين عشر إلى اثنتي عشرة سنة، أطلقت عليها اسم (**فيرانيا**)، وهي نسخة طبق الأصل من سيارة السباق المعروفة (**فيراري**). وهي **تعمل بالبنزين الممتاز**، وتسير بسرعة (٦٠) كم في الساعة وسطياً وهي تزن (١٠٠) كغ وفيها كل المميزات التي تتوفر في سيارة السباق مثل الإقلاع والإشعال الإلكتروني، وعلبة السرعة، والتراجع للخلف، والمكابح (الفرامل) القرصية، والدفع عن طريق العجلات الخلفية، ونقاط ارتكاز منفصلة للعجلات، وهيكل مصنوع من الفولاذ. **أما جسم السيارة فهو مصنوع من الألياف الزجاجية**. وبالطبع لا يسمح إطلاقاً لهذه السيارة بالسير على الطرقات العادية أو في الشوارع. والجدير بالذكر أن **سعرها** (٤٥,٠٠٠) فرنك فرنسي!



قسم الاقتصاديون عناصر الإنتاج في أي مجتمع (أو اقتصاد) إلى أربعة عناصر أساسية هي : الأرض ، العمل ، رأس المال ، والمنظم ، أو ما يمكن أن نطلق عليه بالبوتقة التي تنصهر فيها العناصر الثلاثة الأولى حتى تسير عجلة الإنتاج في الاقتصاد المعني ، ومما لا شك فيه أن هذه العناصر غير ثابتة بل هي تتغير مع الأيام وتتأثر بالتطور التقني (التكنولوجيا) ، فالأرض وإن كانت ثابتة في مساحتها في أي اقتصاد أو دولة ، فإن التقدم التكنولوجي يساعد على زيادة إنتاجها ومساهمتها في إنتاجية ذلك الاقتصاد أو تلك الدولة .

هيكل الاقتصاد

بقلم : د . عبد العزيز اسماعيل داغستاني

ومن هذا المنطلق يفهم تغير الأرض إنتاجياً وليس مساحة أو رقعة . وحيث إن هذه العناصر الإنتاجية الأربعة هي التي تكون أو تشكل هيكل الاقتصاد في أي دولة ، فإنه من الطبيعي أن هذا (**الهيكل**) غير ثابت ، بل هو عرضة للتغير تبعاً لتغير العناصر الإنتاجية الأربعة المذكورة . ولهذا فإن دراسة هيكل اقتصاد ما عن طريق عرض وتحليل الخصائص والمعالم الهيكلية للاقتصاد المعني تتطلب منا أن نراعي **فترة الدراسة الزمنية** . فما ينطبق على هذا الاقتصاد اليوم قد لا ينطبق عليه عشر سنوات من اليوم .

وانطلاقاً من هذا المفهوم تحاول هذه الدراسة أن تعطي صورة موجزة لهيكل الاقتصاد السعودي قبل اكتشاف البترول ، لتوضح تغير هذا الهيكل بعد اكتشاف البترول ووضعه الحالي كاقتصاد يعتمد بالدرجة الأولى على إيرادات البترول التي تمثل المصدر الرئيسي للدخل والمحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي ، ولا يستبعد الكاتب تغير هذه الصورة واختلاف هذا الهيكل في المستقبل ، إذا استطاعت خطط التنمية أن تحقق أحد أهدافها الأساسية في تنويع مصادر الدخل القومي للاقتصاد السعودي بتطوير قطاع أو قطاعات أخرى لتساهم بنصيب وافر في الدخل القومي للاقتصاد السعودي ، أو لتحل محل قطاع البترول في حال نفاد مخزونه ، وهي مرحلة سيصل إليها هذا الاقتصاد عاجلاً أو آجلاً ، فثروة البترول محدودة وناضبة وغير قابلة للتجدد .

الاقتصاد السعودي قبل اكتشاف البترول

تم توقيع أول اتفاقية للتنقيب عن البترول واستغلاله في المملكة العربية السعودية مع **شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا في ٢٩** مايو (أيار) ١٩٣٣ م ، وبدأ الإنتاج بكميات تجارية والتصدير في عام ١٩٣٨ م ، حيث أنتجت المملكة العربية السعودية في ذلك العام نصف مليون برميل .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : **ما هيكل الاقتصاد السعودي قبل اكتشاف وإنتاج وتصدير البترول ؟ ما مقومات أو عناصر الدخل القومي للمملكة العربية السعودية قبل ذلك التغير الجذري في هيكل الاقتصاد السعودي ؟**

ولكي نستطيع أن نجيب على هذا السؤال يجدر بنا أن نبحث في العناصر الإنتاجية المتاحة للاقتصاد السعودي في فترة ما قبل البترول ، ولعل أهمها ــ رغم محدوديتها الشديدة ــ قطاع الزراعة وقطاع التجارة وخدمات حجاج بيت الله الحرام .

الزراعة

كانت **الزراعة** تشكل عنصراً أساسياً من عناصر الدخل في المملكة العربية السعودية ، وتعتبر من أهم الأنشطة الاقتصادية للسكان . وقد أشار (**ميكسيل**) في دراسته عن الاقتصاد السعودي لفترة ما قبل البترول[1] ، إلى أن هيكل الاقتصاد السعودي في هذه الفترة بدائي يعتمد على الزراعة كطريقة حياة وكسب ، وأن الاقتصاد يفتقر إلى أي مقومات الصناعة بمفهومها الغربي في ذلك الوقت .

وأشارت **الدكتورة فاتنة أمين شاكر** في رسالتها للدكتوراه[2] إلى أن **المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود شجع على تنمية الزراعة وكان ينظر إليها كقطاع ذو إنتاجية اقتصادية كبيرة ، إلى جانب قدرتها على توحيد البدو الرحل ، وتنمية ولائهم للأرض والوطن .**

السعودي

★ الملك عبد العزيز رحمه الله أول من دعا إلى تشجيع تنمية الزراعة في المملكة ★



وإلى جانب الزراعة كانت هناك بعض **الأنشطة التجارية** التي تركزت في المدن الرئيسية بالمنطقتين الغربية والشرقية ، وكانت قوافل أو سفن التجارة تتصل اتصالا وثيقاً **بالهند وبلاد الشام ومصر** ، وعلى هذا الأساس يعتمد **قطاع التجارة** في تموين حاجيات المملكة العربية السعودية . وفي المنطقة الغربية ساعدت **مواسم العمرة** في رمضان **والحج** إلى قيام قطاع خدمات حجاج بيت الله الحرام وبالتالي تنشيط حركة التجارة والعمران .

الاقتصاد السعودي بعد اكتشاف البترول

كما جاء ذكره سابقاً ، فقد **بدأ إنتاج وتصدير البترول في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٨م** ، ومنذ ذلك العام بدأ إنتاج المملكة العربية السعودية من البترول يتزايد ، وأخذت المملكة العربية السعودية تأخذ مكانتها الدولية في صناعة البترول . وتشير الإحصائيات الأخيرة [٣] ، على أن **المملكة العربية السعودية تمتلك أكبر احتياطي للبترول في العالم وقدره (١٧٧,٦) بليون برميل ، وهي أكبر دولة مصدرة للبترول في العالم ، وثاني أكبر دولة منتجة للبترول في العالم ، بعد الولايات المتحدة الأميريكية** .

ويتكون قطاع البترول في المملكة العربية السعودية من ثلاث شركات منتجة إلى جانب مؤسسة وطنية . الشركات العاملة في التنقيب وإنتاج البترول في المملكة العربية السعودية هي **شركة الزيت العربية الأميريكية (أرامكو) ، وشركة جيتي ، وشركة الزيت العربية (اليابان)** ، إلى جانب **المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين)** والتي أنشئت في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) بهدف تنمية وتطوير الصناعات البترولية والمعدنية ، على أسس تجارية واقتصادية سليمة ، داخل الإطار العام لسياسة الإنماء الاقتصادي في المملكة العربية السعودية . وتشمل نشاطات بترومين العديد من المشاريع التي تقع ضمن ثلاثة مجالات رئيسية هي البترول والكيماويات البترولية والمعادن والصناعات البترولية .

أهمية ودور البترول في الاقتصاد السعودي

مما سبق يمكننا القول بأن **قطاع البترول** أصبح القطاع الاقتصادي الرئيسي في الاقتصاد السعودي ، ولهذا فإن أي وصف لهيكل الاقتصاد السعودي في الوقت الحاضر يمكن أن ينطبق عليه ما يسميه الاقتصاديون بالثنائية في القطاعات الاقتصادية للدول النامية ، وهو وجود قطاع كبير ومتميز ، عن بقية القطاعات الأخرى في الاقتصاد ، والتي تعاني من صغر حجمها ، وبدائية الوسائل الإنتاجية المستخدمة فيها نوعاً ما . فقطاع البترول في المملكة العربية السعودية قطاع متطور إنتاجياً وتكنولوجياً ، حيث تستخدم فيه أحدث الوسائل الإنتاجية ، علاوة على كفاءته الإنتاجية العالية ، ومساهمته الكبيرة في الدخل القومي .

وبالنظر إلى **الجدول رقم (١)** نستطيع أن نلاحظ التطور الإنتاجي لقطاع البترول منذ عام ١٩٣٨م ، وحتى عام ١٩٧٨م ، موضحاً الإنتاج السنوي للبترول في المملكة العربية السعودية موزعاً حسب الشركات المنتجة الثلاث .

ونلاحظ في **الجدول رقم (٢)** أن مستوى الإنتاج السنوي من البترول قد أخذ يتزايد مع **بداية السبعينات** مؤشراً إلى تزايد أهمية قطاع البترول في الاقتصاد السعودي . ولكي نوضح أهمية هذا القطاع في رسم معالم هيكل الاقتصاد السعودي يجب أن ننظر إلى إيرادات الحكومة

السعودية من البترول ، كما هي موضحة في **الجدول رقم (٢)** . وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإيرادات من البترول قد بدأت تزداد بمعدلات أكبر منذ بداية السبعينات أيضاً . وعلى الرغم من أن إنتاج المملكة العربية السعودية من البترول قد أخذ يتزايد ـ كما ذكرنا ـ منذ بداية السبعينات إلا أن الزيادة الكبيرة في إيرادات الحكومة السعودية من البترول منذ تلك الفترة يمكن أن تعزى إلى السبب الرئيسي ، وهو حركة تصحيح أسعار البترول ، والتي أخذت ذروتها بعد **الصراع العربي الإسرائيلي** في عام ١٩٧٣ م . ويوضح **العمود الثالث في الجدول رقم (٢)** نسبة الزيادة في الإيرادات من البترول على أساس أن سنة الأساس هي عام ١٩٥٩ م .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إيرادات البترول تمثل ٨٥٪ من مجمل إيرادات الحكومة السعودية (عام ١٩٧٨ م) ، ولهذا فإن **البترول هو المصدر الرئيسي لإيرادات الدولة** ، ومن ناحية أخرى فإن نسبة مساهمة قطاع البترول في مجمل الدخل القومي كبيرة حيث قد بلغت ٦٧,٧٪ في عام ١٩٧٧ م ، **وبالتالي فإن قطاع البترول يعتبر الممول الرئيسي لمشاريع التنمية الاقتصادية للمملكة العربية السعودية** ، إلا أن ضيق الطاقة الاستيعابية للاقتصاد السعودي ، وعدم القدرة على إنفاق جميع إيرادات البترول يشكل عقبة أمام أي تغيير جذري لهيكل الاقتصاد السعودي في الأجل القصير . كل هذه العوامل أدت إلى **ظهور فائض مالي** نتيجة لزيادة إيرادات الحكومة عن نفقاتها .

ويوضح **الجدول رقم (٣)** مجمل إيرادات الحكومة من البترول وغيره ونفقاتها منذ عام ١٩٧١ م ، وحتى عام ١٩٧٧ م ، ويمثل الفرق بينهما (في هذه الحالة) الفائض المالي .

جدول رقم (١)

إنتاج البترول في المملكة العربية السعودية سنوياً حسب شركات الإنتاج بملايين البراميل

السنة	أرامكو	جيتي	شركة الزيت العربية	المجموع
١٩٣٨	٠,٥	—	—	٠,٥
١٩٣٩	٣,٩	—	—	٣,٩
١٩٤٠	٥,١	—	—	٥,١
١٩٤١	٤,٣	—	—	٤,٣
١٩٤٢	٤,٥	—	—	٤,٥
١٩٤٣	٤,٩	—	—	٤,٩
١٩٤٤	٧,٨	—	—	٧,٨
١٩٤٥	٢١,٣	—	—	٢١,٣
١٩٤٦	٥٩,٩	—	—	٥٩,٩
١٩٤٧	٨٩,٩	—	—	٨٩,٩
١٩٤٨	١٤٢,٩	—	—	١٤٢,٩
١٩٤٩	١٧٤,٠	—	—	١٧٤,٠
١٩٥٠	١٩٩,٥	—	—	١٩٩,٥
١٩٥١	٢٧٨,٠	—	—	٢٧٨,٠
١٩٥٢	٣٠١,٩	—	—	٣٠١,٩
١٩٥٣	٣٠٨,٣	—	—	٣٠٨,٣
١٩٥٤	٣٤٧,٨	٣,٠	—	٣٥٠,٨
١٩٥٥	٣٥٢,٢	٤,٤	—	٣٥٦,٦
١٩٥٦	٣٦٠,٩	٥,٨	—	٣٦٦,٧
١٩٥٧	٣٦٢,١	١١,٦	—	٣٧٣,٧
١٩٥٨	٣٧٠,٥	١٤,٧	—	٣٨٥,٢
١٩٥٩	٣٩٩,٨	٢١,٢	—	٤٢١,٠
١٩٦٠	٤٥٦,٤	٢٤,٩	—	٤٨١,٣
١٩٦١	٥٠٨,٣	٢٨,٧	٣,٧	٥٤٠,٧
١٩٦٢	٥٥٥,٠	٣٣,٧	١١,٠	٥٩٩,٧
١٩٦٣	٥٩٤,٦	٣٣,١	٢٤,١	٦٥١,٨
١٩٦٤	٦٢٨,١	٣٤,٤	٣١,٨	٦٩٤,٣
١٩٦٥	٧٣٩,١	٣٢,٦	٣٣,١	٨٠٤,٨
١٩٦٦	٨٧٣,٣	٣٠,٢	٤٦,٥	٩٥٠,٠
١٩٦٧	٩٤٨,١	٢٥,١	٥٠,٦	١,٠٢٣,٨
١٩٦٨	١,٠٣٥,٨	٢٣,٢	٥٥,١	١,١١٤,١
١٩٦٩	١,٠٩٢,٣	٢٢,٧	٥٨,٨	١,١٧٣,٨
١٩٧٠	١,٢٩٥,٣	٢٨,٣	٥٢,٧	١,٣٨٦,٣
١٩٧١	١,٦٤١,٦	٣٣,٧	٦٥,٥	١,٧٤٠,٨
١٩٧٢	٢,٠٩٨,٥	٢٨,٣	٧٥,٠	٢,٢٠١,٨
١٩٧٣	٢,٦٦٧,١	٢٣,٥	٧١,٩	٢,٧٧٢,٦
١٩٧٤	٢,٤٩١,٨	٢٩,٨	٦٨,٧	٣,٠٩٥,١
١٩٧٥	٢,٤١٩,٨	٣١,٢	٥٩,٥	٢,٥٨٢,٥
١٩٧٦	٣,٠٥٣,٩	٢٩,٧	٥٥,٧	٣,١٣٩,٣

١٩٧٧	٣,٢٨٦,١	٣٢,٠	٣٤,٨	٣,٣٥٢,٩
١٩٧٨	—	—	—	٣,٠٢٩,٥

المرجع : رسالة الدكتوراه للكاتب والمقدمة إلى جامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٧٩م . (راجع قائمة المراجع) .

جدول رقم (٢)

إيرادات الحكومة السعودية من البترول سنوياً بملايين الدولارات

السنة	مجمل الإيرادات	نسبة الزيادة (١٩٥٩ = ١٠٠)
١٩٥٩	٣١٣,١	١٠٠,٠
١٩٦٠	٣٣٣,٧	١٠٦,٦
١٩٦١	٣٧٧,٦	١٠٢,٦
١٩٦٢	٤٠٩,٧	١٣٠,٩
١٩٦٣	٦٠٧,٧	١٩٤,١
١٩٦٤	٥٢٣,٢	١٦٧,١
١٩٦٥	٦٦٢,٦	٢١١,٦
١٩٦٦	٧٨٧,٩	٢٥١,٦
١٩٦٧	٩٠٩,١	٢٩٠,٤
١٩٦٨	٩٢٦,٨	٢٩٦,٠
١٩٦٩	٩٤٩,٠	٣٠٣,١
١٩٧٠	١,٢١٤,٠	٣٨٦,١
١٩٧١	١,٨٨٤,٩	٦٠٢,٠
١٩٧٢	٢,٧٤٤,٩	٨٧٦,٧
١٩٧٣	٤,٣٤٠,٠	١,٣٨٦,١
١٩٧٤	٢٢,٥٧٣,٥	٧,٢٠٩,٧
١٩٧٥	٢٥,٦٧٥,٨	٨,٢٠٠,٥
١٩٧٦	٣٠,٧٥٤,٩	٩,٨٢٢,٧
١٩٧٧	٣٢,٥٨٣,٤	١٠,٤٠٦,٧
١٩٧٨	٣٥,٧١٤,٣	١١,٤٠٦,٧

المرجع : رسالة الدكتوراه للكاتب والمقدمة إلى جامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٧٩م . (راجع قائمة المراجع) .

جدول رقم (٣)

مقارنة بين إيرادات الحكومة ونفقاتها
من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٨م
بملايين الريالات

السنة	الإيرادات	النفقات	الفائض
١٩٧١	٧,٩٥٤	٦,٢٩٤	١,٦٦٠
١٩٧٢	١١,١١٦	٨,١٣٠	٢,٩٨٦
١٩٧٣	١٥,٣٢٥	١٠,١٥٩	٥,١٦٦
١٩٧٤	٤١,٧٠٥	١٨,٥٩٥	٣٢,١١٠
١٩٧٥	١٠٠,١٠٣	٣٥,٠٣٩	٦٥,٠٦٤
١٩٧٦	١٠١,١٧٨	٨١,٧٨٣	١٩,٣٩٥
١٩٧٧	١٣٥,٨٩٩	١٠٦,٨٦٧	٢٩,٠٣٢
١٩٧٨	١٤١,٥٩٣	١١١,٤٠٠	٣٠,١٩٣

المرجع : رسالة الدكتوراه للكاتب والمقدمة إلى جامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأميركية لعام ١٩٧٩م . (راجع قائمة المراجع) .

وهنا يجب التأكيد على خاصية هامة في قطاع البترول ، وهي أنه لا توجد علاقة ذات قيمة بين إنتاجية قطاع البترول ، وبقية القطاعات الأخرى في الاقتصاد السعودي . إن متطلبات قطاع البترول من القطاعات الأخرى في الاقتصاد السعودي ليست بذات قيمة ، حتى لو أخذنا العمالة بعين الاعتبار .

إحصائية السكان الأخيرة في المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) أشارت إلى أن **عدد العاملين في قطاع البترول يبلغ (٢٠,٣٥١) عامل** ، وحيث إن صناعة البترول صناعة تركز على استخدام رأس المال (الآليات) ، وليس الأيدي العاملة ، فإن من الممكن زيادة إنتاج البترول بدون أي زيادة تذكر في الأيدي العاملة[٤] .

هيكل الاقتصاد السعودي المعاصر

عندما يوصف الاقتصاد السعودي **بالثنائية في هيكله** ، فإن ذلك يعني تقسيم الاقتصاد إلى قسمين أحدهما : **متطور** وهو **قطاع البترول** ،

والآخر **نامي** (إن صح التعبير) وهو كافة القطاعات الإنتاجية الأخرى في الاقتصاد . **وبالنظر إلى الاقتصاد السعودي ، يقسم الكاتب هذا الاقتصاد إلى أربعة قطاعات رئيسية هي :**

١ ـ **قطاع البترول** : ويشمل إنتاج البترول الخام ، وإنتاج الغاز الطبيعي وتكرير البترول .

٢ ـ **قطاع الصناعات غير البترولية** : ويشمل إنتاج وأعمال الكهرباء ، الغاز ، الماء ، البناء ، تجارة الجملة والتجزئة ، الفنادق والمطاعم ، النقل والتخزين والمواصلات ، النشاط المالي والتأمين ، العقارات ، الخدمات التجارية والخاصة والاجتماعية .

٣ ـ **القطاع الحكومي** : ويشمل الإدارة العامة والدفاع .

٤ ـ **قطاع الزراعة** : ويشمل الزراعة ، تربية الحيوانات والدواجن وصيد الأسماك .

ولعل من أهم المؤشرات الاقتصادية التي توضح لنا مدى إنتاجية أي قطاع من هذه القطاعات الأربعة هو نسبة مساهمة ذلك القطاع في مجمل الناتج القومي .

ويوضح **الجدول رقم (٤)** نسبة مساهمة كل قطاع من القطاعات الأربعة في مجمل الدخل القومي للمملكة العربية السعودية لثمان سنوات (١٩٧٠ م ـ ١٩٧٧ م) ، **ومن الجدول رقم (٤) نستطيع أن نستخلص التحليل التالي :**

يساهم قطاع البترول بالنسبة الكبرى في مجمل الناتج القومي ، حيث ساهم بـ ٥٤ ٪ في السنة الأولى من الفترة تحت البحث (١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ م) وارتفعت نسبة مساهمته إلى أعلى قيمة في عام ١٩٧٤ م ، لتصل إلى ٧٣,٤ ٪ ، ويمكن تعليل هذه الزيادة إلى التغير الجذري في أسعار البترول في تلك الفترة ، والتي ارتفعت إلى ما يزيد على الأربعة أضعاف . ويلاحظ أن النسبة قد انخفضت في عام ١٩٧٧ م ، وذلك بسبب زيادة نسبة مساهمة قطاع الصناعات غير البترولية .

ويرى الكاتب أن زيادة نسبة مساهمة قطاع الصناعات غير البترولية يمكن أن يرد إلى **الطفرة العمرانية الكبرى** التي شاهدتها المملكة العربية السعودية منذ بداية عام ١٩٧٤ م ، وساعدت على نموها **خطة التنمية الثانية** ، بالإضافة إلى قيام الحكومة السعودية بتبني العديد من المشاريع الصناعية ، والإنفاق عليها أو المساهمة في إنشائها .

ومما تجدر الإشارة إليه في **الجدول رقم (٤)** هو أن نسبة مساهمة القطاع الزراعي في مجمل الناتج القومي أخذت تقل لدرجة أصبح معها القطاع لا يساهم بقدر يذكر ، فقد انخفضت نسبة مساهمة هذا القطاع في مجمل الناتج القومي من ٥,٧ ٪ في عام ١٩٧٠ م ، إلى ٠,٩ ٪ في عام ١٩٧٧ م ، ومن الممكن أن يعزى هذا التغيير إلى أسباب عديدة أهمها هجرة المزارعين من المزارع والقرى إلى الفرص الأفضل المتاحة في المدن الرئيسية ، والتي أخذت تزداد منذ بداية خطة التنمية الثانية . وقد أشارت إحصائيات خطة التنمية الثانية على أن نسبة المشتغلين في الزراعة من مجموع السكان قد انخفضت من ٤٠,٤ ٪ في عام ١٩٧٠ م ، إلى ٢٨ ٪ في عام ١٩٧٥ م .

وقد يكون لارتفاع أسعار الأراضي في نفس الفترة بسبب استثمار الأراضي الزراعية في أغراض غير زراعية . ومهما يكن من الأسباب ، فإن النتيجة التي لحقت بالقطاع الزراعي هو أن القيمة المضافة الناتجة من القطاع الزراعي في مجمل الناتج القومي ، أصبحت شبه معدومة على الرغم من أن هذا القطاع ما زال يوفر العيش والدخل لما يقارب ربع الشعب السعودي بصرف النظر عن مستوى هذا الدخل .

جدول رقم (٤)

المساهمة النسبية للقطاعات الاقتصادية الرئيسية الأربعة في مجمل الناتج القومي للسنوات من ١٩٧٠م إلى ١٩٧٧م

القطاع / السنة	قطاع البترول	قطاع الصناعات غير البترولية	قطاع الحكومة	القطاع الزراعي	
١٩٧٠	٥٤	٢٩,١	١١,٢	٥,٧	١٠٠
١٩٧١	٦١,٥	٢٤,٨	٩,٣	٤,٤	١٠٠
١٩٧٢	٦٥,٢	٢٢,١	٩,٠	٣,٧	١٠٠
١٩٧٣	٦٩,٤	٢٠,٣	٧,٥	٢,٨	١٠٠
١٩٧٤	٨٣,٤	١١,٢	٤,٢	١,٢	١٠٠
١٩٧٥	٨٢,٥	١٢,٤	٤,١	١,٠	١٠٠
١٩٧٦	٧٤,٩	١٨,٤	٥,٧	١,٠	١٠٠
١٩٧٧	٦٧,٧	٢٥,٧	٥,٧	٠,٩	١٠٠

المصدر : رسالة الدكتوراه للكاتب والمقدمة لجامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٧٩م . (انظر قائمة المراجع) .

الخلاصة

١ ـ على الرغم من توفر بعض العناصر الإنتاجية الرئيسية في المملكة العربية السعودية، والزيادة المضطردة في مجمل الناتج القومي، وما يصاحبها من ارتفاع نسبي في معدل الدخل الفردي، إلا أن الاقتصاد السعودي ما زال اقتصاداً نامياً.

٢ ـ **يمكن تقسيم الاقتصاد السعودي إلى أربعة قطاعات** هي قطاع البترول قطاع الصناعات غير البترولية ـ القطاع الحكومي ـ قطاع الزراعة. ويمكن النظر إلى هيكل الاقتصاد السعودي بوصفه بالثنائية، بمعنى وجود قطاع متطور (البترول) إلى جانب قطاع آخر غير نامي يعاني من صغر الحجم الإنتاجي والسوق (وهو في هذه الحالة يشمل القطاعات الثلاثة الأخرى).

٣ ـ يعتمد الاقتصاد السعودي على قطاع البترول الذي شكل المصدر الرئيسي للدخل القومي، ويتميز هذا القطاع بإنتاجيته العالية على الرغم من عدم اعتماده على بقية القطاعات الأخرى في الاقتصاد. ونظراً لأن صناعة البترول تعتمد على رأس المال (الآليات والتكنولوجيا) فإن مساهمته في العمالة ضئيلة.

٤ ـ يشكل ضيق الطاقة الاستيعابية للاقتصاد السعودي (في الأجل القصير) عائقاً أمام نمو بعض القطاعات الاقتصادية الأخرى، كما أن ضيق الطاقة الاستيعابية للاقتصاد السعودي يعيق تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية، حسب المخطط الزمني المرسوم لها، ويزيد من حدة التضخم المالي، واعتماد المملكة العربية السعودية على الأيدي العاملة الأجنبية.

٥ ـ توسيع الطاقة الاستيعابية، وتوفير التجهيزات الأساسية في الاقتصاد السعودي سيمثلان نقطة البدء نحو تحقيق أهم أهداف التنمية الاقتصادية في تنويع مصادر الدخل القومي، وبالتالي تغيير هيكل الاقتصاد السعودي من اقتصاد يعتمد على مصدر رئيسي للدخل القومي (البترول)، إلى اقتصاد يبنى على قاعدة اقتصادية تتكون من أكثر من قطاع إنتاجي.

٦ ـ قطاع الصناعات غير البترولية يلاحظ فيه نمو نسبي، واعتماد كبير على الأيدي الأجنبية العاملة. **ويجدر هنا التنويه على مساوئ الاستمرار في هذا الاتجاه دون اتخاذ الخطوات الإيجابية نحو تنمية الموارد البشرية السعودية، ومن ثم الكوادر الفنية الوطنية القادرة، للتقليل من الاعتماد على الأيدي الأجنبية في المستقبل، حماية للتكوين الاجتماعي للمجتمع السعودي**، ودرءً لمساوئ الاعتماد على العمالة الأجنبية، وتأكيداً لأهمية الاستقرار الاجتماعي والسياسي في عملية التنمية الاقتصادية.

٧ ـ يعاني القطاع الزراعي من عدة مشاكل هيكلية في التركيب الاقتصادي للقطاع، الأمر الذي جعل مساهمته في مجمل الناتج القومي ضئيلة جداً، على الرغم من أنه ما زالت هناك نسبة كبيرة من المجتمع تعتمد على إنتاجية هذا القطاع في كسبها وعيشها.

وقد تأتي تنمية القطاع الزراعي ضمن خطة متكاملة لتوجيه مشاريع التنمية الاقتصادية لكافة أنحاء المملكة بدلا من تركيزها النسبي للمدن الرئيسية والمناطق الصناعية.

المراجع

1-Raymond F. Mikesell, «Monetary Probems Of Saudi Arabia» *The Middle East Journal*, 1, No. 2 April 1977, P. 169.

2-Fatina A. Shaker, «Modernization Of the Developing Nations; The Case Of Saudi Arabia» (PH. D. Dissertaion, Purdue University), (1972), P. 127.

3-*The Houston Post*, April 15, 1979, P. 1.

4-Abdulaziz I. Daghistani, «Economic Development in Saudi Arabia; Problems & Prospects» (PH. D Dissertation, University Of Houston, 1979), P. 42.

قائمة المراجع

1-Al-bashir, Faisal S. *A Structural Econoetric Model Of the Saudi Arabian Economy: 1960-1970.* New York: John Wiley & Sons, Inc, 1977.

2-Daghistrani, Abdulaziz I. «Economic Development in Saudi Arabia: Problems & Prospects.» PH. D. Dissertation, University Of Houston, 1979.

3-Mikesell, Raymond F. «Monetary Problems Of Saudi Arabia.» *The Middle East Journal* (Spring 1977): 1679.

4-Saudi Arabian Monetary, *Annual Report*, Different Issues.

صاحب البرصان والعرجان

بقلم : د . احمد كمال زكي

(١)

بروحه الساخرة وأسلوبه السهل الممتنع ، حكى عن نفسه قائلاً : «ما أخجلني إلا امرأتان ، رأيت إحداهما في العسكر ـ بسامراء ـ وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام . فأردت أن أمازحها ، فقلت : انزلي كلي معنا ! فقالت : بل اصعد أنت حتى ترى الدنيا .

وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب داري ، فقالت : لي عندك حاجة وأريدك أن تمشي معي .

فقمت معها إلى أن أتت إلى صائغ يهوديّ فقالت له : مثل هذا ! وأشارت إليّ وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها ، فقال : إنها أتت إليّ بفصّ وأمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان ، فقلت : يا سيدتي ما رأيت الشيطان ، فأتت بك» .

وكان هو يعلم تماماً أنه ليس مثله شائه وجه ، ولا قصير قامة ، ولا ناتئ حدقتين ، ولكنه في الوقت نفسه جميل الروح واللسان ، طيب المعشر . وبالرغم مما وُصف به من سعة العلم والجدّ في التحصيل قال من سُئِلَ عنه ـ وقد أعطاه خمسة آلاف دينار في كتاب ألّفه له ـ أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه !

والتاريخ يشهد أنه لم يصبأ ولا تمرّد على مجتمعه ، بل لعله دفع عنه تُهَماً باطلة ، واكْتُرِيَ من أجله دكاكين **الوراقين** ، يبيت فيها ليكتب من أجله ، ما يدفعه إلى مصاف المجتمعات المتحضرة الواعية .

إنه الجاحظ صاحب البخلاء ، وصاحب البغال ، وصاحب البيان والتبيين الذي كوفئ عليه بالآلاف الخمسة من الدنانير ، كما أنه صاحب عشرات الكتب والرسائل التي تشهد له بطول الباع في كل فن يكتب فيه . وبطريقته التي تفرَّدَ بها ـ بعد أن قعد سنوات يتلقى العلم من **الأصمعي وأبي عبيدة والأخفش والنظام** وغيرهم من علماء البصرة في القرن الثاني الهجري ـ سجل اسمه بين المشاهير على مستوى الإنسانية كافة ، **ووصفه المحدثون من الشرق والغرب بأنه كان عبقرية كاملة** ، وقيل إنه ـ وإن كان عالماً في المحل الأول ـ حرّر البيان العربي ووسع مجراه حتى جاء من بعده مَنْ ضيّقه بقوالب البديع .

وعندما يرددون عبارة **ابن هفان** فيه : «لم أر قط ولا سمعت مَنْ أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ» يضعونه أمام آحاد شُهِرُوا في العالم باتّقاد الذهن ، وسرعة الحافظة ، وحضور البديهة . غير أنهم لا يعدونه أديباً بالمعنى الفنيّ المعروف ، ويقولون إنه متأدِّبٌ ، خدم الأدباء كما لم يخدمهم أحد .

والأمر على أي حال ليس بحكم ينقضه حكم آخر ، وإنما بما خلفه الجاحظ في **حضارة الإسلام** سجلاً جميلاً أميناً لكل ما جرى فيه ، وعرضاً ذكياً لشرائحه السكانية . . ملوكاً ووزراء وكتّاباً وقضاة كانوا أو مستعرضين وعوّائين وكاغانيين يتغنون بالسرقة ويتفالجون في الكدية .

ولعله في عنايته بالسِّفْلة والأغتام شهادة على أنه أول مَنْ لفت إلى أدب العامة ، **وكان في رأيي واضع النواة الأولى للأدب الشعبي عند المسلمين ، دون أن يفلت من يده زمام الأدب الفصيح على أساس أنه صورة العربية الكريمة .**

وبتجريبية العلماء طرح في كتبه ـ وبخاصة **كتاب الحيوان** ـ مجموعة من الحقائق البيولوجية والفيسيولوجية اتفق فيها مع جماعة من المعتزلة على رأسهم أستاذه النظام . ولم يسلّم بعد التجربة المعملية ـ وهي تشريحية في الغالب ـ بكثير مما كان يردّده الجمهور عن الظليم والأفعى وبعض الأسماك ونحوها .



★ الجاحظ ★

ولكنه ـ وقد كان صاحب فرقة من المتكلمين ـ أسس فكراً ناقش به أستاذه وردّ علي في موضوعات جوهرية لا يتسع المقام لعرضها أو الإشارة إليها . وقد اكتسب بهذا ومثله الصفة الكلامية ، ودعم هذه الصفة برواية متقنة لعلم الأولين ، فحسب على الرواة المكثرين ، وشملت مروياته مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة . ومن ناحية أخرى أصاب قدراً كبيراً من الجدل جعل عليه من السهل أن يمدح شيئاً ويذمه في آن واحد ، أو ربما وقف وحده الموقفين المتعارضين للشيء الواحد على ما يظهر في رصده لأقوال كل من صاحب الديك وصاحب الكلب ، ولما عرض له في شأن القيان والغلمان والسودان والبيضان .

هو إذن موسوعة إنسانية ضخمة ، وليس ينقص من قدره الجانب الآخر من شخصيته . حيث يبدو لاهياً مقبلاً على الحياة الدنيا وشغوفاً بالجلوس إلى القيان والمغنين . ولعل **أبا منصور البغدادي** حين ندد به في كتابه « **الفرق بين الفرق** » إنما كان يأتيه من هذا الجانب ، وبلغ من سخطه عليه أن احتفى بقول أحد مبغضيه :

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً
ما كان إلا دون قبح الجاحظ

هكذا حورب الجاحظ ، ونيل منه خُلُقياً وخِلْقياً . وقد وضعه ذلك في عداد المعوقين ـ كما نقول نحن بلغة العصر ـ فكان على حسّاده وشانئيه سيفاً مشرعاً ولساناً سافراً . ثم انصرف يكتب ويلهو ، فارتفع على عاهته أو عاهاته ، غير أنه حين رمي في أصله انتفض يصرح نسبه العربي ويؤكد كنانيته ـ من ليث ـ موجهاً ناره نحو أصحاب العداوة والشعوبية . وضرب لذلك مثلين ، **أولهما** طَعْنُ حاسديه على ما يؤلف من كتب يعلم أنها قيمة ، فإذا وضع ما هي دونها ونسبها إلى قدامى المؤلفين من أمثال **ابن المقفع** ، **والخليل بن أحمد** ، نفقت في سوقهم واستنسخوها وقرأوها عليه !

والمثل الثاني أنه لما وصل إلى ديوان الكتابة أيام **الخليفة المأمون** ، وتواطأ على الكيد له كتّاب الديوان ـ وعلى رأسهم **سهل ابن هارون** ـ أسرع ينفلت منه ومن ورائه كلمة شديدة الدلالة قالها سهل : « إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتّاب » . ولم ينج سهل من سخريته ، فوضعه في زمرة البخلاء ، تماماً كما وضع أستاذه الأصمعي فيها بعد أن خاض في بعض سلوكياته !

وربما كانت رسالته « في فصل ما بين العداوة والحسد » هي رد فعل لما طعن به من قبل أهل العلم المثقلين بالحسد المركب فيهم . ويمكن أن نسلك معها ـ في خيط واحد ـ رسالته الهزلية في هجاء كاتب اسمه **أحمد بن عبد الوهاب** ، وقد وصفه فيها بأنه مفرط القصر ويدعي أنه شديد الطول ، وكبير السن متقادم الميلاد ، ويظن أنه معتدل الشباب ، حديث الميلاد ، وامتحنه في ضروب الفقه والعلم والفلسفة والنجوم والأساطير .

ولقد عاش الجاحظ طويلاً بعاهة قبحه ، ولما أصيب بالشلل مع نقرس كان أشد عليه من شنآن حساده التف حوله محبوه ، وأبدى **الخليفة المتوكل** استعداده الكامل لرعايته ـ حتى وهو في البصرة بعيداً عن قصبة الحكم ـ دون أن يكون ذلك على حساب حريته . وروى أنه ظل يكتب ، وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ـ وهي سنة وفاته ـ دخل المبرّد عليه يعوده وسأله : كيف أنت ؟

فقال الجاحظ وقد هدّه المرض وأيأسه : « كيف يكون من **نصفه مفلوج** لو حُزَّ بالمناشير لما شعر ، **ونصفه الآخر منقرسٌ** لو طار الذباب بقربه لآلمه ؟ » .

وأكبر الظن أنه لم ينس في هذه الضائقة ما كتبه عن المفلوجين في كتابه « **البرصان والعرجان والعميان والحولان** » . وربما ودّ لو اقتصر مرضه على الفلج ، إذن لصار واحداً من المفاليج العظام **كأبي الأسود الدؤلي** « رئيس الناس في النحو ، وفي مشايخ الشيعة ، وفي الشعراء والظرفاء » وإن امتدت عاهاته إلى العرج وبخر الفم والبخل .

ولكن هيهات . . .

فإن النقرس ـ وهو مرض العظماء فيما يقال ـ أقعده عن كل شيء . وقد روى أنه زحف وساعته تدنو إلى بعض كتبه في رف من رفوف الدار ، فلما امتدت يده إليه إذا هو يسقط فوقه ، ولا يستطيع حراكاً .

ثم خمدت الأنفاس الحارة ـ برغم برودة الموت ـ إلى الأبد !

(٢)

خص الجاحظ كتابه المذكور بالمعوقين ، أو فلنقل بالمرضى المزمنين الذين شوهتهم العاهات . وقد صرح هو بأن الدافع إلى تأليفه لم يكن إلا قراءاته لكتاب مختصر عنهم صنعه **أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي** ـ وكان إخبارياً حاقداً ـ فكرهه وكره مذهبه ، وبدا عنده كما لو كان يقصد التعريض فقط . بدليل أنه وقف عند ذكر العاهة وصاحبها ،

ونسي أن للمزمنين فضلاً ، حتى إن الواحد منهم كان يبذ أغلب الأصحاء الأسوياء .

أفئن عرج **معاذ بن جبل** ـ مثلاً ـ يقعده مرضه عن أن يكون أمّة كما يقول الجاحظ ؟ وهل تأخر معاذ عن أن يشهد المشاهد مع **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، ثم يلي الولايات ، ويقبض الصدقات ، ويعلم الناس الإسلام ، ويدرس لهم القرآن الكريم وهو ابن أقل من عشرين سنة ؟

لقد بلغ حب الناس له أنه في أول نزوله إلى اليمن صلى بالناس فقدّم إحدى رجليه ، فلم يبق من ورائه أحد إلا قدّم إحدى رجليه ، فقال لهم : إني إنما فعلت هذا من عرج ، فلا تفعلوا مثل هذا !

ولكن معاذاً كان أثيراً لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا عن **هرثمة بن أعين ، ونصر بن شبث** وغيرهما من المحاربين المقربين الذين كان يمنعهم عرجهم من المشي ، فإذا عَلَوْا ظهور الخيل كانوا أمثال العقبان ؟

فليكن الحديث إذن عن **المعوقين ـ لدى الجاحظ ـ** حديث المنصف وليس مثل حديث الهيثم . إذ ما معنى أن فلاناً كان أعرج ، وفلاناً كان أعمى إذا لم يكن في ذكر عاهتيهما « سبباً إلى قصص في أولئك **العرجان** ، وإلى فوائد أخبار في أولئك **العميان** ، وإلى أن جماعة فيهم كانوا يبلغون من العرج ما لا يبلغه عامة الأصحاء ، ومع العمى يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء » ؟

ذلك ما يتساءل به الجاحظ ، بل يرى أن وراء ذلك كله ، أو بجانب ذلك كله مناسبة لإيراد الأشعار الصحيحة ، والأمثال المضروبة لمعرفة كيف كان يتهاجى ذوو العاهات بما عوّقهم ، وكيف تمادحوا به « وكيف جزع من جزع وصبر من صبر » وما في ذلك من الأحاديث السائرة ، واللفظ المونق ، والمعنى المتخير «.وكيف تبين ذلك النقص وظهر ذلك الخلل ، ولم يتبيّن على بعض » .

وكأن الأمر في جملته ـ عند الجاحظ ـ كان عرضاً لصفحات أدب ، وربما تكون هذه الصفحات هي التي كشفت له عن طريقة تأليف في البيان سيخصص لها كتاباً مستقلاً فيما بعد . قال بالحرف الواحد وهو يعرض **للأحنف بن قيس** معوّقاً لا يشق له غبار : « لما وفد على عمر ـ رضي الله عنه ـ وتنازعوا الكلام عنده أمسك حتى كان عمر هو المستنطق له الكلام ، وخص القومُ بالكلام عمرَ وذكروا له شأن أنفسهم . وتكلم الأحنف عمن غاب من مجلسهم ، فتكلم في مصلحة البلاد والعباد ، وسنذكر فقراً من كلامه في كتاب البيان والتبيين إن شاء الله ، وبالله التوفيق » [٢٠٧]

ولقد يكون عرض ذوي العاهات ساذجاً لا ينم على شيء لأول وهلة ، وقد ينقل عن الهيثم نفسه الخبر مجرداً من أي تعليق ، إلا أننا سرعان ما نجد ما وعدنا به . فيصول ويجول ، ويسرع بالحكايات إسراع الماء في منحدر !

★ ابن المقفع ★

من ذلك إشاراته إلى أن **أنوشروان** كان أعور ، **ويزدجرد** أعرج ، **وجذيمة بن مالك الوضّاح** أبرص ، **وصَصَة أبا زاهر** ـ ملك الهند ـ أعمى ، **ويزيد بن عبد الملك** أنقم ، **وهشاماً** أحول ، **ومروان** الحمار أشقر أزرق ، **والنعمان بن المنذر** أحمر الجلد والعينين .

وأما **عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد** والي الكوفة الأعرج ، فقد صادف أن كان على شُرَطِهِ وكتابته أعرجان مثله « فكان صاحب الشرطة يخرج وهو يخمع ، ثم يخرج الأمير وهو يخمع ، ثم يخرج الكاتب وهو يخمع . وكان **الحكم بن عبدل** الشاعر أعرج ، فرآهم يوماً ، وخاطب نفسه فقال :

ألق العصا ودع التخادع والتمسْ
عملاً .. فهذي دولة العرجانِ

وكان الحكم بن عبدل قد خافه الناس ، وهابته الأمراء بعد هجائه لمحمد بن حسان ، وكان بعد ذلك لا يغشى أبوابهم . ولكنه كان يكتب على عصاه حاجته ، ويبعث بها مع غلامه ، فيدخل الحاجب العصا ، ويقضي حاجته والناس والشعراء محجوبون » [٢١٠ ـ ٢١١]

على أن الجاحظ لم يكن يقف عند حدّ الإخبار ، وإنما كان يلجأ إلى أمرين في الرواية . **أولهما** شرح ما غمض فيها من معنى وتفسير ما صعب من دلالة لفظة ، **وثانيهما** التعليق على الخبر إذا كان يحتاج إلى تعليق . وفي الشرح والتعليق يبدو راسخ القدم ، غير أنه يعتذر أحياناً عن عدم الإطالة « وأنا أعلم أن عامة من يقرأ كتابي هذا وسائر كتبي لا يعرف معنى هذه الأشعار ولا يفسر هذا الغريب ، ولكنني إذا تكلفت ذلك ضعف مقدار كل كتاب منه ، وإذا طال ثقل ، فقد صرت كأني أكتبها للعلماء ، والله المعين » [٤٤]



★ المأمون ★

ومع ذلك كان يردّ ما استطاع إلى الرد سبيلاً ، فهو مثلاً عندما نقل رأي من يقول إن التوأم يكون عادة ضئيلاً ، أسرع فقال : ورأيت الأخوين المازنيين يلقّبان بمنكر ونكير ، كل واحد منها كالجمل المحجوم . ورأيت الأخوين المازنيين وكان أحدهما إذا حُمَّ حمَّ الآخر ، وإذا رَمِدَ رمِد الآخر . فلما مات أحدهما أوصى الآخر ، ومات بعده بقليل ، وكان كل واحد منهما كأنه الرمح الردينيّ » .

وفي موضع آخر يقول : « ولما سمعوا بأن الأسلع هو الأبرص ، قالوا في قول مساور بن هند :

منّا بنو بدر ومنّا هاشم
والحارثان ومالك والأسلع

إن **الأسلع القيسي** كان أبرص ، وهذا لا يجب ! قد يجب أن يكون اسمه الأسلع ، ويجب أن يكون ذا سلعة ، ويجب أن يكون أبرص ، ولا بد من أن يكون على ذلك دليل إما شعر وإما حديث وإما أن يقول ذلك العلماء . فإن جاءوا مع ذلك بشاهد فهذا أصح للخبر ، وإن لم يأتوا بشاهد فليس قولهم حجة » .

وهذا منتهى الحرص وآية على منهج المتبتين ، ذلك على الرغم من أنه يعلم بأن هناك شبه إجماع على أن **الأسلع والأبرص** سواء ، وأنه ربما قيل للأبرص أبرش وأقشر وأرقط وأبقع ومبقّع ويُقَيْع ومولّع ومرقّع ، وبكل ذلك جاء الشعر !

كما جاء بأخبار أخرى نعلم منها أنه كانت هناك جماعة من الشذاذ ــ **كالزواقيل** ــ يصنعون العاهات على نحو يكشف عن لطائف الخدع وغرائب الحيل . وهؤلاء هم **المشعِّبون** ، وكان من عادتهم ــ أو وظيفتهم ــ أن يستقبلوا أصحاب الحاجات من الآباء والأمهات ليشوهوا أولادهم بالعمى أو العرج . وقد علق على فعلتهم النكراء بقوله : « فأما الذي يجعل أولاد المكدّين **عمياناً وعرجاناً وعمشاً وحدباً** فهو يسمى المشعِّب ، فلا أدري أيهم أعظم كفراً وأقسى قلباً ؟ الآباء أو الأمهات الذين يسلمون أولادهم إلى المشعب وهم أطفال حتى يعمي أبصارهم ويعرج أرجلهم ويزمنهم ويشوه بهم ، أو المشعب نفسه الذي ترك كل صناعة في الأرض وتعلم هذه الصناعة فجعلها مكسبه . . وأنا رأيت من هذه الصفة جماعة قد أزمنوا أولادهم ، وكتبت عنهم تصنيف المكدين » [٢٣٧]

(٣)

ذلكم كتاب « البرصان والعرجان والعميان والحولان » لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، كتبه بعد أن ذاع صيته وقبل أن يضع « البيان والتبيين » فإذا **عدنا إليه وجدناه عدة أبواب متداخلة ، ولكن أكبرها وأميزها ما قاله في البرصان ، وفي أسمائهم ، وأنسابهم ، وصفاتهم ، وأقدارهم ، والشاهد عليهم بالشعر الصحيح والحديث المسند .**

وإطالته هذا الباب راجع إلى كثرة من أصيب بالبرص بكل أنواعه التي ذكرناها . وقد بيّن أن كثيرين من الرؤساء والشعراء فخروا بالبرص ، إلا أنه يوشك أن يعتذر عن تلك الإطالة ، وذكر أنه إذا كان مقدار ما ذكره من البرصان ــ آدميين وغير آدميين كالأفاعي والبهم ــ يبدو كبيراً « فهذا المقدار قليل ، ولو قصدتم إلى أمة من الأمم يكون عدد جماعتهم على الشطر من عدد جماجم العرب ، لوجدتم عدد برصانهم على الضعف من عدد برصان العرب . ولولا طعن الحاسد لهم والباغي عليهم ــ يقصد الشعوبيين ــ لكنت عسى ألا أتحمل من نسخ هذا الكتاب مع ثقله عليّ » [٥٠]

ويلي هذا **باب العرجان** ، على النحو الذي تقدم تماماً . وليس ينبغي أن نخدع بزيادة عدد أوراقه على أوراق البرصان ، لأنه عمد إلى مزجه بعاهات أخرى ــ فرعية ــ أصابت كبار العرجان من أمثال **الحارث الأعرج الملك الغساني ، والحوفزان بن شريك الشيباني** الذي يكنى بأبي حمار ، **والأقرع بن حابس ، وأبو الأسود الدؤلي ، والأحنف بن قيس وموسى بن نصير .** ومن تلك العاهات **البخر ، والبلاهة ، والحول ، والعمى ،** بجانب أخبار طوال عن عرج الحيوان **كالضبع** نباشة القبور ، **والذئب** الذي يقزل ، **والغراب** الذي يحجل ، **والأسد** الذي يتبهنس ــ أي يتخلّع ــ **والفرس** الذي يتثعلب ، والنساء اللائي يمشين مشي البقر ، والقطا أو اللائي يزفن ــ وهن الهلوكات ــ إذا رأين الرجال . مع الوصف المسهب لأنواع المشي الأخرى ، كمشي العجوز ، ومشي الشيوخ ، ومشي الرُّهلة ، ومشي الأرملة ، ومشي المجنون ، ومشي الحية ، والمشي بالسيف ، وضروب الاعوجاج ، والحنو والإكباب ، وعطف العنق والجنوح ، بما يشهد على ذلك كله من نصوص محققة .

ثم ألحق بهذا الباب ــ بعد ذلك كله ــ باباً آخر من العرج الحادث يزول بزوال العلة ، كالظلع العارض الذي لم يكن في أصل الخلقة .

وأدخل فيه البعير الذي يتراكم عليه الشحم ، والأرض المحمودة التي ترعى ، والبطن الخصيب العشيب ، والغيث المرجي ، والغمامة الخرساء .

وهكذا يتنقل الجاحظ من فن إلى فن ، ومن حكاية نادرة إلى مثل أو حكمة أو قطعة شعرية طريفة — على سبيل الاستطراد — قبل أن يعود إلى عرج الحيوان ثانية ، بذكر الكلب الظالع ، والكلب الأقزل — والأقزال أسوأ حالا من كثير من العرجان — وسواد منخره هو ومنخر الذئب وسيلان أنفيهما .

ويختم الباب الثاني — وهو الأصل — **بقائمة للعرجان الفقهاء البلغاء ، والعرجان الأشراف ، والعرجان العبيد الشعراء ، والعرجان المتكلمين الدهاة .** كما يذكر العرج إذا عمَّ أهل البيت ، وجرى القوم منه على عِرْق أو غير ذلك من العلل والآفات . من أولئك بنو الحذاء العرج ذوو الأرجل الشديدة الاعوجاج ، **وكان زيد ابن عمارة** — صاحب البريد بالأهواز — أعرج من رجليه جميعاً ، وكانت ساقه شديدة الاعوجاج فقال **أبو الشمقمق** صديق **بشار بن برد :**

رجل زيد بن عماره
مثل مفتاح المناره

وبعد إشارات موجزة إلى **الاحدوداب** وقطع الأيدي والأرجل والشلل وقصر القامة ، يأتي الباب الثالث — متأخراً جداً وقصيراً للغاية — فيمن سق بطنه من الأشراف **كعمران بن الحصين الخزاعي ، وخبّاب بن الأرت ، وقبيصة بن المهلب ، وعثمان بن أبي العاص ،** ويعود إلى ذكر الحدب منهم كذي الركبة العوجاء الشاعر العمد الذي يقول :

سَخِرِ الغواني أن رأين مويهناً
كالذئب أطلسَ شاحبٍ منهوكِ

وكذلك مشمرخ الأحدب الذي كان في وسعه أسر الحسان من دون فتيان الغزل وأصحاب الجمال واليسار ، وشيخ أحدب وقع بينه وبين رجل آخر شر فقال له الرجل : والله لئن ركلت حدبتك هذه ركلة لأسوينها بظهرك . فقال : وأبيك إنك إذن لعظيم البركة !

وفي الباب نفسه وقفة عند الوُقْص — **قصار العنق** — ومنهم **مالك بن سلمة** آسر **حاجب بن زرارة** صاحب الحاجبين الكثيفين ، والأوقص السّلمي جد خولة التي وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام .

ثم باب قصير في مختلف العلل التي لم تعق أصحابها عن تحصيل المجد وأسباب الرفعة **كاللقوة** — أي اعوجاج الوجه — **والفحج والفلج .** ومن المفاليج إدريس النبي ، وسطيح الكاهن الداهية ، وعبيد الله بن زياد الفارس الخطيب المفوه ، وعامر بن مسمع سيد ربيعة قاطبة ، وأبان بن عثمان الذي يرد ذكره في الحولان والعرجان .

وبعد ذلك عدة أبواب تبدو كما لو كانت مقحمة — وإن تطل عند حدود العاهات — ذكر فيها الأشجين ، وعظام الأنوف ، وكبار الرؤوس وصغارها ، وذوي الرأسين ، والصُّلع والقُرْع والجلحان الذين ينحسر شعرهم عن جانبي الرأس ، والسنوطيين الذين بلا لحى مع أنه « ليس شيء أشد على الرجال وأشنع عندهم في عقوبة السلطان من حلق الرؤوس واللحى » وقد أنشد أحد الشعراء يقول :

من يشتري قلباً كميّاً بلحيةٍ
فإن اللحى جاءت بغير قلوبِ

ومع ذلك كان **قطبة بن حصراء الأقرع الأزعر السنوط** سيداً فارساً يقول :

لا يمنع المرء أن يسود وأن
يحمل في القوم قلة الشعر

وكان **عبد الله بن الزبير** — وهو مَنْ هو — نحيفاً خفيف اللحية جداً ، وكان يقول « عالجتها ستين سنة فلما بلغتها يئست منها » .

وآخر الأبواب عقده الجاحظ في **الأيمن والأعسر والأضبط** وفي كل أعسر يَسَر ، وبعد قائمة الأسماء من الرجال ذكر أن السباع — كالأسد — عسر ، وبهائم الأرض كافة إذا ربضت ربضت على شقها الأيسر !

وجميع الحيوان إذا سقط في الماء سبح ونجا إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر ، والحيات تسبح ، والعقرب يتعلق ساكناً في الماء .

وأما الأعسر اليسر فمثله عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الذي قاتل في صفين بسيفين ، وقد يوصف بأنه أضبط لأنه يستخدم يمينه ويساره بكفاءة تامة .

وأما الأيمن فمثله الملوك والعلماء ، وقد قيل « رأينا في الملوك الأشراف الحول والزرق والعرج وكذلك العلماء ، ولم نر عالماً قط ولا ملكاً أعسر » .

وكان كلّاس ومقلاس أخوين — فيما يروي الجاحظ — أحدهما أيمن ، والآخر أعسر . فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقٍ فقطعت يداهما . فكان الأيمن لا يستطيع أن يعمل بيده ، وكان الأعسر يعمل بيده العسراء أعماله كلها وصحته وعادته . ففخر الأعسر على الأيمن بذلك ، فقال الأيمن : ما علمت للأيسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه !

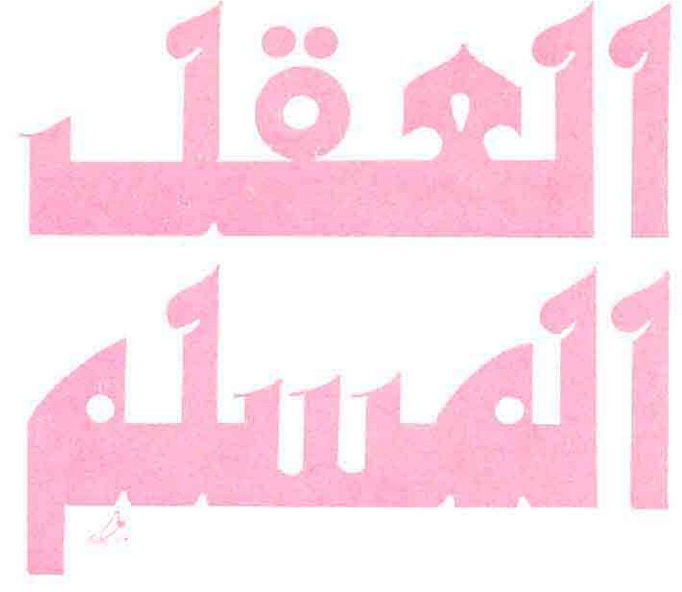
★ ★ ★

وبعد . . .

فكم هي ممتعة الساعات التي نقضيها مع الجاحظ في هذا الكتاب . . . .

وما أكثر ما نجد فيه من المثل التي نحن في أشد الحاجة إليها حين تضيق بنا الدنيا وتتقطع في وجوهنا السبل . . .

وما أعظم أن نرى الإنسان قادراً — برغم عجزه — على أن يجاوز عاهته فيسابق بها الأصحاء الأقوياء .





العقل المسلم وتحديات القرن الجديد

بقلم : د . عبد الحليم عويس

على مشارف القرن الجديد يجب أن يعي العقل المسلم التحديات الجديدة التي تواجهه .. إن « رماح » عصرنا أصبحت صواريخ تحمل رؤوساً نووية .. وإن «خيول» عصرنا أصبحت طائرات تسبق الصوت ، وتحمل الواحدة منها ثمانية عشر رأساً نووياً ، تكفي لتدمير دولة يزيد عددها عن مليون من البشر .

وإن «فارس» عصرنا الذي يستحق في الغنيمة ضعف أخيه الماشي على قدميه .. هذا الفارس المغوار هو من يستطيع تطوير أي سلاح ذري أو نووي ، أو تقديم نظرية اقتصادية متكاملة تقوم على ركائز عقيدته وقيمه ، وتقلب موازين العالم المادي ... عالم البنوك الربوية والبورصات .

أين علم المسلم وعقله ، وهو الإنسان الوحيد في الأرض الذي تلقى من السماء وحياً يأمره في أول كلمة يلقيها على مسامعه : **﴿ اقرأ ﴾** .

عجباً . كأنه يفتح بهذه الكلمة عصر العلم والعقل .. وكأنه ــ وهو يدق باب القرن الأول الهجري ــ يدق أيضاً ــ بوابة القرن الخامس عشر للهجرة . . .

ولا زال المسلمون يحتاجون إلى الدقّة نفسها .. إلى الإيقاع نفسه .. فقد استدارت جاهليتهم كهيئتها الأولى ، وارتدوا على أدبارهم تخلفاً وأمية كيوم هبط جبريل بأول « توجيهات » الإسلام الكبرى : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾**[1] .

إنها « توجيهات » لا تقف عند علم معين ، ولا تربط العلم ببيئة معينة ، ولا زمان معين . . . بل شرطها الوحيد . . . أن تكون « باسم الله » .

ومع ذلك شاء المسلمون في مراحل تخلفهم أن يقسموا « العلم » قسمين : علم دين وعلم دنيا . . . وجعلوا ثواب « العلم الأول » أكثر من ثواب « العلم الثاني » ، وكأن علوم الدنيا من طب وفلك وفيزياء ونبات ليست علوماً دالة على إبداع الخالق في الآفاق وفي الأنفس .. **﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾**[2] ، وبالتالي فهي ــ كما تدل الآية ــ علوم دين ، وأما ما أسموه « بعلوم الدين » فهي علوم إن لم تؤثر في الدنيا ، فإنها تفقد دورها . . . إن « الدنيا » هي بعض وظيفتها وجزء أساسي في مجال عملها ، وهي قنطرة إلى الآخرة .

فمن أين للمسلم هذا التقسيم ؟

وهل يمكن أن تصنع هذه النظرة القاصرة حضارةً تليق بدين لا فصل فيه بين الدين والدنيا والعقيدة والعبادة ؟!

وهل يمكن أن تكون «جدليات» علم الكلام العقيمة ، وتكلفات الفرق المختلفة ، من أشاعرة إلى معتزلة إلى مرجئة إلى خوارج ــ أفضل ــ للمسلم في دنياه وأخراه ــ من النظر الثاقب الفاحص الرشيد في عالمي النفس والكون ؟

وهل يمكن أن يكون ذلك **الفقه الافتراضي** الذي يخترع أقضية ، ويمرن عقله على الفتوى فيها . . . وهي أقضية أكثرها مستحيل عقلاً .

وهل يمكن أن يكون ذلك « **الفقه التقديري** » ـ كما أسموه ـ أفضل من دراسة المجتمع ، واستخلاص قوانين الاجتماع على أسس علمية ورياضية ، وبالتالي البحث الدائم لأمراض المسلمين الاجتماعية والاقتصادية عن حلول حقيقية نابعة من أصول دينهم ، وقواعده الكلية .

وهذا « **النحو التقديري** » . . . « نحو » الحذف والعلل والمستتر وجوباً وجوازاً ، والتنازع والاشتغال . . . وغيرها من التقديرات العقلية الضائعة . . . هذا النحو الذي « عقّد » لغتنا العربية الجميلة ، وجعلها من « اللغات الصعبة » حتى على أبنائها ، وجعل أحدهم وهو « **الفراء** » يموت وفي نفسه شيء من « حتى » !!

هل يصلح هذا « النحو » أداة مناسبة في عصر يبلغ فيه « الصراع اللغوي » أشده ، وتعمد فيه كل دولة إلى نشر لغتها بأحدث الطرق الممكنة وأبسطها ؟

وبسبب هذا « النحو التقديري » ضاع جمال تفسير القرآن ، وشرح الحديث ، على يد كثير من المفسرين والمحدثين الذين انشغلوا بالأداة أكثر من انشغالهم بالمضمون ، والذين قتلهم « الجزيء اللغوي » فلم يصلوا إلى حقيقة « البناء » الكلي للإسلام .

وإذا ذهبنا نستعرض جميع حضارات الأرض .. الفراعنة .. الإغريق .. الرومان ... الإسلامية ... الأوروبية ... بل إذا استعرضنا الحضارات المندثرة التي حصرها « أرنولد توينبي » في إحدى وعشرين حضارة .. فإننا سنجد أن « العقل » أو « العلم » هو القاسم المشترك بين كل هذه الحضارات .

وبمقدار ما يكون استعمال العقل غالباً ، والشغف بالعلم ، وتيسير ظروفه متحققاً بمقدار ما ترتفع الحضارة على غيرها من الحضارات !!

وهذا العلم ذاته يحتاج إلى « علم » يحميه ، فلا علاج للعلم الجزئي المنحرف ، إلا بعلم كلي صحيح . كما لا علاج للعقيدة المنحرفة إلا بعقيدة صحيحة .. فعندما انحرف « علم الفراعنة » وتحول إلى عبادة للطاغوت ، وإلى سحر يخدع العقل .. جاء العلم الصحيح يلقف ما صنعوا ، وعندما انحرف الأثينيون في عهد السوفسطائيين .. **(أثينا بركليز وأرسطو)** جاء « **المنطق** » يضع للعقل القواعد التي يتحرك فوق قضبانها و « الترمومتر » الذي يميز به الفكر الصحيح من السقيم !!

ولما بدأ « العقل المسلم » يدخل مرحلة الترف الفكري منذ عهد **المأمون** ، وأخذ بقيادة **المعتزلة** يلعب بالجزئيات ، ويعمد إلى تفريغ الكلمة من جانبها الفاعلي الحركي إلى مجرد كلام يغلب فيه الخصم الخصم ... ظهر **أبو محمد علي بن حزم** (ت ٤٥٦هـ) يكتب (الفصل في الملك والأهواء والنحل) ، وظهر **أبو حامد الغزالي** (٥٠٥هـ) يعيد صياغة علوم الدين ، فيما عرف باسم (إحياء علوم الدين) ويكتب (فضائح الباطنية) ، ثم ظهر **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية** (٧٢٨هـ) يكتب (الرد على المنطقيين) و (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) .

وظهرت على امتداد حضارتنا كتابات كثيرة تحمل الطابع التنظيري الشمولي ، وتُنكر ـ ضمناً ـ هذه الجزئية المدمرة . . . وكمثال ، ظهرت في الفكر الاقتصادي كتابات **محمد بن الحسن الشيباني** (ت ١٨٩هـ) صاحب كتاب (الاكتساب في الرزق المستطاب) ، **وأبي يوسف صاحب أبو حنيفة** (ت ١٩٢هـ) ومؤلف كتاب (الخراج) ، **وأبي عبيدة القاسم بن سلام** (ت ٢٢٤هـ) صاحب (الأموال) ، **والمقريزي** (ت ٨٤٥هـ) صاحب كتاب (إغاثة الأمة في كشف الغمة) . !!

وفي الفكر الاجتماعي ـ كمثال ـ ظهرت مقدمة **عبد الرحمن بن خلدون** (٨٠٨هـ) فكانت منعطفاً جديداً ، كان حرياً أن يحدث نهضة في الفكر التاريخي والاجتماعي لو وجدت استجابة ملائمة .

وفي الفكر السياسي ظهرت كتابات **الماوردي** (٤٥٠هـ) صاحب (الأحكام السلطانية) ، **وابن القيم** ـ تلميذ ابن تيمية ـ صاحب (كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ، **والطرطوشي** صاحب (سراج الملوك) . . . وغيرهم .

حضارة .. وحضارة

والفرق بين حضارة وحضارة ليس في أن هذه لديها علم ، وهذه لا تملك علماً ، فقد ذكرنا أن العلم قاسم مشترك ، وإنما **تتفاوت الحضارات في أن هذه ذات علم وصل إلى مرحلة « التركيب » وإلى استخلاص « القوانين العامة » والمبادئ الأساسية ، والمناهج الموضوعية ... وأن تلك تستنزف علمها في قضايا فرعية وخيالية ، أو في قضايا من الدرجة العشرين !! . بينما تغفل الوقوف عند القضايا ذات الأهمية المصيرية ، وإذا وقفت عندها فإنها تقف وقفة متحمسة انفعالية ، وتتناولها بالطريقة نفسها التي تتناول بها القضايا الفرعية .**

ومن هنا يبدو التقارب في منهج التناول الذي خضعت له كل العلوم الإسلامية والعربية ، فمنهج **علم الكلام** قريب من منهج الفقه ، والأخير قريب من منهج التفسير ، والنحو والصرف والبلاغة .


★ صلاح الدين الأيوبي ★

★ رفاعة الطهطاوي ★

لكن أين البناء الكلي للعقيدة على أساس من كتاب الله ، وأين الإطار الشامل للفقه بحيث يصبح (فقهنا) نظرية اقتصادية ، واجتماعية ، تغنينا عن استيراد النظريات الاقتصادية والاجتماعية من شرق أو غرب ، وتعبِّر عن هويتنا العقدية ، وتقف كتركيب يزاحم بل ويهزم ما يعرض الآخرون في سوق النظريات ؟

إن بناءنا الفكري لنظرية في الاجتماع والاقتصاد ، يحمل في أركانه ، وبين ثناياه خصائص عقيدتنا ، وأخلاقيات حضارتنا ، هو خير أسلوب في الدعوة إلى الإسلام ، إذا كنا حقاً مسلمين ، نسعى لخدمة هذا الدين !

إن «جوليان هكسلي» ـ في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) ـ يحدثنا عن أبرز الخواص التي امتاز بها الإنسان ... فيرى أنها ثلاث خواص :

١ ـ قدرة الإنسان على التفكير الخاص والعام .

٢ ـ التوحيد النسبي لعملياته العقلية بعكس انقسام العقل والسلوك عند الحيوان .

٣ ـ وجود الوحدات الاجتماعية[٣] .

والحقيقة أننا ـ نحن المسلمين ـ لا نجد جديداً في كلام هذا «الملحد» هكسلي لكننا ـ مع ذلك وللأسف الشديد ـ نجد أنفسنا في حاجة ماسة إلى تطبيق هذه الخصائص الإنسانية الثلاث على واقعنا ... فقدرتنا على التفكير العام ، وقدرتنا العقلية على التوحيد النسبي ، واستخلاص القواعد الكلية والرؤية الشاملة ، وتخطِّي الجزئيات هذه القدرات تحتاج إلى علاج حاسم ... يأتي عن طريق تكوين (**العقل الجماعي**) في سائر أمورنا .

عصر المؤسسات

إننا لم ندخل عصر المؤسسات بعد !!

أليس من الغريب أن الأمة الإسلامية تفشل في ترجمة ـ مجرد ترجمة ـ لدائرة المعارف الإسلامية ؟

وأليس من المحزن أن لا توجد دائرة معارف إسلامية ، أو عربية ، أو تركية ، أو فارسية ، على غرار الدوائر العلمية التي أنشأها الغرب ، وكون من أجلها مراكز أبحاث متخصصة ؟

وأليس من المحزن أن نتطفل جميعاً على كتاب «المعجم لألفاظ الحديث النبوي» الذي صدر بإشراف «أ . ي . ونستك ، وي . ب . منسنج» ؟

وإنك لتستطيع أن تنظر في غلاف أي جزء من أجزاء المعجم المذكور لتعرف الفرق بين «العقل الجماعي» ، وبين الجهود الفردية المحدودة ... إن صفحة الغلاف تقول ذلك :

«إن هذا العمل الذي بين يديك تضافر على إعداده ـ باستثناء الباحثين المذكورين ـ آلافاً :

١ ـ ي . برودفان .. الذي تابع النشر بعد «ونستك» و «فنسنج» .

٢ ـ الاتحاد الأممي للمجامع العلمية .

٣ ـ والمجامع العلمية البريطانية والدانيمركية ، والسويدية ، والهولندية ، واليونسكو وألك ف . س ، والهيئة الهولندية للبحث العلمي البحت .

إن هذا هو ما نسميه بالعقل العلمي الجماعي ، أو المؤسسات العلمية المستوحاة من تراثنا ـ كذلك ـ وليس لمجرد التقليد ، فكلنا يذكر **بيت الحكمة** ، وكلنا نذكر المكتبات العامة التي أنشأها (**الحكم ابن عبد الرحمن الناصر**) في الأندلس ، وكلنا يذكر المؤسسات التي أنشأها (**المأمون العباسي**) للترجمة .

ونذكر ـ كذلك ـ بالفخر ـ دون أن نحاول المحاكاة ـ **مدرسة الحديث ، ومدرسة الرأي .. ومدرسة البصرة والكوفة .. والفقه المصري والفقه العراقي ، والاتجاه المغربي المالكي ..** وغيرها من المدارس والتيارات المتعاونة والمتداخلة أحياناً ، والتي يخضع كل منها لمنهج ورؤية تميزه !!

بل إن بعض هذه المدارس كان يسير وفق منهج يلتزم به في العقيدة والفقه والنحو وأسلوب الحياة . **وابن حزم الظاهري** من هذه الأدلة القوية الشامخة في هذا الاتجاه المنهجي الواحدي !!

إنه طبق المنهج الظاهري على دراسته للعقائد والفقه والنحو ... بل والعواطف الشخصية !!

ونحن لا نتبنى آراء ابن حزم في كل ما رأى ، كما لا نرى أن يكون هناك التزام مذهبي صارم ... فهذا الالتزام المذهبي حائل دون الاجتهاد


★ ابن خلدون ★


★ د . زكي نجيب محمود ★


★ د . طه حسين ★

والعقلانية التي ندعو إليها ، وإنما نرى أن يكون هناك منهج علمي واضح ، ومدارس للاجتهاد تمثل العقل الجامعي ، وترعاها مؤسسات تنشأ باسمها . . مؤسسات للفقه ، وللغة العربية ، وللأدب العربي ، ولفقه العقيدة ، وللعلوم الطبيعية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والاقتصادية . . وغيرها .

أما الإصرار على الجزئية في التفكير وفي الاهتمام ، والفردية في التطبيق والاجتهاد فلن يصل بنا إلى القدرة على المنافسة الحضارية في عالم القرن الخامس عشر!!

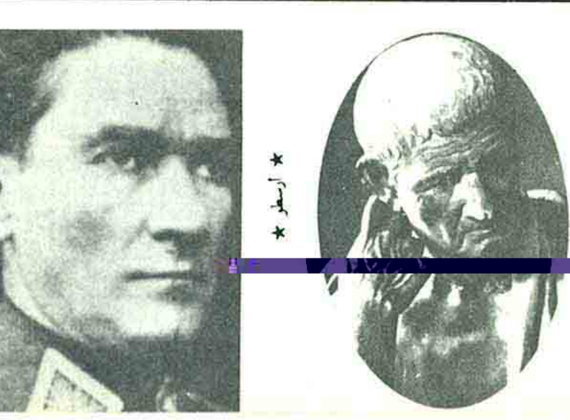
وليس يعنينا كثيراً أن تعود هذه المدارس إلى المنهج الذي كانت عليه ، فلا شك أن ثمة متغيرات وتحديات جديدة يطرحها العصر الحديث . . لكن الذي يعنينا أن تكون هناك «مؤسسات» فكرية تملك القدرة على البحث في المنهج ، وعلى إخضاع الجزئيات لهذا المنهج ، ويكون من حقها – أكثر من غيرها – استخلاص الأحكام العامة . . وتطوير مناهج البحث في تخصصها . . وإنجاز المشروعات الكبرى .

إن الموضوع العلمي ليس هو القضية . . بل المنهج العلمي هو عمود التطور الفكري .

وإن العلم . . لا يرتبط بموضوع معين ، لأن موضوعات البحث العلمي تتعدد ، وكما يذكر **الدكتور زكي نجيب محمود** ، في كتابه حول «**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**» :

«فقد يكون موضوع الباحث العلمي هو تركيب المادة ، أو هو التفاعل بين عنصرين أو أكثر من عناصر المادة ، أو قد يكون موضوعه هو حركة الأفلاك ، أو مسار الضوء ، أو سرعة الصوت ، أو فاعلية الكهرباء ، أو سقوط المطر ، أو هبوب الريح ، أو قد يكون موضوعه أوزان الشعر العربي ، أو خصائص فن العمارة في عصر من العصور»(٤) .

ومن جانبنا نقول : إنه قد يكون موضوعه قضايا العصر الفقهية الملحّة ، أو تطوير تعليم اللغة العربية للأجانب والعرب ، أو بناء نظرية اجتماعية إسلامية ، أو نظرية تربوية . . أو نفسية أو اقتصادية إسلامية . . كل ذلك . . يخضع للمنهج العلمي الجماعي الرصين . . الذي يتميز بوضع الجزئيات في نسيجها المتشابه والمتشاكل . . وإخضاعها لقانونها ، أو استنباط القوانين والقواعد منها . . شريطة أن نلتزم الحذر والدقة والاستقصاء النسبي في خطوات بحثنا .



★ أرسطو ★



★ أتاتورك ★

إن الدكتور زكي نجيب محمود (وهو كاتب غير منحاز لتراثنا) لم يملك نفسه من الإعجاب بالدور المنهجي الممتاز الذي لعبته حركة دراسة اللغة العربية في عصور الازدهار ، إنه يقول :

«ولست أنا الكاتب الذي يستطيع أن يحدث القراء بشيء من التفصيل المفيد عن هذه الحركة في دراسة اللغة ونحوها وصرفها ، لكنني أترك حقلاً عجيباً في دقته العقلية ، غزيراً في خصوبته وثماره ، إذا أنا تركت حقل الدراسات اللغوية وما يدور حولها من أبحاث كادت تبلغ مبلغ الدقة الرياضية في دقة التحليل ، وفي سلامة الاستدلال .

وأول ما نلحظه في هذا الصدد هو الصلة الحميمة الوثيقة بين بحوث الباحثين ، وبين حياة الناس العملية ، حتى في مثل هذا المجال اللغوي ، الذي قد يبدو لعين القارئ العربي اليوم وكأنه مبتور الصلة عن تلك الحياة ، جرياً على ما قد ألفه في عصره هذا من بعد الشقة في كثير جداً من الحالات بين رجال اللغة من جهة ، وضروب النشاط العملي من ناحية أخرى ، حتى لقد سار فينا سريان الأمثال أن يكون رجل اللغة العربية ونحوها ومعاجمها ومصادرها وتصاريفها ، رجلاً غريباً على مسرح الحياة اليومية ، لا تسيغ سمعه الآذان ، إذا حرص على ضبط اللغة مقروءة أو مكتوبة .

لا . . لم يكن رجال البحث اللغوي إبان الفترة التي نتحدث عنها مبتوري الصلات عن مجرى الحياة العملية ومشكلاتها ، ومن ثم كانت منزلتهم العليا من الناس»(٥) .

إن ما نريد أن نصل إليه ، وأن يستقر في الأذهان هو ضرورة أن ندخل عصر العلم كما دخل أسلافنا عصر العلم ، كي ينجحوا في إبداع حضارة ترتفع إلى مرتبة قيادة عصرهم ، وقد نجحوا .

ويظن بعض الناس أننا عندما تفوقنا ونشرنا ديننا إنما تفوقنا بدفعة الروح وحدها متجاهلين دفعة العقل كذلك .

كلا . . .

إننا لو نظرنا إلى العواصم الإسلامية . . دمشق . . بغداد . . القاهرة . . المدينة . . . قرطبة . . مكة . . القيروان . . فاس ، وقارناها بعواصم أوروبا وإفريقيا وآسيا – غير الإسلامية – لعرفنا أننا كنا نحكم العالم بالعلم والدين معاً . . . وكانت لغتنا – كالإنجليزية الآن – هي لغة الحضارة ، وهي لغة الثقافة العالمية . . ولا يصلح طبيباً ولا فلكياً ولا رياضياً ولا فيلسوفاً إلا من يتعلمها .

وحتى – بعد هذه الدفعة الأولى – وعندما التقينا بالصليبيين اللقاء العالمي الذي استمر قرنين . . والذي هزمناهم فيه . . حتى في هذا اللقاء كنا العلماء ، وكانوا الجهلاء . . وبهذا – بعد الدين – انتصرنا . . كان **صلاح الدين الأيوبي** في عقله وفي خلقه ودينه أفضل من كل ملوك أوروبا . . وكان طبيب صلاح الدين أعلم – بخمسة قرون على الأقل – من طبيب **ريتشارد قلب الأسد** ، وكان «سكرتير» صلاح الدين «القاضي الفاضل» أعلم من أي مساعد أو كاتب – إذا كان هناك

كاتب ـ لدى ملوك أوروبا النصرانية .. وخيول صلاح الدين كانت أسرع وأقوى من خيول النصارى البطيئة !!

فبالعلم ـ بعد العقيدة ـ انتصرنا .

ولنسأل كل حروبنا .. فسنجد لمسة العلم .. بعد دفعة العقيدة .. ولم ننتصر أبداً بجهلنا وتخلفنا واستيرادنا .. كلا فما تقوم حضارة أبداً ولا تنتشر عقيدة أبداً تحملها عقول محاصرة بالجزئيات ، مدمرة بالشكليات ، مليئة بالترّهات ، لا تتفوق على عصرها : (في أسلوب التفكير العلمي ، ولا في طرق البحث العلمي ، ولا في التطبيق العلمي للمعارف التي تصل إليها) ... وهذه الثلاثة هي الأركان الأساسية التي يقوم عليها العلم ،أي علم !!

ونحن نعلم أن هناك بعضاً من المتحمسين يربطون بين « العلم » وبين « أوروبا » ، ولأنهم يرفضون أوروبا ـ وهم محقون ـ فهم يرفضون ـ بالتالي ـ العلم !!

كلا فإن هذا الخلط واحد من الأخطاء الكبيرة التي سيطرت على عقول المسلمين !!

ولنبدأ ـ في تحليل هذه القضية ـ من تراثنا نفسه قبل أن نصل إلى العصر الحديث ، **فإن أوروبا ـ كما هو معروف ـ قد جلست من أساتذة الحضارة الإسلامية مجلس التلميذ ، وتلقت ـ حتى رهبانها ـ العلم على يد علماء ، بل وفقهاء قرطبة ، وإشبيلية ، وبجاية ، وفاس والقيروان .. وقد سرقت من مخطوطاتنا ما لا يعلم إلا الله ، واحتفلت بعلمائنا أكثر منا ، وقررت كتبهم في جامعاتها .. !!**

أجل لقد اعتصرت أوروبا كل علمنا ، ووضعته على مشرحة البحث والتحليل ، لكنها مع ذلك رفضتنا .. إنها لم ترفض عقيدتنا فحسب ، بل إنها رفضت حتى صياغتنا للحياة ، بل إنها ـ لم تكتف بهذا ـ فعمدت إلى تشويه حقائق الإسلام ، وجندت لذلك جيوشاً من المبشرين والمستشرقين ، حتى تحول دون وصول الإسلام إلى أوروبا .. !!

لقد اتخذت أوروبا ضدنا كل وسائل الوقاية .. ومع ذلك فقد أخذت كل ما في أيدينا تقريباً من علوم ومعارف !!

وبعد ذلك ، وبعد انتصارنا عليها في الحروب الصليبية بالعقيدة ، وبالخيول السريعة ، وبالعلم الذكي ، وبالقيادة الواحدة الرشيدة ، بعد ذلك وفي غفلة وجهالة منا ، استمرت عدة قرون ، فاجأنا **نابليون بونابرت** في سنة ١٧٩٨ م ، بالمدافع المحمولة على عجلتين ، فانهارت أمامه خيول المماليك الذين لم يتعلموا علم عصرهم ، وأصروا على القتال بخيول سريعة .. في عصر انتهت فيه حروب الخيول .. واشتعلت حروب العقول !!

وفي عصرنا الحديث ، عرفت **اليابان** هذا السر ، ولم تكابر ولم تذهب لشراء الحضارة أو منتوجاتها ، أو للحصول على شهادات أوروبا في العلوم الإنسانية أو في الديانة البوذية أو في اللغة اليابانية .. أو في علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والآداب والفنون .. كلا فهذه علوم خاصة تتصل بشخصية الأمة ، وتعلمها ـ خارج نطاق الأمة نفسها ـ عبث وتبعية فكرية .. وانتحار !!

وإنما ذهبت اليابان لشيء واحد .. للعلم والتكنولوجيا .. اللذين هما سر تفوق أوروبا ، ولا تفوق لها في غيرهما .. بل إنهما ليستران عوراتها الكثيرة .

وبإيجاز .. إن الحضارة الأوروبية الحديثة لها جانبان :

١ ـ جانب شخصيتها والعلوم المتصلة بها .. بدينها المسيحي ، وبنظمها الليبرالية الاقتصادية ، ولغاتها وعاداتها وتقاليدها ، وموروثاتها الثقافية والاجتماعية ، وألعابها الرياضية .. وهذه علوم وفنون لا يجوز استيرادها .

٢ ـ جانب عطائها العلمي (أسلوباً ، وطرائق ، وتطبيقاً) وهذا جانب إنساني وعلمي عام ، وكما أن استيراد الجانب الأول (الجانب الشخصي) تدمير للأمة ، كذلك فإن إغفال الجانب الثاني العلمي البحت تدمير للأمة بالمستوى نفسه !!

ونحن ـ للأسف الشديد ـ قد ذهبنا إلى أوروبا نأخذ الأول .. وكرد فعل ، رفض بعضنا الثاني .. وكلا الأمرين خطأ ، والمعادلة الصحيحة أن نتجه لأخذ كل علوم أوروبا التقنية . ولست أعني بالأخذ استيراد منتوجاتها فهذا غاية الدمار ، وإنما أعني معاناتها وفهمها وتطويرها وتصنيعها ، تماماً كما فعلت اليابان .. !!

ومن أغرب الغرائب في مواجهتنا للحضارة الأوروبية بعد ظهور مدافع نابليون ، أننا ذهبنا بقيادة **رفاعة الطهطاوي** ، ومروراً **بطه حسين ، وسلامة موسى ، وكمال أتاتورك ، ولطفي السيد** ، وأمثالهم .. ذهبنا نعب من « العلوم الشخصية » للغرب ، ونترجم **الإلياذة والأوديسة** وندعو إلى **اللاتينية** .. بل **واليونانية والرومانية** ، وإلى لبس « القبعة » .. ونتمنى لو تعلمنا مصارعة الثيران إضافة إلى كرة القدم .

بينما لم يبذل أي جهد محترم في معرفة (العلوم البحتة) ، وممارستها وإدخالها إلى حياتنا .. وكان هذا الاتجاه الخاطئ ـ ولا زال ـ بتوجيه من الاستعمار نفسه ، سبباً في ضياع قرنين كاملين منذ ضربتنا مدافع نابليون .

بينما تُشاهد أمامنا دولا دمرت ، ثم قامت وتفوقت في أقل من ربع قرن ... لماذا ؟ لأنها تعرف الطريق !!

الهوامش

١ ـ سورة العلق ، الآيات ١ ـ ٥

٢ ـ سورة فصلت ، الآية ٥٢

٣ ـ الإنسان في العلم الحديث ، ص٣٢ ، ترجمة حسن خطاب ، طبع القاهرة .

٤ ـ ص ٦٠

٥ ـ المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، ص ٨٤

أوروبا تغترف العلوم والفنون

بقلم :
سليم طه التكريتي

هناك مقولة باطلة ومغرضة ، ما فتئ بعض المؤرخين والكتّاب الغربيين ، ومن يقلدهم من أبناء العرب حتى اليوم ، تزعم بأن انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا ، لم يتم إلا عن طريق الحروب الصليبية المدمرة التي شنتها أوروبا المسيحية على الشرق الإسلامي ، والوطن العربي في الدرجة الأولى .

غير أن الحقائق التأريخية المعززة بالشواهد والوثائق ، قد أظهرت بكل جلاء بطلان هذه المقولة ، وبعدها عن الواقع . ذلك لأن اتصال أوروبا بالحضارة العربية الإسلامية ، قد حصل قبل حدوث الحروب الصليبية بقرون ، وتم عن طريق **الأندلس ، وصقلية ، وجنوبي كل من فرنسا وإيطاليا .**

الأندلس أثناء الحكم الأموي

فلقد لعبت الأندلس أثناء الحكم الأموي فيها ، الدور الأول في نقل كل ثمار النهضة الحضارية العربية الإسلامية ، وكانت هي الدرب الرئيس الذي عبرت منه الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا وبقية أنحاء العالم .

ولقد ازدهرت العلوم والفنون في الأندلس ازدهاراً منقطع النظير ، وعلى وجه التخصيص في عهد الخليفة هشام الثالث وابنه الخليفة « الحكم » ، بحيث وجد ملوك أوروبا وأمرائها في ذلك الوقت ، أن لا مناص لهم من اقتباس تلك الحضارة الزاهرة ، وذلك عن طريق إرسال البعثات والوفود العديدة إلى الأندلس للدراسة في جامعاتها ومعاهدها ، والتدرب في مصانعها وحقولها ، سواء كان ذلك في **قرطبة ، وغرناطة ، أم في إشبيلية ، ومجريط ، وبلنسية ، وملقة ، ومرسية** ، وغيرها من المدن والحواضر الأندلسية .

يقول **المؤرخ الإنكليزي « جورج ملر GOERGE MILLER »** في كتابه « فلسفة التأريخ » : **« كانت مدارس العرب في إسبانيا هي مصادر العلوم ، وكان الطلاب الأوروبيون يهرعون إليها من كل قطر ، لكي يتلقوا فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة » .**

بعثات طلابية من أوروبا

ويذكر **المؤرخ الفرنسي « فالبير FALIER »** في كتابه « استرداد الأندلس Rerise de L,Indaloussie » ، **أن البعثات العلمية كانت تهيأ على قدم وساق في أوروبا لإرسالها إلى الأندلس الإسلامية لتلقف العلوم ، والفنون ، والصناعات في معاهدها الكبرى ، وذلك نتيجة للدعايات الواسعة التي انتشرت في قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوروبية في ذلك الوقت من أمثال إنكلترا وفرنسا وهولندا وتوسكانيا .**

ولقد وفدت عدة بعثات من فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وهولندا وبافاريا وسكسونيا وغيرها على الأندلس لتلقي العلوم والمعارف فيها . وقد بلغ عدد أفراد هذه البعثات في سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) وحدها زهاء سبعمائة طالب وطالبة . وقد رأست **الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس عشر ملك فرنسا** ، إحدى البعثات الفرنسية الموفدة إلى الأندلس . كذلك تزعمت **الأميرة « دوبانت » ابنة أخ ملك بريطانيا جورج الثاني** ، واحدة من البعثات البريطانية إلى الديار الأندلسية .

وبالإضافة إلى ذلك بعث **« فيليب » ملك « بافاريا » الألمانية** بكتاب خاص إلى الخليفة الأموي هشام الأول يطلب إليه فيه أن يسمح له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس ، بقصد الاطلاع على أحوالها ، ودرس أنظمتها وشرائعها ، والتعرف على ثقافة أبنائها ، بغية الاقتباس من هذا البلد ما يفيد البلاد البافارية .

وقد وافق الخليفة هشام الأول على ذلك الطلب برسالة رقيقة وجهها إلى الملك فيليب ، وعندئذ أرسل العاهل البافاري وفداً من بني قومه إلى الأندلس ترأسه وزيره الأول **« وليامين »** الذي سماه الأندلسيون في كتاباتهم ومؤلفاتهم باسم **« وليم الأمين »** لأنه كان صحيح الوجدان نبيل القصد مخلص النصح .

ولقد قام وليامين هذا بأداء الرسالة التي كلف بها على أتم وجه ، وأظهر لمليكه ولبلاده ما كانت عليه ديار الأندلس من تقدم وحضارة وعمران ، وراح يحض الملك وكبار القوم على إرسال المزيد من البعثات

من الأندلس العربية الإسلامية

والوفود إلى تلك الديار لاقتباس ما تزخر من كنوز العلم والمعرفة والفن والصناعة والزراعة وغيرها .

وثيقتان تاريخيتان

نهد جورج الثاني ملك إنكلترا إلى إرسال بعثة علمية إلى بلاد الأندلس تضم ثماني عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان ، وترأسهم الأميرة « دوبانت » ابنة أخ الملك . وقد رافق البعثة في هذه الرحلة **النبيل « سفيلك » كبير موظفي القصر الملكي البريطاني** . وكان هذا النبيل يحمل من مليكه رسالة إلى **الخليفة هشام الثالث** [توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م] هذا نصها :

« من جورج الثاني ملك إنكلترا ، والغال ، والسويد ، والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة . فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات أشراف إنكلترا لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن . ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة ، هدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص » .

من خادمكم المطيع
جورج . م . أ .

وقد رد الخليفة هشام الثالث على ملك إنكلترا بهذه الرسالة الرقيقة التي تمثل كرم العرب المسلمين وسماحتهم وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين . وبعد : إلى ملك إنكلترا وإيكوسيا واسكنديناوة الأجل .

لقد اطلعت على التماسكم ، وبعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب شؤون الدولة ، وافقت على طلبكم . وعليه فإننا نعلمكم بأنه سوف يتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيداً على مودتنا لشخصكم الملكي . أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور بالغ . وبالمقابلة أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية ، وهو من صنع أبنائنا ، هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتتنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس
هشام

وقد ذكر **المؤرخ التركي الشهير المرحوم « عبد الرحمن شرف »** في كتابه « التأريخ العام » أن الهدية التي أرسلها ملك إنكلترا إلى هشام الثالث كانت تتألف من **شمعدانين من الذهب الخالص** طول الواحد منها ثلاثة أذرع ، مع أواني ذهبية أخرى للطعام عددها اثنتان وعشرون قطعة نقشت بأبدع وأروع النقوش السكسونية وكلها من صنع بلاد الإنكليز .

ولقد كان الكاتب السوري « طه المدور » قد ذكر أنه عثر على هاتين الرسالتين المتبادلتين بين ملك إنكلترا والخليفة الأموي في الأندلس ، في كتاب مخطوط من تأليف « عبد الله الطيبرقي » وعنوانه « المراقب فيما شاهدت في ديار الأندلس من العجائب » وذلك في مكتبة المرحوم الدكتور « حليم قدورة » في بيروت . ويا حبذا لو اهتم أحد الباحثين بالتفتيش عن ذلك الكتاب المخطوط ونشره ليطلع أبناء العروبة والإسلام على بعض ما خفي عنهم من ازدهار حضارة أجدادهم في العالم .

أما بعثة ملك بافاريا التي رأسها وزيره الأول وليامين فقد كانت تضم مائتين وخمسة عشر طالباً وطالبة ، تم توزيعهم على مختلف معاهد العلم والصناعة في الأندلس لدراسة الفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والفنون ، وصناعة النسيج والنقش والتطريز والطبابة والتمريض وصناعة الأسلحة والزجاج والورق ، وبناء القلاع والحصون إلى جانب علوم الفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها .

أوروبيون يعتنقون الإسلام

وبمرور الزمن **اعتنق عدد من أفراد هذه البعثة الألمانية الدين الإسلامي، ورفضوا العودة إلى بلادهم، وفضلوا البقاء في الأندلس وتزوجوا من العرب فيها. وكان من بين اولئك الأفراد ثلاث فتيات تزوجن من بعض مشاهير رجال الأندلس**. وكان هذا أيضاً هو مصير عدد وفير من أفراد البعثات الأخرى التي وفدت على الأندلس من إنكلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وألمانيا وغيرها.

فمن الفتيات اللواتي مكثن في الأندلس وتزوجن فيها برجال من الأندلسيين الأميرة «ماري غوبيه» من بلجيكا، والأميرة «روبيكاستارت» من ألمانيا، والراهبة «جانيت سمبسون» من إنكلترا، والأميرة «شونا» ابنة الكونت «دي سرجاك» من هولندا.

الراهب الفرنسي «غيربرت»

وكان من بين الذين درسوا في المعاهد الأندلسية، وساهموا بقسط وافر في عملية نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، **الراهب الفرنسي «غيربرت»** الذي ولد لقيطاً في سنة ٩٤٥م، فاعتنى بتربيته وتنشئته رهبان **دير «أورياك» في جنوب فرنسا** الذين عثروا عليه وهو في قماطة، عند باب الدير المذكور. وقد التحق، بعد أن شب، في خدمة **الكونت «بوريل» البرشلوني** حيث أمضى سنوات عديدة متنقلاً في أنحاء بلاد الأندلس، وفي معاهدها العلمية في كل من قرطبة وإشبيلية، مغترفاً من علوم الفلك والرياضيات وغيرها، ما تيسر له الاغتراف، حتى إذا ما عاد بعد ذلك إلى فرنسا شرع ينشر الثقافة العربية بين أبنائها، ويحث الفرنسيين على التزود بالعلوم من منابعها العربية الإسلامية في الأندلس، الأمر الذي أثار ضده ثائرة رجال الكهنوت في فرنسا فاتهموه بالكفر والسحر، وإذ ذاك اضطر إلى أن يرحل إلى **روما**، وأن يحظى بثقة قيصرها الذي عيّنه مستشاراً له، ومن ثم ترقى إلى منصب كبير الأساقفة في روما، وأخيراً تولى في سنة ٩٩٩م، **كرسي البابوية** واشتهر باسم **«البابا سلفستر الثاني»، وإليه يرجع الفضل في إدخال الأرقام العربية إلى كل أنحاء أوروبا**. وكذلك الأمر بالنسبة إلى **«شانجة» ملك ليون واستوريا في شمال إسبانيا**، فإنه هو الآخر كان قد درس في جامعة قرطبة، وتخرج على أيدي علمائها المبرزين، وعاد إلى بلاده جاهداً في نشر ما اقتبسه من حضارة الأندلس وعلومها.

أوروبا تستقدم العلوم والخبرات

ولقد اعتاد أفراد البعثات الأوروبية أن لا يكتفوا بما كانوا يتعلمونه في المعاهد الأندلسية من علوم، بل إنهم كانوا ينقلون معهم حين العودة إلى أوطانهم في أوروبا، كل ما يستطيعون حمله من الآلات والمخترعات العربية، من أمثال **الساعات، والبوصلات، والاسطرلابات**، وغيرها من التحف والمصوغات الفضية والذهبية والخزفية.

وعن هؤلاء الطلبة العائدين من الأندلس تلق **«هرمان» الكسيح ابن «فولفداد» أمير «دلماسيا»** كل المعلومات الدقيقة عن صناعة الاسطرلاب وإقامة المراصد، حيث **تم صنع أول اسطرلاب في أوروبا خلال القرن الرابع عشر، كما أقيم أول مرصد جوي في مدينة «أورنينبرغ» بألمانيا في ذات الوقت تقريباً**.

وفضلاً عن البعثات العديدة التي كانت أوروبا تبعث بها إلى ديار الأندلس، فإن بعض الملوك الأوروبيين أقبلوا على استقدام العديد من الخبراء والصنّاع والفنيين والمهندسين العرب من الأندلس للعمل في الممالك الأوروبية، وإقامة المدارس والمصانع والقلاع والحصون والجسور وحتى إنشاء المزارع في الحواضر الأوروبية.

وكان معظم هؤلاء الصنّاع العرب يستقدمون إلى الممالك الأوروبية حسب عقود خاصة تعقد معهم. ففي خلال القرن التاسع الميلادي وما بعده، تم التوقيع على عقود مع حوالي تسعين خبيراً من الخبراء العرب في الأندلس من قبل حكومات كل من إنكلترا، وهولندا، وسكسونيا، لإقامة المعاهد العلمية في تلك البلاد، والتدريس فيها، وقد اختير كثير من العلماء العرب الذين كانوا يحذقون اللغات اللاتينية والإسبانية لمثل هذه المهمات.

كذلك وقّعت حكومات أوروبية أخرى عقوداً مع حوالي مائتي خبير عربي من المبرزين في مختلف الصناعات وعلى الأخص صناعة النسيج، والورق، وبناء السفن، بالإضافة إلى فن البناء وأصول الزراعة وغيرها.

ولم يدع الأوروبيون شيئاً من العلوم والصناعات المنتشرة في أرجاء الأندلس إلا وحثّوا أبناءهم على تعلمه ونقله إلى بلادهم، ولا سيما **الفلسفة والطب والرياضيات والفلك**، إلى جانب **صناعة النسيج والورق والزجاج والبارود والأسلحة، وعلوم الطبابة والصيدلة والتمريض**.

من بين ما أنشأه المهندسون العرب أعظم جسر أقيم في بريطانيا على نهر «التيمس» عرف باسم جسر هيشم HAISHAM Bridge أي «جسر هشام» تمجيداً لذكرى الخليفة الأموي هشام الثالث الذي أوفد أولئك المهندسين.

وما تزال حتى اليوم في مدينة «شتوتغارت» بألمانيا سقاية ماء قائمة وهي تحمل اسم المهندس العربي «أحمد» الذي حرف إلى «ميديو».

ويذكر صاحب «تأريخ باريس، وهو فرنسي، أن عرب الأندلس ساهموا مساهمة كبيرة حتى في بناء الكنائس الشهيرة في فرنسا، ومن بينها كنيسة «نوتردام» الشهيرة.





بقلم: ريمون الكك

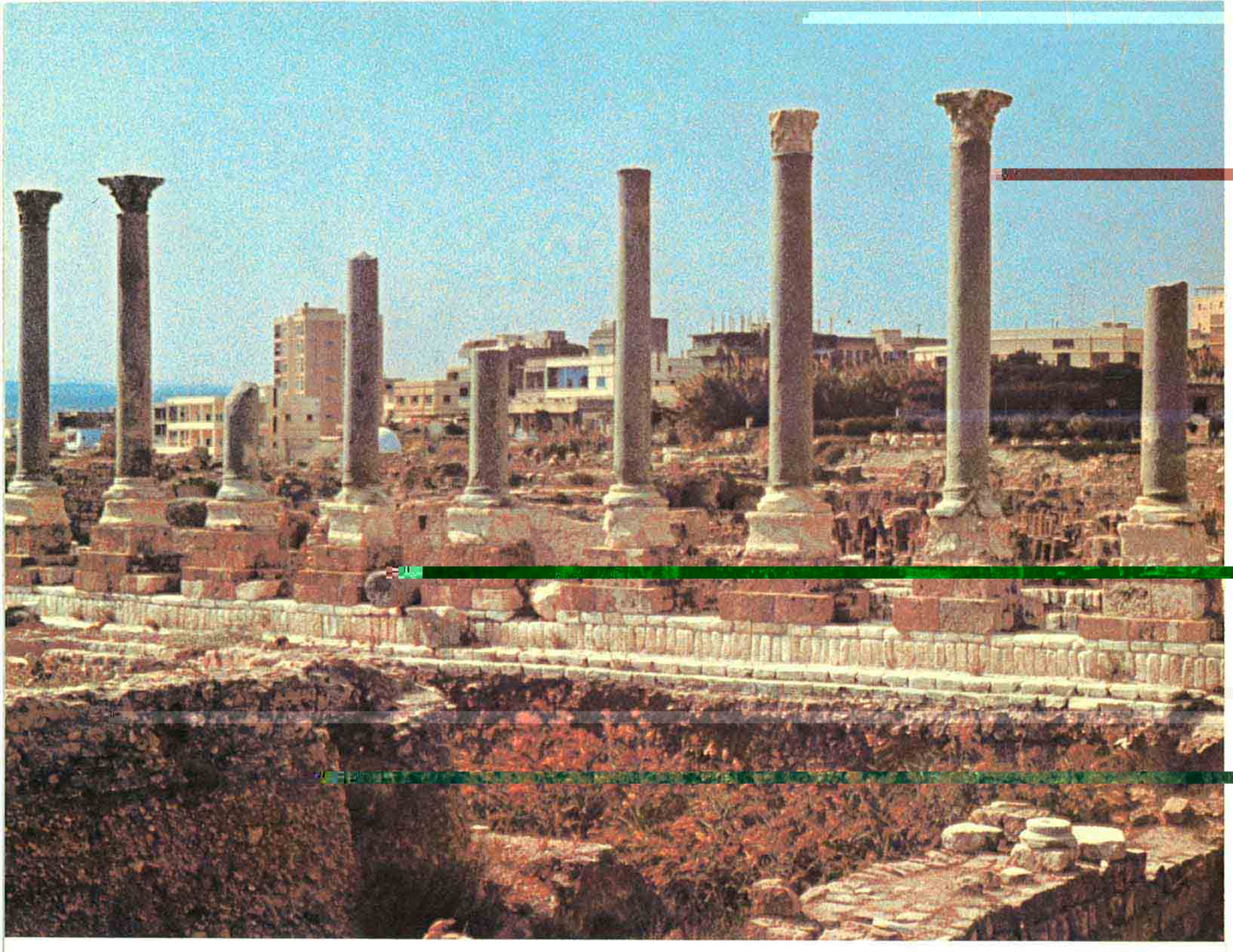
تقع صور وسط سهل يمتد على مسافة عشرين كيلومتراً في محافظة لبنان الجنوبي.

أسست المدينة على جزيزة في البحر تبعد ستمئة متر تقريباً عن الشاطئ. ويذكر المؤرخ «هيرودوت» أنها تعود إلى زمن بناء معبد «ملقرت» أي إلى السنة ٢٧٥٠ ق. م. وقد عثر منقبو الآثار في سهل صور على أدوات حجرية تعود إلى نحو أحد عشر ألف سنة، وهذا ما يؤكد أن البر الصوري سُكِنَ منذ هذه الفترة.

كانت الجزيرة ميناءً أميناً للمراكب في أثناء هبوب العواصف، بالإضافة إلى كونها ملجأ السكان أثناء الحرب.

يرجع اسم المدينة إلى طبيعتها الصخرية: فكلمة صور الفينيقية تعني الصخرة.

★ مرفأ صور ★



★ الأعمدة الرومانية (السوق) ★

أهمية صور

تحدث الشعراء والمؤرخون عن صور فقالوا عنها إنها المدينة ذات الماضي السحيق. وذكرها آخرون على أنها أكبر وأقدم المدن الفينيقية. ويعتز أهالي صور بكون مدينتهم «أم المدن الفينيقية». ورغم تغني الشعراء بصيدون، فإن صور تزاحمها في أمجادها وأساطيرها.

وتظهر أهمية المدينة عند كتّاب الإغريق، إذ ينعتونها بـ «أم الفينيقيين»، واشتهرت صور بتحصيناتها التي لم يقوَ عليها الآشوريون والكلدان، نظراً لأسوارها الضخمة المرتفعة المحيطة بها.

وظهرت أهمية صور عبر التاريخ بمرفأين: **المرفأ الصيدوني** الواقع إلى الجهة المقابلة لصيدون، والمخصص لبناء السفن الحربية، **والمرفأ المصري** الواقع لجهة الجنوب الذي بإمكانه استقبال أسطول حربي وعدد من المراكب التجارية. وقد أدت أبحاث «**پوادبار**» سنة ١٩٣٤م، إلى اكتشاف رصيف هذا المرفأ تحت سطح البحر البالغ طوله سبعمئة وخمسين متراً وعرضه ثمانية أمتار.

حيرام الأول ملك صور

تولى «**حيرام الأول**» حكم صور سنة ٩٨٠ق.م. ويعتبر عهده عهد إصلاح وعمران لا مثيل لهما. فقد قام الملك بترميم دور العبادة القديمة في المدينة، وعمل على إعادة بناء **هيكل ملقرت**، وأتى بخشب **أرز لبنان** لسقف هذه الدور. وسعى حيرام الأول إلى توسيع المدينة وحقق ذلك.

وقد أعجب أمراء الدويلات المجاورة بالملك، فأخذوا يتقربون منه. فاستعان به «**سليمان الحكيم**» طالباً مساعدته، فبنى الملك الصوري أسطولا لسليمان، وهو **أول أسطول عبري في التاريخ**. وكان قواد هذا الأسطول وبحارته من أهالي صور.



★ الميدان الروماني ★

الاستقلال في عهد الآشوريين

واجهت صور الخطر الآشوري بوصول «**آشور بانيبال**» إلى لبنان، ولكن ملك صور «**إيثو بعل**» فضل دفع الجزية للآشوريين لإنقاذ مدينته من الخراب. وقد وفق الملك في عمله هذا فابتعد الآشوريون عن صور، ولم يتدخلوا في شؤونها.

وتوالى الملوك الذين خلفوا (إيثو بعل) على دفع الجزية للملوك الآشوريين للمحافظة على استقلال صور. وقد حاول أحد ملوك المدينة المدعو «**مثّان**» الامتناع عن دفع الجزية، ولكنه لم ينجح في خطته هذه، إذ هدد الآشوريون بالزحف على صور.. وأخيراً استسلمت المدينة بعد أن ظلّت مدة من الزمن تتأرجح بين الاستسلام والصمود.

نبوخذ نصّر الكلداني وصور

أدرك «**نبوخذ نصر**» ملك بابل أهمية صور بأنها **مفتاح البحر المتوسط**، فحاصرها طيلة ثلاثة عشر عاماً (٥٨٦ ــ ٥٧٣ ق. م.) قام خلالها بأعمال جبارة علّه يتمكن من تحقيق رغبته. ومن المرجح أن الملك الكلداني استعمل في الحصار وسائل متعددة لكسر شوكة الصوريين. ولم يتمكن ملك بابل من السيطرة على المدينة. وقد أثر هذا الحصار على حركة صور التجارية سلباً وعلى صلاتها مع سائر مستعمراتها.

صور في ظل الحكم الفارسي

يروي المؤرخ «**هيرودوت**» أن مدن فينيقيا، وبينها صور، قدمت



★ قوس النصر ★

مساعدات للفرس في حملتهم ضد مصر سنة ٥٢٥ ق . م . فيتضح من هذا القول قبول الصوريين بالحكم الفارسي طوعاً . وغدت المدينة في عهد « **داريوس الأول** » جزءً من الولاية الخامسة التي جمعت فينيقيا وفلسطين وسورية وقبرص .

فهيئة الحكم في صور كانت تتألف من ملك وإلى جانبه موظف ومجلس إداري معيّنان من قبل السلطة الفارسية . وفي هذه الفترة سكّت صور نقوداً باسمها ، فسجلت بذلك امتيازاً على سائر المدن الفينيقية .

الإسكندر العنيد في صور

اعتبر « **الإسكندر المقدوني** » السيطرة على صور أمراً بالغ الأهمية من الوجهة الحربية ، فقرر السيطرة على المدينة حتى يحطم قوة الفينيقيين البحرية التي كانت صور محورها . أما صور فهي مدينة محصنة : جدران حجارتها ضخمة تعلوها أبراج منيعة تدرأ عنها كل الاعتداءات الحربية .

جمع الإسكندر أركان جيشه وبدأ في حصار المدينة في كانون الثاني (يناير) سنة ٣٣٢ ق . م . قام جنود الإسكندر بعدة أعمال للسيطرة على المدينة ، فأخذوا بنقل أنقاض صور البرية ، وحاولوا ردم القناة البحرية الفاصلة بين الجزيرة والبر الصوري . ولكن السهام الصورية انهالت على الجنود المقدونيين . وضرب الإسكندر على المدينة حصاراً بحرياً ، إذ جهز مئتين وخمسين سفينة لهذه المهمة . واعتذرت « **قرطاجة** » عن إرسال المساعدات إلى صور ، لأنها كانت منهمكة بالحرب أيضاً . وقد أدت هذه العوامل إلى انهيار الصوريين أمام الزحف المقدوني .

وبدأ نجم المدينة بالأفول . سقط المرفأ الجنوبي من المدينة ، وانسحب الصوريون إلى البيوت ، فأمر الإسكندر بإضرام النار وبقتل الجميع باستثناء اللاجئين إلى الأماكن المقدسة في المدينة . لكن أهالي



★ حمّامات وأعمدة رومانية ★

صور وقفوا أمام بيوتهم لصد الهجوم . . . فسقطت المدينة بعد سبعة أشهر من الحصار .

ودخل الإسكندر صور وقدم الضحايا في هيكل ملقرت ، وأقيمت المباريات الرياضية والسباقات أمام الهيكل ، وأراد المقدوني إعادة صور إلى سابق عهدها ، فأمر بإعادة بنائها . . وبعد وفاة الإسكندر ، انتقلت صور إلى سلطة قواده .

صور زمن الرومان

انتقال السلطة إلى الرومان أحلّ النظام في سائر المناطق الفينيقية ، وبخاصة في صور . فالمؤرخ « **سترابون** » الذي زار صور سنة ٢٠ م ، تقريباً ، يذكر أن صور مدينة مستقلة تتمتع بامتيازات جمّة .

وشهدت المدينة ، زمن الرومان ، حدثاً هاماً ألا وهو دخول المسيحية إلى المدينة .

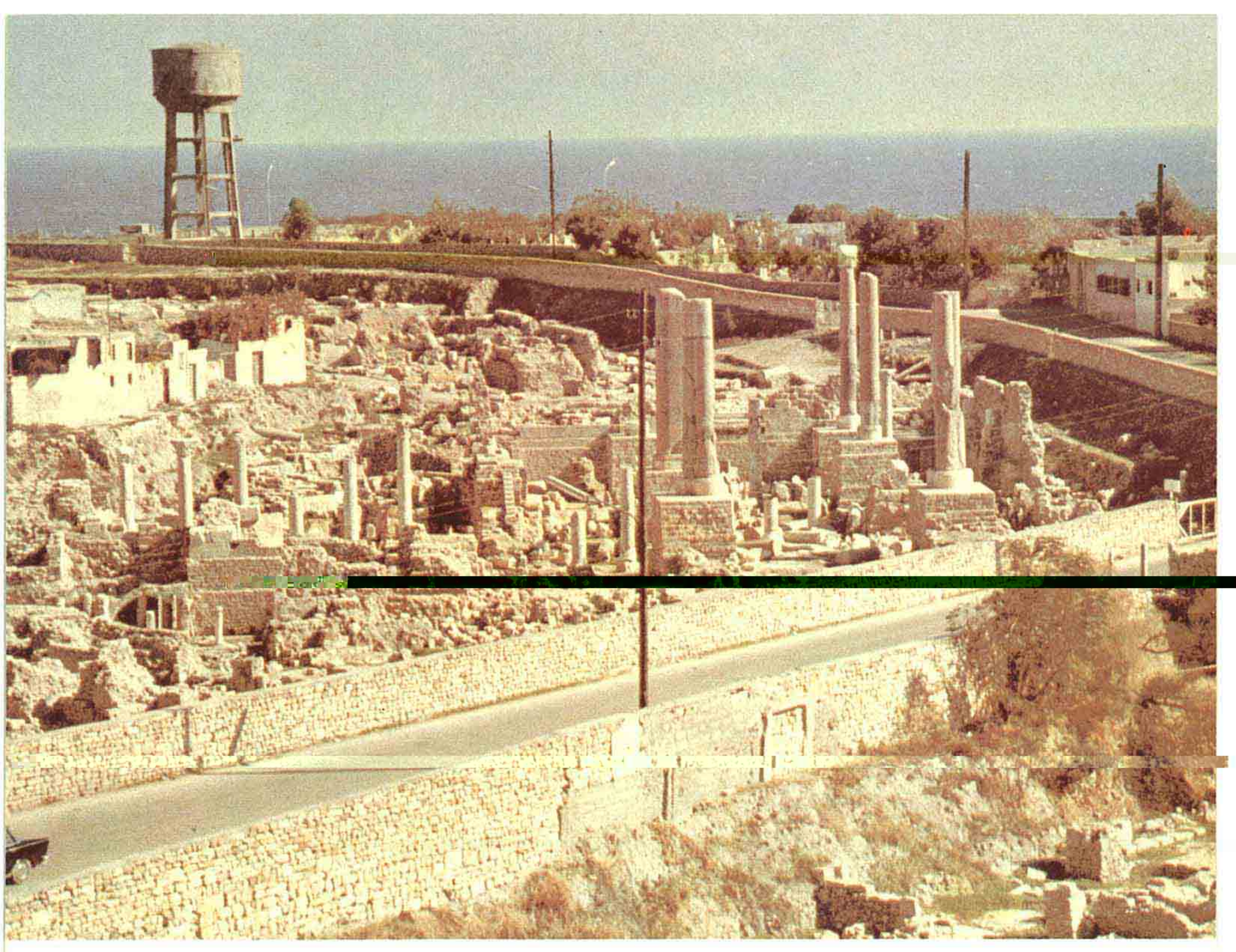
تمتعت مدينة صور بأهمية بالغة إذ جعلت أهم مركز لسك النقود أيام الإمبراطور « **ترايان** » . وكانت قد أصدرت عهد « **فسبسيان** » نقوداً للولاية السورية ، وازدادت أهمية المدينة من الناحيتين التجارية والسياسية حتى أنها فاقت صيدون .

وقد جعلها الإمبراطور الروماني « **سبتيموس سفيروس** » عاصمة سورية الفينيقية ، ثم رفع مقامها إلى درجة مستعمرة جزاءً ولائها له .

واعتبر بذلك أهالي صور رعايا رومانيين ، وحملت المدينة لقب « صور العاصمة مستعمرة سبتيموس سفيروس » .

[illegible]

كان الفتح العربي لصور على يد القائد « **شرحبيل بن حسنة** »



★ بقايا الكاتدرائية الصليبية ★

عام ٦٣٦م . وبرزت صور في عهد الخليفة الأموي « **معاوية ابن أبي سفيان** » ، إذ نقل إليها قوماً من أنحاء سورية ، وجعل منها مركزاً مهماً . وقام الصوريون بمساعدة معاوية في بناء أسطول لمحاربة البيزنطيين . ومن الناحية السياسية ، ألحقت صور ، عهد الأمويين ، بجند الأردن

وفي سنة ٩٧٣م ، دخلت صور في ظل الحكم الفاطمي . وخلال القرن الحادي عشر (١٠٤٧م) زارها الرحالة الفارسي « **ناصر خسرو** » ، وقال عنها إنها مدينة معززة بالمال والقوة بين البلاد الساحلية .

وحاول الصليبيون مراراً السيطرة على المدينة ، ولكن والي المدينة صالحهم ونقدهم سبعة آلاف دينار . وهكذا بقيت صور مدينة عربية . وقام الصليبيون بمحاولة للاستيلاء عليها عام ١١١٢م ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا سنة ١١٢٤م . ويذكر الرحالة « **ابن جبير** » ، الذي زار صور سنة ١١٨٥م ، إنها مدينة يضرب بها المثل في الحصانة ، أعدّها الفرنج مفزعاً لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لأمانهم .

حاول « **صلاح الدين الأيوبي** » الاستيلاء على المدينة ، لكنه لم يتمكن لأنها كانت مركزاً للصليبيين في سورية . وبعد محاولة صلاح الدين تمكن **المماليك المسلمون** عام ١٢٩١م ، من دخول المدينة . ويذكر « **القلقشندي** » أنهم دمّروها خوفاً من عودة الصليبيين إليها مرة ثانية .

صور حتى أيامنا الحاضرة

في عهد المماليك ، ألحقت صور بإمارة **صفد** ، وكانت حالة الخراب ظاهرة في أنحاء المدينة . وبعد المماليك ، دخلت في ظل **الحكم العثماني** .



★ أقنية مياه رومانية ★

وظلت المدينة على حال من الجمود حتى القرن الثامن عشر إذ غدت مركزاً تجارياً تصلها السفن باستمرار.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، انقشعت الحركة التجارية في المدينة بخاصة بعد سيطرة المصريين عليها. وعادت صور إلى السيادة العثمانية بعد الخسارة التي مُني بها «**محمد علي باشا**» في الشرق حتى كانت **الحرب العالمية الأولى** عام ١٩١٤م.

وفي الأول من أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠م، أعلنت **دولة لبنان الكبير**، ودخلت صور في نطاق هذه الدولة. ومنذ ذلك التاريخ، برزت كمدينة زراعية بفضل سهلها الخصب الممتد حتى صيدا، والذي يعتبر ركيزة اقتصادية مهمة. وزادت الحفريات التي أجريت في القرنين التاسع عشر والعشرين في أهمية المدينة، إذ إنها كشفت تاريخ هذه المدينة العريقة بصورة مشرفة.

صور مدينة الآثار

● أولا: حفريات القرن التاسع عشر

١ ـ قطع فخارية ونواويس: في عام ١٨٦٠م، باشر «**إرنست رينان**» حفرياته في عدة أماكن من المدينة وضواحيها. وعثر أثناء الحفريات على قطع فخارية بدا عليها التأثير الفرعوني، وعلى عدد من النواويس.

٢ ـ حفريات البعثة الألمانية: في عام ١٨٧٤م، قامت بعثة ألمانية، بإيعاز من المستشار الألماني «**بسمارك**»، بالبحث في الكنيسة الصليبية عن عظام الإمبراطور «**فريدريك بربروسّا**»، لكن حفريات البعثة لم تسفر عن نتيجة.

٣ ـ أول كتابة فينيقية: في عام ١٨٨٥م، وجدت أول كتابة فينيقية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.



★ ساحة السباق الرومانية ★

● ثانيـاً : حفـريـات القـرن العشـريـن

١ ـ مدافن ونـواويس رومـانية : في العــام ١٩٠٣ م ، قــام **«مكريدي بك»** أمين متحف « اسطمبول » بإجراء حفريات في **منطقة المعشوق** في صور ، وقد عـثر على نـواويس ومــدافن تعـود إلى العصر الروماني ، أو إلى العصر البيزنطي ، باعتبار أن البيزنطيين أعـادوا استعمال النواويس الرومانية .

٢ ـ حمّامات رومانية : تتميز بمجاريها وركائزها المتعـددة مـن الآجر حيثي تحتفظ بالحرارة . وقد استخدمت فيا بعـد زمـن البـيزنطيين والعرب .

٣ ـ بقايا فخارية وفسـيفساء وزجـاج ونقـود : عـــام ١٩٢١ م ، أجرت **العالمة الفرنسية «دنيز لو لاسّور»** حفـريات في ضواحي صور ، وعثرت العالمة على بقايا فخارية وفسيفساء وغير ذلك تعود إلى أزمنة تمتد من القرن الخامس قبل الميــلاد حـتى القــرن الســـادس الميلادي .

٤ ـ معبد فينيقي تحت الأرض : وجـد المعبـد إثـر التنقيـب بالقرب من صور عام ١٩٣٧ م . تبلغ مساحته حوالي ثلاثين متراً مـربعاً . تظهر على جدران هـذا المعبد صور ملـونة ، تعـود إلى القــرن الثـاني للميلاد .

٥ ـ شارع معبّد بالفسيفساء : يعود هذا الشـارع إلى العصر الروماني ، وتبدو على جانبيه أعمدة رخامية . بجانب هذا الشارع **ملعب مربّع** تحيط به مقاعد حجرية .

٦ ـ كاتدرائية نوتردام : بدأ الصليبيون بناء هذه الكنيسة عـام ١١٢٧ م ، على أنقاض كنيسة تعود إلى القرن الرابع الميلادي .



★ خزانات المياه الرومانية ★

● ثالثاً : حفريات البص

(أ) ـ قوس النصر : يقع في أول الشارع المؤدي إلى مدينة صور الرومانية ، ويبلغ ارتفاعه عشرين متراً . وقد عملت **مديرية الآثار اللبنانية** على إعادة بنائه . إلى جانب الشارع المذكور سابقاً قناة مياه كانت تزود صور بمياه الشرب من برك رأس العين .

(ب) ـ نواويس رومانية : يبلغ عددها ثلاثمئة ، تعود بتاريخها إلى القرنين الثاني والثالث . ويعتبر بعضها من أدق وأروع ما نقش زمن الرومان .

(ج) ـ ساحة سباق العربات : برزت الساحة بعد أن كانت مغطاة بطبقة من الرمال ، وهي ترجع إلى القرن الثاني الميلادي . إنها ساحة تحيط بها مقاعد تتسع لآلاف المتفرجين .

شهرة صور الصناعية والتجارية

تفوّق أهالي صور على جميع شعوب العالم القديم في قطاع الصناعة ، وبرهن الصوريون أن المجد والشهرة ليسا وقفاً على صاحب السيف فقط ، بل هما أيضاً من نصيب من يتفوّق في ميادين التجارة والصناعة . هذا ما ذكره « **رولنسن** » في كتابه «**تاريخ فينيقيا**» .

شملت تجارة صور حاجيات معروفة في القديم ، فتاجر الصوريون بالزيت واستبدلوه بالفضة ، وأرسلوا القدور النحاسية إلى بريطانيا . وباع الصوريون في أسواق مصر العطور والأواني الزجاجية ، ونقلوا إلى إسبانيا الأواني الفخارية . واهتم ملوك صور القدماء بتجارة الحبوب التي درّت على المدينة مبالغ طائلة .

وكانت أوروبا حتى القرن السادس قبل الميلاد بحاجة إلى زيت الزيتون ، فنقلت سفن صور هذه المادة إليها ، وعادت السفن مشحونة



★ منظر عام لآثار صور ★

بالفضة . وذاعت شهرة أهالي صور في الملاحة إلى جانب التجارة ، فكان الصوريون ملّاحين حاذقين ، واشتهروا في ميادين عدة منها صناعة المعادن والزجاج والصباغ الأرجواني . وازدهرت صناعة المعادن في القرن الحادي عشر . وهذا ما يتحدث عنه الرحالة (ناصر خسرو) حين يقول إنه شاهد على باب البلد ـ يقصد صور ـ مشهداً فيه قناديل من الذهب والفضة .

تفوّق أهالي صور في صناعة الزجاج ، حتى إن **« وليم الصوري »** نوّه بالزجاج النقي التي استمرت صور بإنتاجه حتى القرون الوسطى .

أما الصناعة التي تفردت بها المدينة دون سائر الممالك الفينيقية فكانت صناعة **الصباغ الأرجواني** . وبقيت طريقة استخراج هذا الصباغ طي الكتمان بحيث أن الصوريين احتكروا هذه الصناعة وأبعدوا عنها كل مزاحمة . واستعملت في صناعة الصباغة أنواع عديدة من الأصداف كان الصوريون يستخرجونها من المنطقة الممتدة من جبل الكرمل حتى مدينة صيدا .

التوسع الصوري

يقول J. Krall في كتابه « صور وصيدون » ما معناه : إن حركة الاستعمار عند الفينيقيين التي أحلت هذا الشعب مكانة رفيعة في تاريخ العالم ، هي في الحقيقة من مآثر صور وحدها . فأهمية صور تعود إلى قوة مستعمراتها . ولكن كيف نشأت هذه المستعمرات في البدء ؟

كانت المحطات التي أنشئت لصيد الأصداف ، وصناعة الأرجوان تستوعب الكثير من الأيدي العاملة . فيتجمّع الناس حيث مصبغة الأرجوان ويشكل هذا التجمع فيما بعد مستعمرة ، وبهذه الطريقة تمكن أهالي صور من السيطرة على كثير من جزر البحر الأبيض المتوسط ومناطق من إفريقيا وشبه جزيرة إيبريا .

أنشأ الصوريون مستعمرات على شاطئ فلسطين ، غايتها تسهيل التجارة مع مصر ، ونزلوا في **قبرص** (بالقرب من فاغوستا) منذ

منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وفي **رودس وتاسوس** ، حيث يذكر هيرودوت أنه شاهد في تاسوس معبداً **لهرقل** ، وأن سكان هذه الجزيرة فينيقيون قدموا من صور . واستوطن الصوريون **جزيرة مالطة** في القرن الثامن قبل الميلاد ، كذلك أنشأوا في **صقلية** وفي **سردينيا** عدة مدن مهمة . وفي بعض الجزر الإيونية كانت للصوريين قواعد اكتشفت فيها آثار فينيقية .

أما مستعمرات صور في شبه جزيرة « **إيبريا** » فانطلقت بمراكز تجارية على الشاطئ ، ثم بنى الصوريون مدناً في الداخل استمرت ناشطة حتى القرن السابع قبل الميلاد .

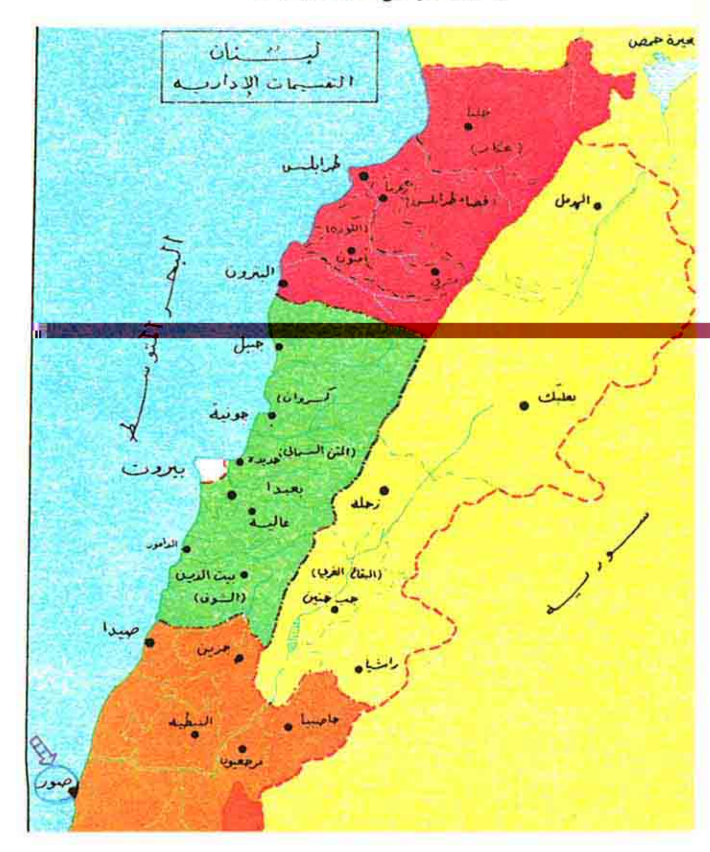
برزت على الشاطئ الإفريقي **مدينة « قرطاجة »** المشهورة التي تعد أشهر المستعمرات الصورية التي نافست روما ردحاً من الزمن . ويعود تأسيس قرطاجة إلى سنة ٨١٤ق . م ، واسمها يعني **(القرية الحديثة)** . ولا مجال هنا لذكر المستعمرات التي أنشأها أهالي صور في إفريقيا .

عباقرة من صور

رغم تفوّق الصوريين في الميادين التجارية والصناعية ، فإنهم برزوا أيضاً في **المجال الثقافي** خاصة في **العهدين اليوناني والروماني** :

★ « **مارينوس الصوري** » ، أحد الذين اشتهروا في حقل العلم ، يعتبر **مؤسس الجغرافية الرياضية** في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد . وقد أصدر هذا العالم كتاباً جغرافياً فيه أجمل الخرائط . ويذكر « **المسعودي** » أنه اعتمد على كتاب مارينوس .

★ مدينة صور على الخارطة اللبنانية ★



★ ومن أعلام المدينة « **باولوس الصوري** » ، خطيب بليغ نال إعجاب الكثيرين من أبناء عصره . وذاع صيت « **هدريانوس** » خارج صور في أهم مركزين وقتئذ في أثينا وروما .

★ ونشأ في صور **المتشرع « أولبيان » أستاذ الحقوق في مدرسة بيروت** ، الذي ارتقى أهم الوظائف في روما وكان يفاخر بأنه ابن صور .

★ ومن نساء صور البارزات « **أليسار** » التي بنت قرطاجة .

مأساة صور الحالية

صور مدينة على كل شفة ولسان . آثارها تقصف ، وسكانها يهاجرون . إنها مدينة الدمار والخراب التي تحولت إلى شبه قرية جنوبية .

« **منظمة الأونيسكو** » تدخلت ، فوجه مديرها العام « **أحمد إمبو** » نداءً إلى الأسرة الدولية قال فيه :

« إنني أوجه نداء إلى الأسرة الدولية بأسرها لتبدي اهتمامها الشديد بمدينة صور التي تمثل بالنسبة للبشرية اليوم حضارة عريقة للفينيقيين والآشوريين واليونان والرومان والبيزنطيين والعرب والصليبيين » .

وشدد المدير على أن المنظمة ستستمر في مساعيها من أجل حماية آثار صور التاريخية . وكان ذلك يوم الخامس من شهر أيار (مايو) سنة ١٩٧٩ م ، في مؤتمر باريس ، حيث أقيم « يوم صور في باريس » في رعاية رئيس الجمهورية اللبنانية وحضور **السيدة مهى الشلبي** المسؤولة الأولى في المؤتمر ورئيسة مهرجانات صور الدولية .

صور في الأمم المتحدة

انطلاقاً من « **اتفاقية لاهاي** » الدولية لعام ١٩٥٤م ، الهادفة إلى حماية التراث الثقافي زمن الحرب ، اعتبرت منظمة الأونيسكو مدينة صور « تراثاً عالمياً في خطر » . وقد اتخذت المنظمة خطوات عدة لحماية هذا التراث لدى الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة .

وفي التاسع عشر من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩م ، اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً يحمل الرقم ٤٥٩ يدعو فيه دول العالم إلى مساعدة لبنان على حماية مدينة صور وآثارها .

قرار مجلس الأمن رقم ٤٥٩

إن مجلس الأمن الدولي وهو يسجل الجهود التي اتخذتها الحكومة اللبنانية لتقوم الأسرة الدولية بالاعتراف بضرورة حماية المواقع الأثرية والثقافية لمدينة صور انطلاقاً من مبادئ القانون الدولي واتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤م ، والتي تعتبر أن مثل هذه المدن والأماكن الأثرية تشكل جزءاً من التراث الإنساني للبشرية بأسرها .

فقط ، كاميرات كوداك للتصوير الفوري مجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت .

ELECTRONIC FLASH

LIGHTEN

DARKEN

COLORBURST 250

A KODAK INSTANT CAMERA

MADE IN USA

الآن أصبح بإمكانك أن تضفي جواً مرحًا بكاميرا **كوداك** للتصوير الفوري.

إنها كاميرا للتصوير الفوري، الوحيدة المجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت.

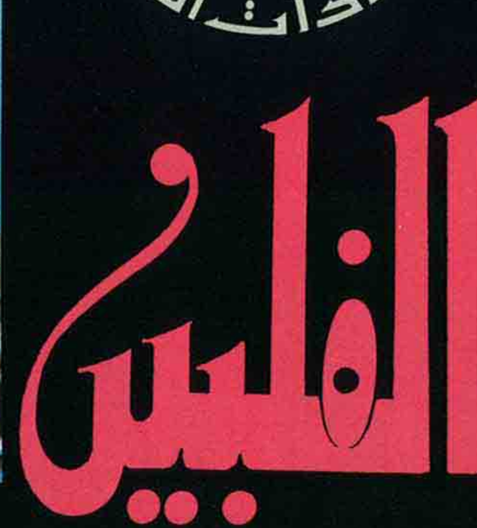
بكل بساطة، إلتقط صورة في غمضة عين وشاهدها تظهر أمام عينيك بألوان زاهية ساطعة من **كوداك** .

كاميرات **كوداك** للتصوير الفوري ، مجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت .



كاميرات التصوير الفوري من كوداك.

من عادات الشعوب





★ قروية في سوق باغيو (جزيرة لوسون) ★

تقع جزر (**الفلبين**) Philippines في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي لقارة آسيا ، وتبعد عن الشاطئ الأسيوي حوالي (٨٠٠) كلم ، وتشكل مجموعة الجزر أرخبيلاً Archipelago يحتوي على (**٧١٠٠) جزيرة** ، وبعض تلك الجزر عبارة عن صخور جرداء ليس لها أسماء . ويحد هذه الجزر **المحيط الهادي من الشرق ، وبحر الصين من الغرب والشمال ، ومن الجنوب بحر سليبس** .

تبلغ مساحة الجزر (٣٠٠,٠٠٠) كم٢ ، ويبلغ **عدد سكانها** ــ حسب إحصاء ١٩٧٠م ــ **(٣٦) مليون نسمة** . كما تبلغ الكثافة السكانية ١٢٢ نسمة في الكيلومتر المربع . ويقطن ثلث السكان في المدن ، كما أن نصف السكان هم دون الخامسة عشرة من العمر . وهم يتميزون بالحيوية والنشاط .

عاصمة البلاد هي مدينة (**كيزون**) ولها عاصمة موسمية صيفية هي (**باغيو**) . ومن أشهر مدنها عاصمتها القديمة (**مانيلا**) التي يبلغ عدد سكانها حوالي مليوني نسمة وهي الميناء الرئيسي في البلاد .

نظام الحكم فيها جمهوري ، ولغاتها الرسمية الفلبينية والإنكليزية . **وحدتها النقدية هي البيزو** Peso .

دخل الإسبان الفلبين سنة ١٥٢١م ، إثر اكتشاف الرحالة (**ماجلان**) لهذه الجزر ، وتم إنشاء العاصمة مانيلا سنة ١٥٧١م . وقد أطلق على البلاد اسم (الفلبين) تكريماً لفيليب الثاني ملك إسبانيا في ذلك الوقت . وقد سيطر الإسبان على كافة الجزر من الناحية الاقتصادية والسياسية مدة تزيد عن ثلاثمائة عام . وأثناء ذلك تم تحويل كثير من السكان الأصليين إلى المسيحية الكاثوليكية .

وعندما نشبت الحرب الأمريكية ــ الإسبانية سنة ١٨٩٨م ، قامت القوات الأميركية بمساعدة الحركات التحررية الفلبينية ضد الإسبان . وسيطرت الولايات المتحدة على الفلبين منذ سنة ١٨٩٩م ، ومنحت بعض الاستقلال للسكان المحليين سنة ١٩٣٤م ، لإدارة أمورهم الداخلية .

وقد احتل اليابانيون الفلبين إبان الحرب العالمية الثانية . ولكن الولايات المتحدة عادت إليها سنة ١٩٤٤م . وقد حصلت الفلبين على استقلالها سنة ١٩٤٦م .

لا ينص دستور الدولة على دين رسمي لها ، ولكن أغلب السكان من المسيحيين (٨٤٪ كاثوليك و ٣٪ بروتستانت) ، وتبلغ نسبة المسلمين ٥٪ من السكان . وقد قاوم المسلمون الفلبينيون حركات التنصير بشكل منقطع النظير . وكثيراً ما قاموا بثورات ضد التفرقة الطائفية التي يعانون منها حتى الآن .

وفي الجزر أديان وثنية قديمة أغلبها من الديانات (**الأرواحية**) Animism التي تعتقد بوجود الروح حتى في الجماد ، ومنها **أديان طوطمية**[1] .

المناخ استوائي ماطر خلال فصول السنة . وتغطي الغابات (٥٣٪) من الأراضي . وتبلغ المساحة المزروعة (٣٠٪) من الأراضي .

يعمل معظم السكان في الزراعة ، ويعتمدون في غذائهم على السمك إلى حد كبير . وتصدر الفلبين الأرز ، والقمح ، والسكر ، وجوز الهند ، والقنب ، والكاكاو ، وفلزات النحاس ، والخشب المعاكس (الأبلكاش) .

● العرب المسلمون سادة البحار ●

يقدر عدد المسلمين في الفلبين بحوالي مليوني نسمة، ويقطنون في منطقة **أرخبيل (سولو) وجزيرة (منداناو)** في جنوب البلاد.

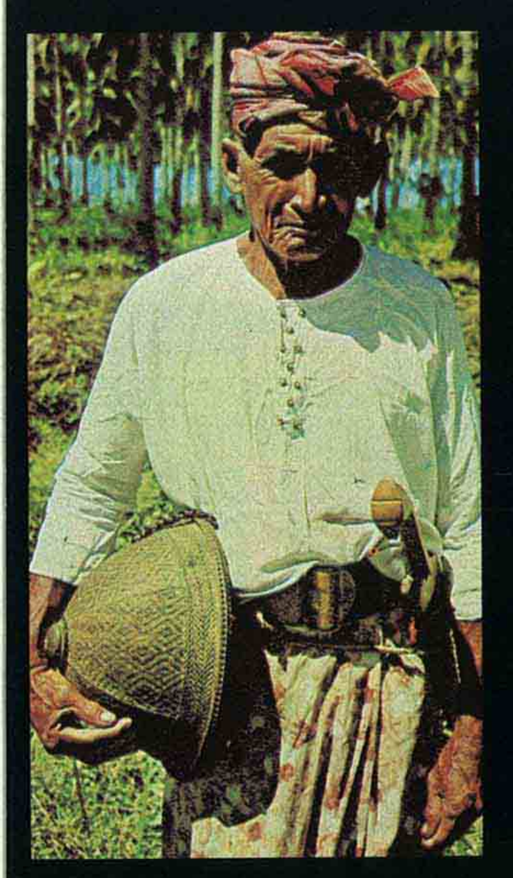
كان المسلمون دوماً في الفلبين سادة البحار والجزر. ويعتقد أنهم من العرب الذين وفدوا من الأندلس أو من تجار الجزيرة العربية من حضرموت وعمان واليمن، ومن المسلمين الذين وفدوا من أندونيسيا وماليزيا. ووجود العرب في بلاد الشرق الأقصى يثبت أنهم كانوا بحارة مهرة. وقد كان حكام الجزر الجنوبية كلهم من المسلمين. وقد حاولت السلطات الإسبانية تنصيرهم وتحويلهم عن دينهم ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل، ومني الإسبان بمقاومة إسلامية لا مثيل لها.

أما المسلمون اليوم فإنهم يعانون ضروباً من الاضطهاد الاجتماعي والسياسي، ويشبه وضعهم وضع الهنود الحمر في أميريكا، وهم من المنبوذين اجتماعياً واقتصادياً نظراً للتعصب الذي تمارسه السلطات ضد شعائر الدين الإسلامي.

وفي **جزيرة (منداناو)**، يعيشون في أكواخ صنعت من عيدان الخيزران والأخشاب. وكلهم من السنّة وعلى المذهب الشافعي، إلا أن كثيراً منهم دخل في الطرق الصوفية المنتشرة بينهم كالرفاعية والقادرية والنقشبندية.

ويبلغ عددهم في **أرخبيل (سولو)** لوحده مليون شخص، وقد كان السلاطين والحكام من جزيرة **(بالاوان)**. ويعمل المسلمون في النقل البحري في قواربهم الشراعية الصغيرة، وصيد السمك والزراعة.

★ لدى قبائل كالانغا يبقى الميت ضيفاً لدى أهله سبعة أيام في وضعية الجلوس ★



★ شيخ مسلم من جزيرة ميندناناو ★

ونتيجة للاضطهاد نظموا أنفسهم في حركة أطلقوا عليها **(مورو)**، الهدف منها الوصول إلى العدالة الاجتماعية عن طريق الجهاد.

ويطلق على العرب المسلمين لفظ **(موروس)** Moros وهي لفظة محرفة عن (مغربي أو مراكشي)، وهي الكلمة التي أطلقها الإسبان على عرب الأندلس.

لقد كان الحرف العربي هو المستخدم في كتابة اللغة الفلبينية، ويقرر ذلك القس الإسباني بدرو شيرنو Pedro Chirino سنة ١٥٩٠م، وكذلك **إغناتشيو فلامور** في كتابه (الكتابة الفلبينية القديمة) Antigna Escritura Filipina الذي يعلمنا بأن الفلبينيين يستخدمون ريشاً من الفولاذ، أو أقلام القصب التي يطلقون عليها لفظة (قلم) Kalam، ويقول بأن تلك الأقلام شبيهة بأقلام الخط العربي المستخدمة في دمشق وبغداد.

وقد وصل العرب إلى الفلبين في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، وهم من البحارة والتجار والفقهاء والمشايخ الذين



★ بنت صغيرة في قرية ترقص يوم خطوبتها ★

دعوا الناس إلى اعتناق الدين الإسلامي ، وكان لهم أكبر الأثر في حياة الفلبين وخاصة على حياة القبائل مثل تحريم الخنزير والخمر .

● الزنوج الأقزام ●

يعتبر بعض علماء السلالات أن الزنوج الأقزام (**نيغريتوس**) Negritos هم السكان الأصليين لجزر الفلبين . **وتبلغ قامة الفرد أقل من ١,٥٠ متراً** لونهم أسود ، وشعرهم أجعد ، وعظام الفكين والأسنان الأمامية بارزة .

وهم يعيشون حياة بدائية جداً في الغابات الكثيفة ، ويصيدون الحيوانات بواسطة السهام والحراب ، كما يقطفون الفواكه التي تنبت بشكل طبيعي في الغابات . وهكذا بقيت هذه العشائر الزنجية معزونة عن الحضارة حتى الآن .

وقد اكتشف هؤلاء الزنوج منذ حوالي عشرة قرون سر زبدة الكاكو وأثرها في التجميل . وأخذ الأوروبيون ذلك وأدخلوها في تركيب مواد التجميل .

وفي داخل الغابات تعيش عشائر وقبائل أخرى تعتقد بالمذاهب الأرواحية Animism ، ولم تمتزج مع بعضها بل حافظت على أصولها العرقية ، وهكذا نجد بينهم ماليزيين ، ومنغوليين ، وهنوداً صينيين . وتعيش سلالات بدائية أخرى في الجبال ، ولكل منها لغة تختلف عن غيرها .

● القبائل البدائية ●

على الرغم من أن تلك القبائل البدائية قد تحولت إلى النصرانية الكاثوليكية ، فإن هذا التحول ليس إلا تحولا ظاهرياً فقط . فهؤلاء البدائيين من قبائل الزنوج الأقزام (**النيغريتوس**) و (**الباتاك**) و (**الداياك**) وغيرها قد احتفظت بمذاهبها الأرواحية أو أديانها الطوطمية وعاداتها البدائية .

ويرتبط أفراد القبيلة أو العشيرة عن طريق المصاهرة والزواج . **وتعدد الزوجات هو من الأمور الشائعة** ، وكذلك **تعدد الأزواج بالنسبة لامرأة واحدة !** . .

فيمكن لامرأة ما أن تكون هي السيدة المطاعة والآمرة الناهية في بيت الزوج الأول ، وتكون لدى زوجها الثاني خاضعة لأوامر زوجته ! وهكذا فإن علاقات النسب والقرابة مختلطة إلى حد بعيد ، بحيث يصعب تتبعها ، ولذلك فقد ترك تحديد أمر النسب والقرابة إلى الكاهنات والعرافين .

وكثيراً ما تحدث حالات زواج بين المحارم ، وعندما يكتشف ذلك فعلى الزوجين أن يأكلا أرزاً مطبوخاً مع الأقذار يشاركهما كلب في طعامهما جزاء ما اقترفاه ، لأن « الزوجين كلبين لم يتقيدا بقواعد التحريم وعدم الزواج بالمحارم » .

أما الولادة ، فيجب أن يسبقها نظام غذائي خاص ، ولدى هذه القبائل المختلفة اللغات تتولى النساء العجائز الضغط على بطن الأم الحامل أياماً عديدة ! وعندما يخرج الطفل إلى النور تقوم إحداهن بقطع المشيمة ، ودفنها داخل الغابة .

أما الموت فهو مناسبة للفرح والرقص ، وله طقوس لا بد من ملاحظتها لدى هؤلاء . فمثلاً لا بد لأهل الميت من وضعه داخل جذع شجرة مجوفة ، ثم يقومون بإحراقه وهو متجه إلى الشرق . ثم يهجر المكان فترة من الزمن للسماح لروح الميت بمفارقة الجسد ، وعدم العودة إليه ! وبعد ذلك تُستخرج عظام الميت من بين الرماد ، وتطلى الجمجمة باللون الأحمر ، وتعطى لزوجته لتحتفظ بها في مكان أثير لديها . أما عظام الأطراف فإنها تزخرف بالألوان ، وتوضع على سطوح الأكواخ لتزيينها . وأما العظام الصغيرة فإنهم يصنعون منها عقوداً وأساور هي بالنسبة لهم أشبه ما تكون بالنقود ، حيث تم المقايضة عليها بأشياء أخرى ، أو يتزين بها الأقرباء والأصدقاء المقربون .

● قاطعو الرؤوس ●

إذا اتجهنا نحو الشمال في **جزيرة (لوسون)** سوف نقتنع تماماً بأن ذلك ليس أسطورة أو خيالا . وهم ليسوا من عشائر واحدة ولا من سلالة عرقية واحدة . ومما يميز نساؤهم أن جسمهن مملوء بالوشم بحيث



★ رقصة السينغ لك ★

يغطي الذراعين والصدر . وهم شبه عراة رجالا ونساء . ويعتقد هؤلاء بأن الأرواح الشريرة في كل مكان ، ولا بد لطردها من قطع رأس إنسان واحد على الأقل كل سنة واستخراج دماغه . « لأن ذلك يزيل الألم ويدخل الفرح والمسرة » كما يقولون ! . .

وبعد إمساك العدو من القبائل الأخرى ، يُفصل رأسه عن جسده بالبلطة ، ويجب أن يسيل الدم على قطعة قماش أبيض تعلق في البيت لطرد الأرواح الشريرة . ثم يتم سلخ الجمجمة قبل طبخها ، ويفصل العظم الجبهي عنها وتعطى لكل فرد من أفراد الأسرة قطعة منه . ثم يُستخرج الدماغ ويمزج بعصير القصب السكري ويُشرب . أما عظام الفك فإنها تصقل وتُلَمَّعُ وتُستخدم كأداة موسيقية للنقر أو للضرب على الصنوج . ثم يضرب جسم الضحية بالفؤوس القاطعة ، ويربط إلى جذعين من جذوع الأشجار في وضعية الجنين ، ثم يرمى في المنطقة المحايدة خارج القرية ليأخذه أهله ! . . ويضعه هؤلاء في حفرة مكشوفة ، ويتحلقون حول الحفرة لساعات طويلة وكأن على رؤوسهم الطير ، لا ينبسون ببنت شفة ، بينما تستقر عيونهم على الجسد الذي اخترقته الفؤوس ، وقد اعتراهم الخجل أن يفقدوا إنساناً عزيزاً عليهم بهذه الطريقة الوحشية التي ارتضوها لأنفسهم .

● قبائل إيفوغاوس ●

وهي قبائل بدائية يبلغ عدد أفرادها ثمانية آلاف شخص . وقد أطلق عليهم أحد علماء الاجتماع الذي عاش بينهم عدة شهور اسم (السادة المتوحشون) . ويختلف هؤلاء عن بقية القبائل البدائية بأنهم يعرفون الزراعة . والطريف في الموضوع أن الأدوات المستخدمة في حراثة الأرض وعزق العشب وغيرها ،

لا تختلف أبداً عن الأدوات التي استخدمها الإنسان في العصر الحجري . وهم يتجنبون كل أجنبي لا يتكلم لغتهم . والزواج والقيادة والتحالف كلها تتم بالمبارزة والقتال ، مع مراعاة لفترات الهدنة ، وعدم تجاوز الحدود المرسومة لأراضي المعارك ، فحول كل قرية من قراهم توجد منطقة محايدة يمكن أن يدخلها من يشاء من القبائل ، ويذهب إليها الأهل لتزويج بناتهم . ومن الغريب أن طقس الزواج إنما هو نحيب وعويل وبكاء ، لأنه فراق للعائلة .

ومنطقة الحياد منطقة الحرب حيث يمكن لكل شخص أن يلاقي عدوه وأن يحصد رأسه . وحصاد رأس العدو إنما هو « واجب قبلي نبيل » ! .

ولدى هؤلاء القوم نظام للرق ، يحق فيه للدائن أن يسترق مدينه إذا عجز عن الوفاء ، وأن يبيعه في السوق في أقرب مدينة ، ولا فكاك له من هذا الأسر سوى أن يجد من تقبل به زوجاً لتفتديه بمالها ، أو بالمقايضة عليه بالصدف الثمين أو حبات الخرز .

● الموسيقى ●

الموسيقى مختلفة كثيرة التنوع ، ويمكن تعليل ذلك بتنوع الأصول اللغوية والعرقية ، إضافة إلى أن هؤلاء السكان يتوزعون على سبعة آلاف جزيرة ، يضاف إلى ذلك خليط من الثقافة الأسيوية والإسبانية . ومع ذلك نجد أن هنالك موسيقى خاصة بالسكان البدائيين . فمثلاً لدى **قبائل (الناغا)** بعض الأغاني التي تشبه الأغاني الصينية ، أما بقية الأغاني فهي ذات سلم موسيقي من أربع علامات موسيقية **فقط** هي **(فا ، سول ، لا ، سي)** ، وتوجد بينها أنصاف النغمات (دييز أو بيمول) . كما أنه لدى قبائل أخرى نجد أن السلم الموسيقي له ثلاث علامات فقط ، ويسمى هذا في الموسيقى الغربية اصطلاحاً **(تريتون) . ويبرهن هذا على أن هذه الموسيقى تعود إلى ما قبل التاريخ المكتوب .**

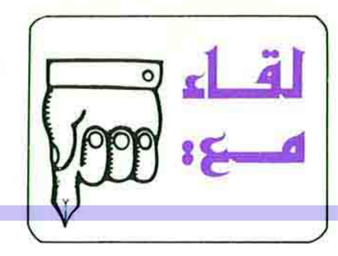
وتتنوع الأغاني ومواضيعها ، فهناك أغاني الغزل ، وأغان دينية خاصة بالأرز ، وأغان وأناشيد للعمل ، وترانيم سحرية ، وتراتيل طبية ، وأغان لقطف الفاكهة وتغنى جماعياً من جوقة مختلطة من النساء والرجال .

والآلات المستخدمة هي آلات القرع والنقر مثل صنوج الأصابع ، والصنوج الكبيرة ، والأصداف ، والطبول ، وأعواد الخيزران .

وهناك رقصات خاصة بكل جزيرة ، ومنها رقصات سكان الجبال أو التي تؤدى فوق أربعة عيدان أفقية من الخيزران ، على الراقص أن يقفز بينها بخفة ، ويطلق عليها اسم **(سنغ لك)** و **(تنغ لك)** ، ويرافقها ايقاع أعواد الخيزران ، ويتسارع الإيقاع والرقص ، وعلى الراقص أن يقفز بين تلك العيدان التي يقوم الموسيقيون بإبعادها ثم تقريبها لتصطدم ببعضها .

الحواشي

(١) الطوطم : صورة حيوان ، أو الحيوان نفسه ، تقدسه القبائل البدائية كالتمساح أو النمر تعتقد أنه جدها ، ويعتبر لحمه محرماً عليها .




الشاعر عبد الله البردوني


الشاعر عبد الله البردوني

★ من مواليد قرية البردُون في اليمن ١٩٢٩ م .

★ ليسانس لغة عربية وشريعة .

★ اشتغل بتدريس اللغة العربية والآداب من سنة ١٩٥٤م ـ ١٩٦٢م .

★ يعمل الآن كاتباً إذاعياً وصحفياً .

★ **مؤلفاته** : سبعة دواوين شعرية ، رحلة في الشعر اليمني ، قضايا يمنية ، مذكرات محارب ، فنون الأدب الشعبي .

★ له رواية مخطوطة .

★ حضر كثيراً من المؤتمرات الأدبية في البلاد العربية وأحيا كثيراً من الأمسيات الشعرية .

اعد الحوار :
ابراهيم عبد الله مفتاح

• يجب أن يكون الشاعر في حالة حضور حتى لا يكرر نفسه

الشاعر والنقد

• إلى أي حد يمكن أن يكون الشاعر ناقداً للشعر؟ وهل يمكن أيضاً أن يكون ناقداً لشعره؟

•• بمقدار ما يكون الشاعر مثقفاً شعرياً ومثقفاً فكرياً يكون ناقداً ، لا يكفي أن يكون الشاعر شاعراً لكي يكون ناقداً ، لكن لا بد أن تكون له ثقافة الناقد كشاعر ثم ثقافة الناقد كناقد لأن النقد ثقافة ، لكي يصل من خلال الثقافة إلى نفسية الشاعر وإلى بيئته التي كونته وإلى التربية التي أعدته ، ثم لا بد أن يكون الشاعر أنجح من الناقد التقليدي لأنه ينطلق من خلال تجربة المعاناة ، فإذا توفرت للشاعر الثقافة والحساسية نحو العبارة التي يتلقاها كالحساسية التي يعامل بها كلمته فسوف يكون نقده أكثر غوصاً وأكثر دخولا في الأعمال الأدبية وفي نفسية الأديب ، وكثير من الشعراء يكتبون النقد ويبدعون فيه ، بل إنك لا تجد ناقداً محترفاً أو ناقداً متخصصاً إلا وقد بدأ حياته بالكتابة الإنشائية كالشعر والخواطر والقصة القصيرة .

لا بد أن يكون الناقد منشئاً وعاملاً في إنتاج الكلمة قبل أن يتعامل مع الكلمة كناقد ، فالشاعر يمكن أن يكون ناقداً بشرط أن يكون مثقفاً ، وإذا اكتملت شاعريته وثقافته فسوف يكون نقده أكثر نفوذاً إلى بواطن النصوص وإلى باطن صانع النصوص . لكن هناك فرقاً أو بعض فروق صغيرة بين الشاعر الناقد وبين الأكاديمي الناقد باعتبار أن الأكاديمي يعنى برصد الظواهر وامتداد المدارس بعضها من بعض وتصنيف شعر الشاعر مدرسياً ، بينما يمكن للشاعر الناقد أن يتعامل مع الكلمة وما في دخائلها من سر وما في دلالاتها من إيحاء أو إشارات أكثر من الناقد الأكاديمي أو الناقد المتخصص . لكن الطرف الآخر أو الشق الآخر من السؤال عبارة :

هل يكون الشاعر ناقداً لشعره؟

والواقع أنه يمكن أن يكون الشاعر على حالة حضور من أشعاره حتى لا يكرر نفسه وحتى إذا كررها فيكرر بعض الملامح لا كلها .

يمكن الشاعر عندما يبلغ سناً من النضج أن يقيم نفسه وأن يتطور وأن يفتتح آفاقاً لم يفتتحها من قبل ومن هذا التقييم يمكنه **كيف يستطيع أن يدخل على ضوء الغرابات إلى عالم غريب؟ وكيف يكتشف عالماً جديداً ؟**

إن تقييم الشاعر لشعره لا يشكل نقداً معيناً ولا مذهباً من مذاهب النقد ، وإنما هو يستطيع من خلال نقده لنفسه أن يطور إنتاجه الشعري بحيث تختلف القصيدة عن أختها وبحيث تختلف كل مجموعة عن سابقتها .

الفلسفة لا تفسد الشعر

• الشعر ما الذي يفسده انطلاقاً من رأي بعض النقاد أن الفلسفة والمنطق يفقدان الشعر غنائيته وبالتالي يبتعد



• لابد أن يكون للمؤرخ حسّ وطني
• التجربة الإنسانية تبقى في

عن جوهره كشعر ؟

●● لا يفسد الشعر شيء كما تفسده الرداءة أو غياب الأصالة المتنامية . أما الفكر والفلسفة والتثقف فهو يعتبر زيادة في صقل الشاعرية وزيادة في جودة سبك الكلمة وتطويرها .

صحيح أن الفلسفة أو الأفكار الفلسفية تفسد الشعر إذا كانت عن تخطيط مسبق بحيث ينظم الشاعر القصيدة على أساس أن لديه أفكاراً جاهزة ويمكننا ملاحظة هذه الظاهرة في بعض قصائد **المتنبي** أو في بعض قصائد « **أبو العلاء المعري** » عندما يضع الفكرة الجاهزة في بيت منظوم نظماً جيداً كقول المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

فهذه الفكرة جاهزة وإنما وضعها المتنبي ووضعها عنده جميل إلا أن الفكرة قللت شيئاً من تناسق التجربة ومن تدرج عضويتها فهناك فرق بين الفلسفة المسبقة التي تقحم على الشعر وتقولب فيه وبين الأفكار التي تتنامى عضوياً من خلال صنعة القصيدة .

الأفكار التي تتوارد من خلال تناسق القصيدة ومن تدرج تجربتها هامة جداً لأن الأفكار من أكبر عوامل بقاء الشعر ، والدليل على أن للشاعر تجربة ونظراً إلى الحياة ورأياً في الثقافة باعتبار أن الشاعر يشكل دلالة إلى الوجود ويشكل اختباراً في الحياة ، ولا يمكن للشاعر أن يعبِّر عن تجربة ذات قيمة وينطلق من منطلق جيد إلا إذا كان له رصيد من الأفكار وله تفلسف ورأي في الحياة .

لكننا نشترط ألا تكون هذه الأفكار مسبقة على العمل الشعري أو على اللحظات التي يتوالد فيها هذا العمل . فالفلسفة والأفكار لا تفسد الشعر وإنما هي عنصر هام من رؤية الشعر ، وأعتقد أن أي شاعر أو أي روائي لا يملك سوابق فلسفية ينطلق منها لا يمكن أن يسمى روائياً مجيداً ولا شاعراً مبدعاً .

فالقاعدة الفلسفية ضرورية ، لكن هناك فرقاً بين القاعدة الفلسفية الفنية وبين القاعدة الفلسفية كفلسفة .

الإلهام والأصالة

• هل معنى هذا أن الشعر يجب أن يكون وليد الساعة والإلهام الوقتي المباشر ؟

●● الإلهام والخيالات لا بد أن تكون من قاعدة فكرية ومن قاعدة فلسفية لأنه لا يوجد إلهام بحت وإنما الإلهام الشعري أو ما نسميه بذلك نتيجة مواصلة جهود في التفاعل مع النفس وفي التفاعل مع الكلمة وفي التفاعل مع الحياة التي تصنع الكلمة ، فلا بد أن يخضع الشاعر أفكاره الفلسفية للعنصر الفني الأكثر بهاءً لأن الفكرة كلما كانت أخفى بالعناصر الجمالية في الفن كانت أقوى وأبهى .

قد يهتم المفكر أو الفيلسوف بإبراز الأفكار وتوضيحها أو شرحها لكن الفنان لا بد أن تكون الأفكار عنده أكثر إخفاء بحيث يكون **البهاء الفني** أكثر غلبة من الأفكار .

الإلهام في الفن أو اللحظات الحبلى هي نتيجة الأصالة توافرت والعناصر الجمالية احتشدت في حالات معينة ، لكنها لا يمكن أنها جاءت من فراغ ولكنها تجاوب الخارج مع الداخل أو ما سماه **الجوجاني** : « **موافاة الطبيعة الشعرية** » .

في هذه الحالة إذا كان الشاعر مثقفاً فلسفياً ومثقفاً فكرياً وحياتياً ، فلا بُدّ أن تنساب الأفكار متساوقة ومتجاوبة مع العمل الشعري .

نحن نلاحظ مثلاً في **الشعر العربي** مثل أشعار صالح عبد القدوس أكثرها أفكار تعليمية لأنه عني بالدعوات التربوية وكانت هذه جليلة الإثارة الشعرية لأن الفن التعليمي أو الفكر التعليمي غلب على العنصر الفني .

عصر الشاعر

• كيف يمكن للشاعر أن يكون شرياناً ممتداً في المستقبل ؟

●● الشاعر نقطة عالية بين الماضي وبين الحاضر لكن الذاكرة أغلب على الحلم باعتبار أن الحلم يرنو إلى المستقبل وباعتبار الذاكرة من صنع الأيام السالفة ومن ذكريات الناس وذكريات الحياة ومما نسميه **بالتركيز التاريخي** ، فالشعر نقطة عالية بين الذاكرة وبين الحلم أو النقطة العالية بين الزمان الآتي والزمان الماضي . فالشاعر لا يمكن أن يكون مستقبلياً إلا إذا كان ممثلاً ومعبِّراً عن عصره ، وعصر الشاعر ليس منقطعاً عن سائر العصور . . عصر الشاعر نقطة تجمع لكل ما أنتجته العصور الماضية من الفنون والثقافة ، وبالأخص **الثقافات الفكرية والثقافات الأدبية والفنية** ، فالشاعر عندما يمثل عصره ويستوعب مراحله وتجربة الناس في هذا العصر ، يكون قد استوعب مرحلة المستقبل لأنه اعتصر ما أعطى الماضي وما استلهم من الحاضر ، فالشعر

وأمانة في مستوى هذا الحس. أي شكل من التعبير فناً أبدياً.

الذي سيكون مستقبلياً هو الذي استوعب مرحلته ، ولنأخذ على ذلك مثلاً : **المتنبي وشكسبير ودانتي** ، هؤلاء الناس الذين عبَّروا عن عصرهم بكل أبعاده وبكل ما فيه من التيارات الثقافية والصراعات الإنسانية ، أمثال هؤلاء هم الذين تبقى آثارهم مثار الإعجاب لأنهم استوعبوا عصورهم ، وكل عصر يكون صورة وعصارة عصور متعددة ، فالشاعر المستقبلي هو الذي يعبِّر عن كل خلجات عصره وعن تجربة بشرية امتدت من الماضي إلى العصر الذي يعيشه الشاعر لكي تكون تجربة في المستقبل .

فالشاعر لا شك أنه مستقبلي ، قد يختلف شكل تعبير عن شكل تعبير ، لكن التجربة الإنسانية تبقى في أي شكل من التعبير فناً أبدياً .

المسألة ترجع إلى الناقد

● لو وجه نقد إلى الأدب اليمني فما هي أبرز الجوانب التي سيوجه إليها هذا النقد ؟

●● لا شك أن النقد لا يوجه إلى أدب شعب من الشعوب لأن أدب أي شعب يحتوي على عدة شعوب أخرى . الأدب في اليمن كغيره في أي بلد من البلدان العربية . الشعراء فيه متفاوتون في الملكات وفي المحصول الثقافي وفي الاهتمامات ، فلا يمكن أن هناك من ينقد أدب اليمن لأنه في جملته متكاملاً ، لكن النقد سيتناول الأعمال الأدبية وسيتناول المنجزات ويصنفها ثم يرتبها ، وعندئذ يمكن أن يجد عند هذا ثغرة وعند هذا نقصاً وعند ذاك ميزة أكثر وعند شاعر آخر أو أديب مزايا أكثر من سابقيه . يجد هذا أكثر احتفاء بالمعاني وذاك أكثر اهتماماً بالبريق اللفظي .

إذا وجه نقد إلى الأدب اليمني فسوف يتناول كل الأدباء وكل إنتاجهم ، ويمكن أن الأدب اليمني إذا وجهت إليه نقود من المهتمين بالنقد ومجيديه فلا بد أن الناقد يعرف مهمته . فالأدب اليمني لا يمكن للمرء أن يقول : إنه يتمتع بكل المزايا وكذلك ليس فيه كل النقائص ، فهو كالأدب في أي بلد من البلدان . الشعراء متفاوتون والكتَّاب أيضاً متفاوتون ، وأظن أنه لم يحدث نقد أو يتجه إلى أدب بلد معين .

المسألة ترجع إلى الناقد . **هل يعرف هذا الناقد مذاهب النقد كلها ؟ أي نقد سوف يوجه إلى الأدب اليمني ؟ النقد الاجتماعي ؟ أم النقد التاريخي ؟ أم النقد التأثري ؟ أم النقد الأيديولوجي ؟ أو النقد الانطباعي ؟**

هذا راجع إلى الناقد إذ لا يمكن أن يكون شعراء اليمن كلهم صنف واحد ولا كلهم في مرتبة واحدة ، ومثل هذا في كل بلد عربي .

لكنني لو كلفت ــ أنا شخصياً ــ بنقد أدب اليمن فيمكن أن تكون هذه القضية مشروعة لي أو لغيري من أدباء اليمن باعتبارنا أكثر معرفة بالحياة الواقعية التي نعيشها وما تتطلب من الإفصاح ومما نسميه **بحاجة الواقع** وما هو الزائد على هذه الحاجة وما الذي يعبر عن المجتمع أكثر . فالأدب السعودي مثلاً يمكن أن ينقده ناقد سعودي أفضل مما ينقده ناقد كويتي . لأن الدارس الذي يدرس أدب بلاده من الداخل يستطيع أن يصنفه ويرتبه ويرتب أزمانه ، وإذا وجه نقداً معيناً فلا يمكن أن يتجه إلى كل الأدب جملة أو الإشادة به كله ولكنه لا بد أن يراعي تفاوت الملكات وكذلك لا بد أن يراعي الفترات وبالتالي **أي أدب نعني ؟ هل الأدب اليمني المعاصر ؟ أم الأدب اليمني القديم ؟ أم الأدب اليمني في المراحل الوسطى ؟**

يمكن أن نقول : مؤرخ أدب . أما أن نقول : ناقداً للأدب اليمني فهذا لا يحدث ، وإذا قلنا : إنه يحدث وهناك من يتقصى المعائب فيمكن أن يلاحظ على الأدب اليمني بأن المرء يحس بأن الشعر في غاية ازدهاره ، وأن القصة ما تزال تحبو في مدرج الطفولة ، كذلك المسرحية ما زالت في دور التكوين ، والصحافة أيضاً لم تبلغ المستوى المطلوب .

يمكن للمرء أن يلاحظ إذا درس الأدب اليمني أن الرواية والمسرحية والقصة والكتاب الدراسي لم تكن في مستوى الشعر . هذا ما يمكن للمرء أن يعرفه من أول نظرة سواء كان ناقداً أو متقصٍ لمسيرة الفن والثقافة .

التقليد دليل الأصالة

● نعرف مما تقدم أن الشعر في اليمن هو الأكثر بروزاً على الساحة الأدبية . ما أسباب ذلك ؟

●● هي نفس الأسباب التي تكاد تكون في البلاد العربية كلها . أولا : أن الشعر فن وراثي والفن الوراثي له تاريخيته وله تطوره مع التاريخ ، وكلما جاءت فترة افتتحت آفاق جديدة وانهمرت بمعطياتها . وهذه المعطيات تضيف إلى العراقة رصيداً جديداً لأن العربي شاعر بالطبيعة ولأن الشعر العربي أمضى أكثر من ألف وخمسمائة سنة في تجربته فتوارثته الأجيال ، وكلما كان له تاريخ كان له حاضر وكان له مستقبل .

فالسبب في ازدهار الشعر أنه فن وراثي ولم يكن مستحدثاً كالرواية أو كالمسرحية التي تعتبر من الروافد الثقافية وليس لها أصالة الشعر العربي .



• لا أفكر في كتابة تجربتي الشعرية
• الناقد يجب عليه أن يلم

صحيح أن الفن العربي فيه بعض الحوارات كما في بعض الشعر الجاهلي والشعر الأموي حيث كان يقوم على نوع من الحوار الجدلي والنفسي مثل : قالت ، وقلت ، وقال ، وقلت ، وهذا ما سماه علماء النحو القدماء «**بالفنقلة**» ، لكنه في منتصف القرن الرابع أضيف ما سمي «**بالمقامة**» وكانت قصة ذات حكاية أو حكاية ذات قصة وكلها كانت تعتمد على **الإثارة الشعرية وعلى المعجم اللغوي الغريب وعلى المعجم اللغوي المتعاضل** ، ومنذ منتصف القرن السادس وجد ما سمي بالمسرحيات أو التي سميت «**بالبابة**» في مصر وأول من أبدعها **محمد بن دانيال الموصلي** . لكن هذه لم تشكل مسرحاً ، والمسرح ليس عربي التاريخ أو عربي النشأة وإنما هو تقريباً مستورداً وأستطيع أن أقول مستفاداً من **الفن الأوروبي** .

كذلك **القصة** القصيرة أو الطويلة أو **الرواية** . فتاريخنا العربي فيه الكثير من الأقاصيص لكنها تأخذ شكل الحكاية ولا تملك العقدة الفنية أو التعقيد الفكري أو الحوار والهدف أو الصراع الدرامي . فالقصة في مفهومها الحديث وتعقيدها الفني الراهن إنما هي مستفادة من الثقافة الأوروبية .

لكن الشعر نشأ في الأرض العربية وأنضجته حرارة الصحراء ثم تطور من زمن إلى زمن .

صحيح أنه قد مرت فترات سموها **فترات الانحطاط** وهذه الفترات أوجدت ما سمي **بالشعر البديع** وأوجدت ما سمي **بالشعر الزجلي في الشام ومصر أو الشعر النبطي في الخليج وشبه الجزيرة أو الشعر الحميني في اليمن** . فالشعر في الحقيقة بكل أشكاله الزجلية والنبطية والحمينية والشعر الفصيح الذي سماه **الحكمي** ، كل هذا فن موروث يستطيع أن يتعامل مع كل الفترات وأن يستقبل المعطيات لكل فترة من الفترات ، ولديه القابلية للتجدد من داخله لأنه يستطيع التجاوب مع كل ظواهر الخارج ومستحدثاته ، وهذا يجعلني أعتقد بأن ازدهار الشعر في اليمن يرجع إلى وراثية الشعر وإلى عراقة هذه الوراثة بالإضافة إلى أن الوراثة مجرد خلفية . لكن أصالة الشاعر وكثرة أحاسيسه النفسية وامتلائه بالحس الشعري هي التي تجعله يستفيد من هذه العراقة .

فالسبب في ازدهار الشعر في البلاد العربية كلها هو أنه فن أصيل استطاع أن يستفيد وأن يكتسب كثيراً من الخصوصيات الجديدة مما جد في الحضارة المعاصرة وفنونها ، بينما القصة أو الرواية ما تزال جديدة . أضف إلى ذلك كله الجمهور كطرف هام باعتبار أن كاتب الشعر أو كاتب القصة أو كاتب الرواية استحضر الجمهور .

والجمهور في شبه الجزيرة العربية لم يتمسرح ولم يتكون في نفسه الحس القصصي ومتابعة الاشتباك في القصة . وأظن أن الجزيرة العربية أميل إلى السرد المتدفق أكثر منها إلى التحليل والتفصيل وصنع الحوار واشتباك الأفكار بطريقة حوارية .

الناس في الجزيرة العربية أميل إلى أن يقلدوا والتقليد دليل على الأصالة لكن هناك اعتبار هام جداً لحاجة الواقع . أنا أتصور أن التمثيلية الإذاعية والحوار المسرحي في شبه الجزيرة العربية والخليج وفي اليمن لا تدل على حاجة اجتماعية وإنما تدل على ترف فني أو تقليد لما عند الآخرين لكي نوهم بالتقدم ، ويمكن أن مجتمعنا في شبه الجزيرة العربية غير متمسرح بدليل ملاحظة أن الناس الذين لهم مكانة أكثر يتحدثون بكثير من البلاغة المتطورة وليس البلاغة القديمة أو المعاصرة وإنما أقول البلاغة المتطورة . ربما لأن هذا المجتمع مجتمع تركيبي وأصيل ، ولأن حضارته تعتمد على الفخامة وعلى التجمع أو على وحدة الصحراء مثلما في الجزيرة العربية أو سموق الجبال وامتداد الأودية ووحشة الأغوار في اليمن ، فهذه البلدان بتركيبها الحضاري وتركيبها الجغرافي وامتزاج هذه التركيبات بعضها في بعض يمكن أن يكون الفن الشعري أو الفن الخطابي أو الفن الأحاديثي أكثر توصيلاً وأكثر إثارة للجمهور في هذه المنطقة ، لأن هذا الجمهور قابل لأن يتطور أكثر . فالشعر أصيل ويجب أن يتشكل وأن يتدفق وأن يكون خطابياً وإيقاعياً وأن يكون هامساً وكذلك ذا رنّات متفاوتة ، فهو قد نشأ وتطور لخصوبة عراقته ولقدرتها على التطور والامتزاج بكل حاجات الواقع .

حياد المؤرخ

● **هل يمكن للمؤرخ أن يكون محايداً حين يكتب قضايا لها مساس بالوطن ؟**

●● هذه المسألة تكاد أن تكون من المسائل الشائكة . كيف يمكن أن يتخلى المؤرخ أو الإعلامي عن الحماس لوطنه وبالأخص عندما تدهمه الكوارث أو عندما يلاقي أي نوع من أنواع الهجوم أو الحروب ؟ كيف يمكن للمرء أن يتخلى عن عواطفه الوطنية ؟ . . فالمؤرخ لوطنه لا بُدّ أن يكون وطنياً ، إنما يوجد فرق بين التعصب القبلي وبين توفر الحس الوطني . يمكن للمرء أن يؤرخ لوطنه بكثير من الأمانة وبكثير من العلمية . لكن العلمية ليست العواطف ، والعواطف لا يمكن أن تتنافى مع العلم .

العواطف نوعان : العواطف التي تقوم على أساس عقلي أو العقلية

لأنني أفكر كيف أحسن تجربة الشعر.. بمذاهب النقد كلها.



التي تقوم على أساس عاطفي فلا يمكن أننا نعتبر أن المؤرخ يحسن إلى وطنه عندما يتعصب له تعصباً قبلياً لأنه سيضره ولا يمكن أن يتخلى عن إحساسه الوطني وبالأخص إذا انتفع العدو بكتابته.

الأمانة التاريخية إذا اعتبرنا أن التاريخ هو سرد وقائع الماضي وتدوين علم الماضي لم تعد القضية قضية وطنية آنية وإنما أصبحت تراث الوطن.. فهنا لا بد من الصدق والصدق غير المبالغة وغير التعصب، يمكن أن يكون المؤرخ محايداً في الفترات السلمية وفي فترات الاعتماد على الحقائق كأساس وإن كان الاعتماد على الحقائق ضرورياً في كل آن لكن هناك فرق بين الاعتماد على الحقائق للكشف وللوصول إلى ما هو أبعد واستغلال الحقائق في ظروف استثنائية فلا بد أن يكون المؤرخ أميناً على أي شكل من أشكال الأمانة.

هناك نقاش حول **المذيع** مثلاً لو كان وطنه في حالة حرب. **هل يتخلى عن الحماس؟ هل يمكن أن يؤدي كل حدث بنفس الأداء؟**

هناك من يرى أن الوطنية والحماس الوطني ضروريان. وهناك من يرى أن الهدوء والاتزان الصوتي أنجح إعلامياً. لكن هناك فرق بين المؤرخ وبين الإعلامي باعتبار أن العمل الإعلامي آنيّ وباعتبار أن عمل المؤرخ تبنى عليه حقائق.

إذن لا بد أن يكون للمؤرخ حسّ وطني وأمانة في مستوى هذا الحس.

المؤرخ والتاريخ

● هناك من يقول بأن تاريخ أي فترة لا يكتب على حقيقته إلا بعد مرور تلك الفترة لأن المؤرخ عندها يكون بعيداً عن المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هل هذا صحيح؟

●● هذا صحيح إلى حد بعيد ويمكن أن القضية قابلة للتساؤلات وللإضافات. مثلاً الذي يؤرخ الفترة سيكون مؤرخ تسجيل، والذي سيؤرخ بعد انتهاء الفترة والدخول في فترة أخرى سيكون مؤرخاً فكرياً، فلا بد أن يسبق التاريخ الاستنتاجي التاريخ التسجيلي لأن الذي يكتب عن الفترة التي هو فيها لا بد أن يضع كثيراً من المبالغة أو كثيراً من المداراة السياسية أو بعض المجاملات، لكن الذي سيأتي بعده بفترة يمكن له أن يعرف هذه الظواهر والحقائق.

فمؤرخ الفترة التي يعيش فيها ويعايش أحداثها وناسها لا بد أن يكون كمن ينظر من قريب جداً، ولا بد أن النظرة من مكان قريب للتاريخ تخفي بعض الدخائل، وبالتالي فإن الوقائع والأحداث ككل شيء في الدنيا، حيث نعتبرها كالشجرة عندما تنبت وتورق فهي شجرة لكنها عندما تثمر وتنضج ثمرتها تعصر فيما بعد وهكذا يمكن أن نقول عن الأحداث.

مؤرخ الفترة كمن يغرس الأشجار والذي يليه كمن يقطف ثمرتها ومن يأتي بعده كمن يعتصر تلك الثمار. فالمؤرخ التدويني أو التسجيلي هو ضرورة للمؤرخ الاستنتاجي الذي لا يهمه من الحدث إلا بمقدار ما يحتمل من فكريات وبمقدار ما يشير إلى نوعية الكيفية التي كان يعيش بها أولئك الناس الذين أرّخ لهم وكيف كانوا يفكرون وبماذا كانوا يتثقفون؟..

عندما نلاحظ التاريخ العربي نجده تاريخاً إخبارياً أو تاريخ تراجم. لكننا اليوم عندما نتناول علماً من أعلام التاريخ **كالإمام أحمد بن حنبل أو الإمام أبي حنيفة أو الجاحظ أو المتنبي،** لا نكتب عنه نفس الترجمة التي كتبها **ابن الأثير أو الطبري أو المقريزي**. سنأخذ من هذه المواد المكتوبة أو من هذه التراجم مجرد منطلقات ومجرد إشارات إلى غايات أبعد. يمكن أن نتطرق إلى الحياة الاقتصادية كيف كانت وإلى الحياة الاجتماعية أيضاً كيف كانت؟ كيف عبّر هؤلاء في مسائلهم الفقهية وفي أبياتهم الشعرية وفي مؤلفاتهم؟ ولماذا أرخوا بهذا الشكل التدويني أو الإخباري؟ فلا بد من مؤرخ الفترة الأولى ثم لا بد من مؤرخ الفترة الثانية لأن التاريخ لا ينتهي باعتباره صيرورة.

التاريخ ليس مجرد علم الماضي وإنما هو علم امتداد الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل بأشكال متغيرة ومتطورة وملونة بألوان الفترات المتعاقبة والمتغايرة في نفس الوقت.

تجربة الشعر

● هناك مجموعة من الشعراء كتبوا عن تجاربهم مع الشعر. فهل يفكر الشاعر عبد الله البردوني في شيء كهذا؟

●● الحقيقة أن عمل الشاعر هو نفس التجربة وكتابة التجارب مع الشعر مجرد إيضاحات قد يستفيد منها في المتستقبل، **ولا أظن أنني أفكر الآن في كتابة تجربتي الشعرية لأنني حتى الآن أفكر كيف أحسن تجربة الشعر؟..**

عندما يبتذل الشـ

بقلم :
د. عيسى الناعوري

في الشعر العربي القديم خاصة ، يوم كان الشعر وسيلة تكسب ، كثيراً ما نجد الشاعر يبتذل كرامته بأساليب مختلفة : فهو يتملق في المدح ، ويكذب في الوصف ، ويتمادى في الغرور والادعاء ؛ ثم إذا به يحط من قدر نفسه تذللاً لممدوحه ، وهو يحسب أنه ما يزال منسجماً مع نفسه . لم يسلم من ذلك كله حتى بعض عمالقة الشعراء الذين حفظ لنا التاريخ أسماءهم لامعة براقة لقوة شعرهم ، وجزالته ، وكمال بنيانه اللغوي والبياني والفني .

ودعني أقدّم مثالا واحداً قبل المضيّ في الموضوع ، لم أتعمّد اختياره ، ولكنه وقع لي في تصفّح عابر لديوان **الشاعر الأندلسيّ أبي إسحق الإلبيري** ، من شعراء القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي . وقد حقّق هذا الديوان وقدّم له وعلّق حواشيه الصديق **الدكتور رضوان الداية** ، أستاذ الأدب الأندلسيّ في جامعة دمشق ، وصدر في **منشورات (مؤسسة الرسالة) في بيروت** سنة ١٩٧٦ م .

الشاعر في هذه القصيدة يمدح **القاضي علياً بن محمد بن توبة الغرناطيّ** ، الذي ولي القضاء **لباديس بن حبوس ، من ملوك الطوائف في الأندلس** ، وكان الشاعر كاتباً له . وبعد أن يشطح الشاعر طويلاً في وصف النساء وغرائب الحبّ والهوى ، يقول مفاخراً بنفسه ومعتداً بها إلى حد المغالاة المفرطة — والمغالاة كذب صريح ، حتى حين تكون في الاعتداد بالنفس — :

إن عودي لعاجميه لصلب
وفؤادي كصارم مضاء
وأقضي لبانتي ، وأروي
عامل الرمح من دم العذراء
وأنا قرة لعين صديقي
وقذى في محاجر الأعداء
هذبتني نوائب الدهر حتى
صرت كالوصل بعد طول الجفاء
فسفيني تجري بأطيب ريح
لا بريح ضعيفة نكباء

.....

ويؤكد لنا كذب هذا الادّعاء الطويل العريض ما سيأتي من أبيات القصيدة ، حين يأخذ الشاعر في مدح رئيسه القاضي . ويبدأ ذلك مباشرة بعد الأبيات السابقة ، فيقول الشاعر :

بعليّ بن توبة فاز قِدْحي
وسمت همّتي على الجوزاء
لو إياسٌ يلقاه قال اعترافاً :
غلط الواصفون لي بالذكاء
أو رأى أحنف — أو أحْلَمُ منه —
حلمه ، ما انتَمَوا إلى الحلماء
لو رأى المنصفون بحر نداه
جعلوا حاتماً من البخلاء
هو أوفى من السموأل عهداً
ولما زال مغرماً بالوفاء
وحيا المزن ذو حياء إذا ما
هملت كفّه بوبل العطاء
وقضاة الزمان أرضٌ لديه
وهو من فوقهم كأفق السماء !!!

....

هذه المبالغات المخزية ، التي ليس فيها غير رصف الكلام دون حياة ، ولا شبه حياة ، سواء في الوصف أم في المدح ، ليست مما يتناسب مع اعتزاز الشاعر بنفسه في الأبيات السابقة ؛ فالكبير بنفسه لا يكذب على نفسه ولا على الناس ، ولا يرضى لنفسه بأن يتملّق أو يتزلف . وقد فعل الشاعر كل هذا بكثير من الجرأة المعيبة ، ويزعم بعد ذلك أنه « شاعر لا يجارى » . . .

فأنا مفحم على أن خيلي
لا تجارى في حلبة الشعراء

....

وما الشعر ، وما الشاعر إذا ابتذل الشاعر كرامته بالتملّق المستجدي المهين ؟ .

على أن الشاعر يمضي من هناك إلى حيث يبتذل كرامته إلى حد لا يرضاه إنسان لنفسه ، حين يقول بعدئذ :

ولو أنْصَفْتُه — وذاك قليل —
كان خدّي لرجله كالحذاء !!!
فأنا عبده ، وذاك فخاري
وجمالي بين الورى وبهائي !

وعلى الرغم من بعد الزمان بين عهدنا اليوم وعهد الشاعر الأندلسي ، وعلى الرغم مما يقال من عدم جواز الحكم بعقليّة هذا الزمان

ـاعر كرامة . . .

على عقليّة الأزمنة الماضية ، لأن المفاهيم تختلف والظروف تتغير ، فإنني لا أدري بأي وجه يلق الشاعر ممدوحه ويلق الناس ، وهو يعترف بأن خدّه في مهانة الحذاء لرجل ممدوحه ، وأن فخاره ، وجماله بين الورى ، وبهاءه ، كلّها في عبوديّته للممدوح ؟! وأية كرامة للعبد ؟ وأيّة كرامة للشاعر حين يجعل من نفسه حذاء لرجل الممدوح ؟ وبالتالي : أيّة كرامة للشعر ؟ وأين ترك الشاعر كلّ ما وصف به نفسه من عزّة وإباء وأنفة وجلال شأن ؟

يضاف إلى ذلك أن القصيدة خالية تماماً من الشعر ، بمعناه الفني . وإذا كان الوزن والقافية سليمين في القصيدة ، وكانت قواعد الصرف والنحو فيها سليمة كذلك ، فإن هذه وحدها ليست الشعر ، وليس الشعر إيّاها . إنها تدل على معرفة صاحبها بقواعد العروض وأوزان الشعر وقواعد اللغة ، وهذه بعض الثوب الشعري ، وبعض البناء للقصيدة ، ولكنها ليست الشعر . ويظل الشعر بعد ذلك جزء من النفس ، وعنصراً من عناصر إنسانيّة الإنسان . وفي هذا تكمن شاعرية الشعر ، وتكمن الروح السامية فيه .

حتى لغة القصيدة هنا ليست لغة الشعر الصحيحة : ففيها من سقم التركيب ، ورصف الألفاظ دون حياة ، والصياغة المتكلّفة المصنوعة ، أكثر مما فيها من لغة الشعر القويمة . وأين اللغة الشعرية في الأبيات التالية — أسوقها كنماذج فقط، لا للحصر — :

وأقضي لبانتي ، وأروي
عامل الرمح من دم العذراء
فسفيني تجري بأطيب ريح
لا بريح ضعيفة نكباء
بعليّ بن توبة فاز قِدحي
....
أو رأى أحنف — وأحلم منه —
حلمه ، ما انتموا إلى الحلماء

وغير هذه مما لم أورده من أبيات القصيدة الطويلة . . . ؟

لقد تيقّنت بعد أن درست الكثير من شعر الأندلسيين ومؤلفاتهم الكثيرة جداً ، أن هؤلاء كلهم — الشعراء منهم والناثرين — كانوا بعيدين ، في الغالب عن الإبداع الفني ؛ وكان يغلب على الشعراء منهم التقليد اللفظي ، وابداء البراعة في النظم ، وتزويق الكلام بفنون البديع — وربما وضعتُ على رأسهم زعيمهم الكبير **ابن زيدون** ، ولا أستثني وصّافهم الأعظم **الشاعر الخفاجي** — وأما الناثرون فكانوا مصنّفين وجمّاعين ، وبينهم وبين الابداع الفني المبدع مسافة بعيدة جداً .

وأعربت عن رأيي هذا للصديق الدكتور رضوان الداية ؛ فراح يدافع عنهم ، ويتهمني بعدم الانصاف . ولكنني الآن أقدّم له بهذا المقال دليلاً يدعم ما قلته له ، وينفي ما حاول هو أن يقنعني به من أصالة الشعر الأندلسي . **إن الأصالة هي الشيء المفقود في شعر الأندلسيين بشكل عام . وإنني أدعو من يشاء إلى دراسة شعر ابن زيدون ، وأود أن يجرّده أولا من التلاعب اللفظي وفنون البديع التي يحشو بها شعره ، ثم ليقل لي ماذا يبق له من الصدق والأصالة في شعره ، وليقل لي أين هي حرارة العاطفة وصدقها .**

* * *

وأعود إلى صاحبنا الإلبيري ، فأذكر أن **أبا إسحق الإلبيري** هذا — وهو فقيه أندلسي زاهد ، كما يصفه المحقق نقلاً عن المصادر التي رجع إليها — لم يكن الشاعر الوحيد ، لا في الأندلس ولا في المشرق والمغرب ، الذي صف الكلام في شعره مثل هذا الصف الركيك ، وجعله وسيلة لمدح ذوي الجاه والنفوذ ، وابتذل كرامته في استجداء رضاهم أو عطاياهم ؛ وإنما هو واحد فقط من أعداد كبيرة من الشعراء ، لو شئت أن أستقصيهم لما اتسعت لسرد قصائدهم موسوعة ذات عدة أجزاء .

حتى في العصر الحاضر — وقد خفّت حدة التكسّب في الشعر ، ولكنها لم تتلاش تماماً بعد — ما زال هناك شعراء يبتذلون كرامتهم ، باعتبار أنفسهم دون من يمدحونهم — عفواً ، أردت أن أقول : يمجّدونهم — أو يرثونهم ، ولا سيما من الزعماء السياسيين ، ويرون في ذلك أصالة في الشعر — وما أسوأها أصالة ! — والسبب الوحيد لذلك هو أنهم ما زالوا يقلّدون القدماء ، ويجرون على سننهم في فنون الشعر وتقاليده .

ووددت لو أقدّم نماذج من شعر هؤلاء الشعراء الأحياء بيننا إلى اليوم ، لولا أنني لست بصدد الاساءة إلى أناس معيّنين ، وإنما همّي كله في تنزيه الشعر عن الاسفاف ، وتجريده عن التقليد المرذول ، الذي لم يعد يتناسب مع نهضة العصر لأجل كرامة الإنسان ، ولأجل المساواة بين بني الإنسان .

إنّ تبادل الاحترام مطلوب بين البشر ، ولكن احترام الإنسان لأخيه الإنسان شيء ، وشيء آخر إهانة النفس أمام الآخرين ، واحتقار الذات وابتذال الكرامة في تمجيدهم .

كل إنسان هو مساو لكل إنسان ، فلا يتميز مواطن عن زعيم ، ولا يتفوّق غنيّ على فقير ، ولا قوي على ضعيف ، وإنما يتفوّق المتفوّق بعمله فينال الاحترام ، وهذا كلّ حقّه على الناس . **﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** .

وإنّ أحقّ الناس باحترام النفس ، والحرص على الكرامة ، هم الشعراء .

من جهود المرأة

في مقطوعة لشاعرة فلسطين .. فدوى طوقان .. من قصيدة تخاطب بها أختاً لها من بنات وطنها في يوم عيد .. تقول فدوى الشاعرة الحزينة في لحنها الحزين من ديوانها (وحدي مع الأيام) :

أترى ذكرت مباهج الأعياد في يافا الجميلهْ
أهفت بقلبك ذكريات العيد أيام الطفولهْ
إذ أنت كالحسون تنطلقين في زهو غرير
والعقدة الحمراء قد رفت على الرأس الصغير
والشعر منسدل على الكتفين محلول الجديلهْ

★★★

إذ أنت تنطلقين بين ملاعب البلد الحبيبِ
تتراكضين مع اللدات بموكب فرح طروبِ
طوراً إلى أرجوحة نصبت هناك على الرمال
طوراً إلى ظل المغارس في كنوز البرتقال
والعيد يملأ جوكن بروحه المرح اللعوبِ

★★★

واليوم : ماذا اليوم غير الذكريات ونارها
واليوم : ماذا غير قصة بؤسكنّ وعارها
لا الدار دار لا ولا كالأمس هذا العيد عيد
هل يعرف الأعياد أو أفراحها روح طريد
عانٍ تقلبه الحياة على جحيم قفارها

ذكريات مصنوعة منسقة تنسيقاً .. معنياً بتنظيم اللفظ وقصقصة النغم وترتيب الكلم .. وكأنه حزن مرتب مبوب مقسم إلى تقسيمات محددة .

ومع ذلك فهذه صورة عابرة لذكريات حزينة لن نمضي معها إلى أبعد من هذه الإشارة أو الإشارات . ولن نخوض في صور هذه القصة البائسة .. بل **سنمضي معاً إلى النصف الأول من القرن العشرين .. حين أخذ الأدب العربي في بلاد العروبة يتجاوز حدوده** .. بعد أن مضى عليه زمان انبعث فيه وتجدد وتطور منذ مستهل القرن التاسع عشر .. وكان للنهضة الأدبية تلك بواعثها وأسبابها ووسائلها وأدواتها المتعددة .

بقلم : د . عبد الرحمن بياغي

وكان إقبال **المرأة العربية** على العلم ومشاركتها في الحياة العامة قد تركا صدى في **أدب النهضة** .. ولونا حياة الأدب العربي بلون محبب .. إذ ظهرت أسماء بعض الكاتبات والشاعرات العربيات .. وانبعث تيار في أدبنا الحديث .. كان له طعم خاص ــ مهما نكن نرفض التمييز ــ سمي **بالأدب النسائي** .. هذا الأسم الذي أخذ الوعي الحديث يتجاوزه حالياً .. ولا يقف عنده وقفة طويلة !

أما قبل أن ينقضي القرن التاسع عشر ، وقبل أن يهل القرن العشرون .. فقد ظهر **في لبنان** مع ظهور الصحافة من أخذت في معالجة القصة الاجتماعية وذلك حين كتبت القصاصة (**أليس بطرس البستاني**) قصتها « **صائبة** » ١٨٩١ م .. وأخذت الصحافة العربية منذ ذلك الحين تطلع علينا بأسماء كاتبات أديبات من مختلف البلاد العربية .. تركن أثراً في حياة الأدب والأدباء في مطلع النهضة الأدبية .. فقرأنا **(لوردة اليازجي)** في القرن التاسع عشر وفي وقت مبكر من القرن العشرين .

ولقد تقرأ في (**الجريدة**) للفيلسوف الكاتب (**لطفي السيد**) قوله في ١٩١٠م ، **في باحثة البادية .. ملك حفني ناصف ..**

« .. حسبي أن أقرر من غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر .. بل هي تعطينا صورة الكاتبات الغربيات اللائي تفوقن على كثير من الكتاب .. » .

ثم قرأنا محاولات في القصة (**لعائشة التيمورية**) أطلقت عليها اسم « **نتائج الأحوال** » وجعلتها على نمط ألف ليلة وليلة . وهي التي كنا قرأنا لها موقفها من والدتها تقول فيه :

« .. ولما تهيأ العقل للترقي .. وبلغ الفهم درجة التلقي .. تقدمت إليّ ربة الحنان والعفاف .. والدتي .. بأدوات التطريز والنسيج .. وصارت تجد في تعليمي .. وأنا لا أستطيع التلقي .. ولا أقبل في حرفة النساء الترقي .. وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك .. وأتهافت على حضور محافل الكتّاب بدون ارتباك .. فأجد صرير القلم على القرطاس أشهر نفحة .. وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة .. وكنت ألتمس من شوقي **قطع القراطيس** وصغار الأقلام .. وأعتكف منفردة عن الأنام .. وأقلد الكتاب في التحرير لأبتهج لسماع هذا الصرير .. فتأتي

في النهضة الأدبية



★ أحمد لطفي السيد ★



★ فدوى طوقان ★



★ سلمى الخضراء الجيوسي ★

والدتي . . وتعنفني بالتكدير . . فلم أزد إلا نفوراً وعن صنعة التطريز قصوراً . . » .

ثم يشجعها والدها وتمضي في هذه السبيل الأدبية .

وتتوالى في البلاد العربية المجاورة تلك النهضة النسوية في ميدان الأدب حتى تطلع على حياة الناس (**مي**) المولودة في **الناصرة** . . فيقول **توفيق الحكيم** في ذلك :

« . . يظهر أن المتشككين في وجود أديبات عندنا يضعون دائماً أمام أعينهم صورة الأديبة العظيمة (مي) . . ويحاولون أن يعقدوا المقارنة بين الماضي والحاضر . . وفي هذا بعض الظلم لأن (مي) كانت فريدة عصرها . . لا من حيث نبوغها فقط . . بل أيضاً من حيث ندرتها . . » .

ومن حسن حظ الحياة الأدبية في الوطنين الصغيرين . . **فلسطين والأردن** . . في المرحلة التي لا نتجاوز بها حدود النصف الأول من القرن العشرين . . أن تشارك المرأة فيها مشاركة جادة . . فيكون لها نصيب كبير في هذا الفن من فنون الأدب .

فهذا الوطن الذي أنجب (**عائشة الباعونية**) في الماضي . . جدير بأن ينجب أديبات وشاعرات وكاتبات قصة في عصر النهضة .

فما كادت **الحرب العالمية الأولى** تضع أوزارها حتى أخذت تتفتح في الوطن براعم ناعمة تغمس في المداد ريشتها .

فنحن نقرأ في **مجلة (النفائس)** التي كان يصدرها الأستاذ **خليل بيدس في القدس في ١٩٢١ م** ، للآنسة (كريمة الصفوري) .. نظرة شرقية في الفتاة الشرقية ..

حتى إذا تقدمت السنون قرأنا للكاتبة (**سلمى الصائغ**) مقدمتها عن محاضرة الأديبة (**عنبرة سلام الخالدي**) .. شرقية في إنجلترا .. تقول فيها :

« .. إن في نساء هذه الأمة قوى هائلة .. بدرت لي بوادرها منذ أعوام .. ظهرت **عنبرة سلام .. وابتهاج قدورة** .. ورفيقات لهما .. ها هي عنبرة في بلاد الغرب تبحث وتستقصي .. ثم تنقل لبني قومها هذه الصورة الرائعة .. » .

ثم تكتب الكاتبة (**فلك طرزي**) وتقرظ كتاب « **قصة الإلياذة** » الذي ترجمته عن الإنجليزية السيدة عنبرة سلام الخالدي .. فتقول فيما تقول : « .. عمل ضخم .. قامت به السيدة بنقلها الإلياذة عن الإنجليزية نثراً إلى العربية .. » .

ويتوالى النشاط الوجداني النسوي .. وتلمع أسماء كثيرة من الوسط النسوي .. وتتحلى الصحف بأسماء : **فدوى طوقان .. قدسية خورشيد .. سميرة عزام .. دعد كيالي .. سميرة أبو غزالة .. ماري بولس شحادة .. ساذج نصار .. فائزة عبد المجيد .. سلمى الخضرا الجيوسي .. أسمى طوبي .. نجوى قعوار .. ثريا ملحس ..**

وسأعرض لنماذج من إنتاج ثلاث من هؤلاء الأديبات : **ثريا ملحس .. وأسما طوبي .. ونجوى قعوار .**

ثريا ملحس

ولعل شهرة الكاتبة الشاعرة الباحثة **ثريا ملحس** التي عملت في مجال المحاضرات الأكاديمية **في بيروت .. في كلية البنات الجامعية .. وجامعة بيروت العربية .. والجامعة اللبنانية** .. لعلها أن يكون إنتاجها قد اكتمل بعد مرحلتنا التي نحن بإزائها .. ولكن ملامح هذا النضج كانت قد لاحت وظهرت براعمها في هذه المرحلة من حياة الوطن !!

ولعل أهميتها بالنسبة إلينا ترجع إلى أنها صاحبة مدرسة جديدة .. وتيار جديد في حياة وطننا الأدبية .. فلعل التقاء عوامل خاصة متعددة آتية من بيئة أخرى .. خارج الأردن .. لعل ذلك كان له الأثر الفعال في تكوين صاحبة هذا الاتجاه .. فجعلنا نظفر بهذا التيار !

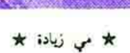
ومهما يكن شأن هذا التيار من حيث خوض الحياة في مضمونه أو الانزواء عنها .. إلا أنه تيار جديد على الحياة الأدبية الأردنية آنذاك !

إن الشاعرة الباحثة ثريا ملحس بحكم نشأتها في لبنان قد تأثرت بالاتجاه الرمزي .

وقد بدأت تطلع علينا بقصائد في هذه المرحلة تحمل ظلال هذا الاتجاه .. كقصائدها في الشعر المنثور التي أصدرتها لها (**دار الكتاب**) بعنوان (**النشيد التائه**) .. وسأختار من هذا النشيد قصيدتها : (**بيني وبين البحر**) :

خذني أيها البحر تحت أمواجك المجنحه ..
خذني أيها البحر وعما قريب سأصل ..

كلانا نقترب : أنت تطوي موجة غب موجه ..
وأنا أطوي خطوة غب خطوه ..
كلانا سريع : أنت تسوط أمواجك الرفيقه ..
فتنشق عن بعضها البعض .. ثم تلتئم ..
لأنها ما تعودت الفراق ..
وأنا أسوط التراب بحذائي ..
أدوس الذرات النحيله ..
فتنشق عن بعضها البعض .. ثم تلتئم ..
لأنها ما تعودت الفراق ..
كلانا ساخط : أنت حزن .. فالطبيعة حرب عليك بزعزعها ..
وأنا حزن .. فالإنسان حرب على الإنسان ..
يا بحر حزنك فصل ..
وأما أنا فحزني دهور ..
كلانا اشتياق للشكوى
أنت ثورة شجي .. وأنا ثورة شجيه ..
كلانا نقترب فرحين ..
تعودنا الفراق أيها البحر ..
وأما الوصل فقريب ..



★ مي زيادة ★

ثم تتابع إنتاجها فيما بعد مرحلتنا في مجال الشعر .. والمقالة .. والقصص .. والبحوث .

ومع ما يقوله الكاتب الكبير **مارون عبود** في (النشيد التائه) وفي ثريا : « .. في أسلوب الآنسة غرابة .. وفي النشيد التائه صور فكرية عميقة وجميلة .. لا يدرك جمالها إلا الراسخون في العلم .. إن إحالتها على الأستاذ **أنطون كرم** خير مما أفعل .. فلعله يوفق إلى شرح كتابها على ضوء كهرباء الرمزية .. أما أنا فمصباح زيتي عتيق .. » .. مع ذلك فهو يقول في خاتمة مقاله :

« .. وبعد فأنا كبير الأمل بالآنسة ملحس ، ولعلها تذكرنا بمي إذا عدت عن هذا التكلف الذي رأيتها تبتعد عنه بدون إرادة في آخر كتابها .. النشيد التائه .. » .

نجوى قعوار

أما الكاتبتان (نجوى قعوار) و (أسمى طوبي) .. فلئن كانت

مجاميعها صدرت بعد حدود فترتنا .. إلا أن فيها ما كتبتاه في أواخر الفترة التي نحن بصددها .

لقد عرفت الكاتبتان طريقهما .. فغمستا ريشتيهما في واقع مجتمعهما .. وهي بداية محمودة دائماً في الاتجاه القصصي .

وإن مجموعة الكاتبة (نجوى قعوار فرح) تنتظم تحت عنوان « **عابرو السبيل** » .. وفي كثير من هذه المجموعة تحس المثالية ممتزجة لديها بالروح الدينية .. وذلك بحكم نشأتها .. حيث كان خالها مرموراً قساً .. ورئيساً للمجمع الإنجيلي في فلسطين والأردن .. ثم أصبحت زوجة للقسيس رفيق فرح .. راعي الطائفة الإنجيلية في حيفا .

وهي تمضي في قصصها فتختار البناء الاجتماعي لتأخذ منه مادتها في فنها القصصي .. وتنبض الأحداث لديها بالحياة .. وبعد أن كانت القصة في أول نتاجها مجموعة أقوال مسرودة عن شخوص .. تعود فتصبح صورة لحركة هؤلاء الشخوص وأفعالهم .. تلك الحركة التي تتلاءم مع خلاصات التجارب والأقوال التي تصدر عنهم .. وما عاد الفن لديها كما كان في أول الشوط مجرد خلاصات لتجارب هوائية ضبابية غير ملموسة .. بل تطور الفن لديها .. حيث نلمس هذا التوفيق في قصة (**بهجة الخريف**) من بين هذه المجموعة .

أما القصة التي تأتي في آخر المجموعة .. وهي القصة الخامسة عشرة بعنوان (**عندما عاد النيروز**) .. فهي أول قصة في المجموعة .. وتدور حول الصراع بين قوتين .. قوة الانحراف والانحلال .. وقوة الاستقامة والطيبة ! وفيها تنزوي قوة الخير الطيبة .. وتندحر مهزومة مخذولة أمام قوة الشر والانحلال .. وتكتفي قوة الخير والاستقامة بالنظر من خلال ثقب الباب أو من فتحة الشباك .. لعل ظروفاً تهبط من السماء تنتشلها وتنقذها !

ويمثل الشر والانحلال مجموعة من الشقراوات البولونيات اللاجئات إلى فلسطين بسبب الحرب العالمية ... ويمثل قوة الخير والطيبة مجموعة من الفتيات المواطنات في القرية التي نزلت فيها البولونيات الوافدات .

ولسنا نحس بعمق الصراع بين القوتين ولا نلمس حرارته .. لأن الصراع ينبغي أن يقوم بين حركتين .. فحين أقبلت الشقراوات كان ينبغي على البطلة في القصة ألا تقف مشلولة كما فعلت .. هناك إثارة للغرائز .. فلتقابل بإثارة لنزعات الحب الكريمة .. هناك رقص فاجر .. فليواجه برقص معبر جميل طبيعي سليم .. هناك سكر وعربدة .. فليقاوم بحركة اجتماعية مثمرة ! أما السلبية .. أما الهزيمة .. أما الاستسلام والانخذال فليس مصيرها إلا الهلاك !!

ولولا هذه النهايات المنهزمة في كثير من قصصها في هذه المرحلة لكانت مثاليتها وإنسانيتها أخصب وأطيب ثماراً .. لأنها إنما تختار أبطالها في كثير من الأحيان ـ كما يقول أديب أردني ـ « من بين المعذبين المتألمين نتيجة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة في الشرق .. أو بسبب تحكم الإقطاعية أو سوء النظم والحكم آنذاك ! » .

أسمى طوبي

أما الكاتبة الأخرى السيدة (**أسمى طوبي**) فلم تشأ أن تسمي إنتاجها قصصاً .. ولم يكن قصصاً في واقع الأمر .. وإنما هو (**أحاديث من القلب**) ظهرت في المرحلة التي نحن بإزائها .. لكن نستطيع أن نتلمس فيها بعض المواقف التي كتبتها في حدود مرحلتنا .. وليس في المجموعة أية قصة .. لكن فيها مواقف قصصية موفقة تشير إلى مستوى رفيع في الحس القصصي المرهف يكاد يتلمس الملامح الواقعية في التيار القصصي ! لكنها تقصر عن ذلك لأنها لم تشأ أن تتقيد بالمعمار الفني للقصة ولا بإطارها المعهود .

وسأختار موقفين يدلان على هذا الحس المرهف :

- الأول بعنوان (أمنا الأرض) .
- والثاني بعنوان (أم زينة) .

في الموقف الأول .. صورة فنية واقعية موفقة (للعم مصطفى .. يزيل عرقه من جديد عن جبينه .. وهو يقلب أرض حديقتنا .. وكانت الذرات المبلورة تنحدر تمتزج بالتراب .. وسمعته يهمس : إن عرق جبيني وقوة عضلاتي في الأرض .. دم قلبي أيضاً في الأرض هناك .. لقد حرثها آبائي وأجدادي لعشرات السنين .. فلن أكون الرجل الذي يضيعها ! ..) .

إن كاتبتنا تكتفي بتصوير الموقف القصصي دون أن تكلف نفسها عناء تجميع المواد لإقامة بناء فني قصصي منها .

والموقف الثاني يكاد يتخذ البناء القصصي له مسكناً لولا أن الكاتبة قبيل الفراغ من تشييد البناء كاملاً .. تنفض يديها وتتوقف وتكتفي بما ارتفع من هذا البناء !!

«كانت أم زينة غسالة الحي .. فقدت ابنتها الوحيدة زينة .. وتزوج زوجها امرأة ثانية ليرزق الأولاد .. وأصبحت أم زينة والزوج للعمل .. من أجل إعالة العائلة .. وتفرغت الضرة للاعتناء بالأطفال في المنزل ..

وكانت أمنية أم زينة الوحيدة هي الحج إلى بيت الله الحرام .. فأخذت تقتطع قرشين من كل غسلة .. وعادت من الحج وابتسامة الهناء تنتشر على المحيا المتعب .. وسعادة الإيمان تطل من العينين الكليلتين .. سعادة لم تعد مآسي الحياة لتستطيع تبديلها .. كانت تعمل بيديها عملها الشاق بينما تتحدث دون ملل عن تلك السعادة منذ أن استقلت الباخرة ـ زمزم ـ حتى عادت .. حدثتني عن فرائض الحج ... أم زينة ، ليهنك الحج فإنه قد طهر نفسك تعملين دون تذمر لأجل الزوج .. زوج المرأة الأخرى ضرتك .. وأنت تتناسين مرارة الحرمان وآلام الثكل !! » .

هذه المواقف الاجتماعية بقيمها الإيجابية الحياتية تؤلف أهم عنصر في البناء القصصي كنا نود ألا تقف عندها الكاتبة فنظفر بثروة قصصية خصبة !

أما بعد فترتنا هذه .. فقد سطعت كاتبات وأديبات وشاعرات وقصاصات في ميادين الثقافة والأدب .



الشمس المضيئة

شعر: احمد سالم باعطب

نَزفَتْ شموعاً للفداء جراحي ... وتَفجَّرتْ حُمماً صدورُ بطاحي

وتطايرتْ شُهباً يموجُ لهيبُها ... فمي وهَبَّتْ بالسموم رياحي

صَهرتْ مغاويري الخطوبُ وخُضِّبَتْ ... بدم العُلوج أسنَّتي ورماحي

درْعي يقيني في الحياةِ وبُرْدَتي ... شَمَمٌ وميمونُ الإباءِ وشاحي

طوَّقْتُ أجيادَ السنينَ قلائدي ... وملأتُ من شُهْد العُلى أقداحي

لم تُثْلم النكباتُ إصراري ولَمْ ... تَهض الكوارثُ والحتوفُ جَناحي

هيهاتَ أنْ تَسِمَ المهانةُ سؤددي ... يوماً وتوثقَ بالصَّغار سراحي

قلَّمْتُ أظفارَ الغزاةِ بوحدتي ... وقَطفْتُ أعناقَ العِدَى بسلاحي

وإذا الشعوبُ بأرضها شُغِفَتْ هَوىً ... فَرَشَتْ دروبَ النَّصْر بالأرواح

★ ★ ★

خسِئَ الألى نَحَروا السَّلامَ وأهدروا ... دَمَهُ على وجهِ الزَّمانِ الضَّاحي

حَملوا على أكتافِهمْ أوحالَهُمْ ... ومَشَوْا بثوبٍ في الحياةِ وَقاح

زَرعوا القَذائفَ كيْ تعوقَ مسيرتي ... وتَرصَّدوا قتلي وكَبْحَ جماحي

هيهاتَ تَهْدأُ ثورتي وتعطُّشي ... حَتَّى أُمزِّق ليلَهم بصباحي

إنّي صنعتُ مِنَ الشَّهامَةِ لامَتي ... وحَسَوْتُ مِنْ نبع البطولةِ راحي

مَنْ مَدَّ للشمس المضيئةِ طَرْفَهُ ... طمعاً شَوَتْهُ بحرِّها اللوَّاح

اللّهُ أكبرُ لم تَزَلْ أُنشودتي ... أشْدو بها في غدوَتي ورواحي

أمْسِي يُتَوَّجُ بالكرامَةِ حاضري ... وغَدي سيشرقُ فجرُه بكفاحي

الأدب الجزائري أدب جديد سواء بالنسبة للغة الفرنسية التي يعبر بها ، ويتخذ منها أداة للتعبير ، أو بالنسبة للأدب العربي الذي ينتمي إليه روحاً ومضموناً وإن كان لا يعبر باللغة العربية ، وربما يرجع ذلك إلى الخصائص الذاتية لهذا الأدب التي استمدها من البيئة الجزائرية . وربما لأن هذا الأدب ـ **أدب مقاومة في مجموعه** ، يتسم بصفات أدب المقاومة بوجه عام ، **فالأدب الجزائري يتسم بروح التطور والنضال والتقدمية والواقعية والشعبية من جهة ، وهو من جهة أخرى يقتنع بالإنسان وبقيمه وطموحه وفكره** ، ولسوف نرى أن هناك عوامل عديدة تعاونت على ايجاد أدب المقاومة في الجزائر منها : **الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي .**

مظاهر التجديد في الأدب الجزائري

بقلم : د . عبد العزيز شرف

وفي ضوء هذه الظروف يمكن تحديد مضمون أدب المقاومة في الجزائر ، وجذوره الأدبية وكيفية تمهيده لثورة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ م . . . وما طبيعته بعد الثورة وهل حدث تطور فيه ؟

ومن هنا نحاول في سطور هذا المقال أن نبرز أهم اتجاهات التجديد في الأدب الجزائري المعاصر . ومظاهر هذا التجديد الذي نلمح آثاره في **القصة والمسرحية** ، وذلك إلى جانب روح المقاومة التي تميز بها الأدب والتي تتسم بروح تفاؤلية تشيع في هذا الأدب الجزائري بوجه عام ، ولعل هذه الروح التفاؤلية تميز الأدب الجزائري عن الأدب الفرنسي رغم اشتراكهما في أداة تعبير واحدة ، ورغم محاولات البعض بأن يربط بين الأدبين بدعوى أن الجزائر لا بد وأن تتأثر بفرنسا أثناء استعمارها الطويل .

ونحن لا ننكر تأثر هذا الأدب الجزائري كغيره من الآداب العربية والعالمية بالحضارة الغربية الحديثة وبالفكر الإنساني عامة ، إلا أن هذا التأثر لم يبلغ درجة يمكن أن تقتلع جذوره العربية



★ ★ مالك حداد ★ ◀

★ كاتب ياسين ★ ★ ▼



الموغلة في تراثه البعيد ، أو يجتث سماته التفاؤلية النضالية . ويؤيدنا فيما نقول علم « **الأدب المقارن** »[١] ، حيث يؤكد أن محور التأثر في الأدب أو الافادة من الآداب الأخرى هو **الأصالة** ، أصالة الأفراد وأصالة القومية . كما أن علاقة المتأثر ــ في هذه الحالة ــ ليست علاقة التابع بالمتبوع ، ولا علاقة الخاضع المسود بسيده ، بل علاقة المهتدي بنماذج فكرية أو فنية يطبعها بطابعه ويضفي عليها صبغته القومية .

وتأسيساً على ذلك يمكن أن نقول إن الأدب الجزائري في تجديده لم يفقد أصالته الحقيقية التي تعني القدرة على الإفادة من مظان الإفادة الخارجة عن نطاق الذات ، حتى يتسنى الارتقاء بالذات عن طريق تنمية إمكاناتها ، والتي تعني كذلك أن الأدب الجزائري المعبر بالفرنسية قد ارتبط بالحضارة الإسلامية والفكر العربي . حيث جذورهما ممتدة في الجزائر من قرون طويلة ارتباطاً قوياً ثابتاً وأصيلاً .

ومن مظاهر التجديد في الأدب الجزائري كذلك واقعيته ، وشدة الارتباط بالأرض الجزائرية ومقاومة سياسة التجهيل والافقار المادي والفكري ، وكان تطور الفن القصصي والمسرحي كفنين مستحدثين وسيلة الكتاب الجزائريين لتأكيد صورة الجزائر العربية في أذهان الفرنسيين ومن يجيد الفرنسية من أبناء العالم .

إن المظهر البارز للتجديد في الأدب الجزائري هو « **الواقعية** » التي تعكس الأشياء والحياة والتجارب والفردية والجماعية في إطار فني كما يقول **الدكتور إبراهيم الكيلاني**[٢] . فهو إذن أدب مجدد كتبه أناس من صميم الشعب عميقو النظرة إلى الوجود ، شديدو الحساسية بالصلات الإنسانية التي تربط بين الناس ، تتطور في أدبهم شخصيات متنوعة الأشكال والمشيات فتبدو في صراعها الداخلي مع ذواتها وفي تفاعلها مع العالم الخارجي المستكينة لمشيئته حيناً والمتمردة عليه حيناً آخر[٣] .

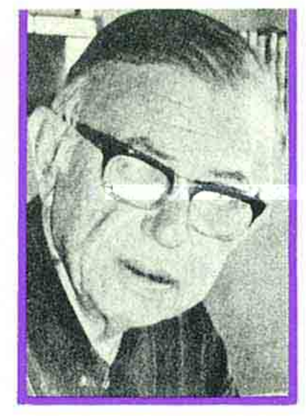
ونتيجة لذلك أصبحت القصة الجزائرية بحكم رغبتها في أن تكون المعبر الصادق عن واقع يتسم بالتفكك والفوضى التي استحدثها الاستعمار ، أصبحت تعرض علينا كملحمة للعصر ، وهذا الطموح إلى أدب جديد يعبّر عن واقع الأرض الجزائرية لم يبرز على الدوام في إنتاج واحد ، ولا لدى كاتب بعينه ، وإنما تجلى لدى نماذج قصصية عديدة منها :

ــ القصة التاريخية ، والقصة الاثنوجرافية ، والقصة النفسية ، والقصة الاجتماعية الواقعية ، والقصة الشعرية .

ومن هنا يمكن القول إن كتاب الجزائر قد انصهروا في نزعتين طبعتا الأدب القصصي الحديث ، **أولاهما** الموجة القصصية التي تربط نفسها بالتيار البيوجرافي الذي يهدف إلى التعبير عن عالم اجتماعي نعيشه يومياً ، وفي هذه النزعة يمكن أن نضع الكاتب الجزائري **مالك واري في قصته « الحية داخل الطاحونة »** التي تعتبر محاولته للعودة إلى المنابع وللقيم السامية ، أما الانفصال عن الحياة القبلية فإنه لا يحدث إلا عرضاً خلال بعض المشاهد ، كما أن تصور العادات والتقاليد يتم بكثير من العناية والتحديد . إنه يرمز إلى الثأر والشرف ، والقيم التقليدية ، فإنتاجه لم يندمج بعد في التاريخ وإنما يعبر عن عملية دائمة أكثر مما يعبر عن تطور .



★ البير كامي ★



★ سارتر ★

● إن الأدب الجزائري في تجديده لم يفقد أصالته الحقيقية التي تعني إرتباطه بالحضارة الإسلامية والفكر العربي رغم تعبيره باللغة الفرنسية .

وقد انتسب إلى هذا التيار البيوجرافي أيضاً : **مولود فرعون ومولود معمري ، ففرعون** كتب ثلاث قصص تنتقل موضوعاتها من تصور الحياة اليومية إلى محاكمة الاستعمار ، أما **معمري** فهو كما وصفه (**الخطيبي**) يعتبر القصصي الناجح ، وشاعر القلق والتمزق الذي ظهرت معه إلى الوجود القصة النفسية الجزائرية . إن قصة **مولود معمري** تعتبر بداية للوعي السياسي ، وهي أيضاً فورة على القيم البالية وعلى الاستعمار . إنه يسمو في حياء إلى هذا اللون من القصة التي تصور في الوقت نفسه واقعاً بما فيه من بساطة وتعقيد معاً .

أما **محمد ديب** فقد جنح إلى واقعية يمكن اعتبارها المعبر الشامل لواقع المجتمع . لقد قيل عنه بأنه يعتبر « **بلزاك** » الجزائر ، وذلك تميز ثلاثيته بالإحساس بالواقع . ولكن ديب يريد أن يرفض الواقعية القصصية ، ليعالج موضوعات ذات طابع إنساني شامل . ومن هنا نجد النزعة القصصية الثانية معاكسة للأولى وهي القصة الرمزية الحديثة التي نجدها لدى « **كاتب ياسين** » في قصة « **نجمة** » ، ولدى « **محمد ديب** » في قصته « **من يتذكر البحر ؟** » .

ولكن القصة الواقعية والنفسية في الجزائر ظلت معبِّرة عن المفهوم الواقعي للحياة في الجزائر .

ويمكننا أن نقول إن أدب المقاومة في الجزائر قد اتخذ شكله الحقيقي خلال الحرب فتجدد بكيفية واضحة منذ عام ١٩٥٤ م ، فمنذ هذا التاريخ لم يعد الكتاب الجزائريون يحددون إنتاجهم بمجرد وصف الحياة اليومية ، وإنما أخذوا يعبرون عن التزامهم إزاء الوطن . فنجد **هنري كريا** يحاول ادماج إنتاجه في الانطلاقة الوطنية . يتضح ذلك من كون أبطاله ملزمين

بالعمل المباشر ، ولكنه لم يصل إلى ما وصل إليه **مالك حداد** إذ تحدث عن جميع مظاهر عنف الحرب .

وهكذا يمكن القول إن **محمد ديب وكاتب ياسين** هما اللذان استطاعا أن يبرزا حقاً الشكل الجديد لقصة المقاومة .

فلدى **محمد ديب** نجد قصته « **من يتذكر البحر ؟** » هي التي تحدد الأثر النفسي والأبعاد النفسية . وهكذا استخدم ديب في قصته طريقة أصيلة قادته إلى تسجيل محنة وطنه الحقيقية مع الاستعمار .

وفي قصته « **مهنة الحياكة** » **لمحمد ديب** نقرأ لوحة رائعة رسمها لمواكب المتسولين التي أتت من الجنوب إلى **مدينة تلمسان** ، بعد أن جردتهم السلطات والقانون الاستعماري من أراضيهم ، ذلك أن التلمسانيين أفاقوا يوماً فإذا بهم يصطدمون بهذه « الأشكال التي تشبه الأطياف الغريبة ، كانت جماهير المتسولين تزحف ببطء رجالا ونساء وشيوخاً وأطفالا فيحتلون المدينة ، وكان أكثرهم سليمي البنية ، ولكنهم من البؤس والإعياء إلى حد أنهم لم يعودوا بالنظرات الشزراء التي تغمرها لهم عيون السكان ، وكانوا يبدون إزاء المعاملة التي استقبلوا بها وقساوة رجال الأمن اللامبالاة ، وكأن قوة نجهل مصدرها تدفعهم إلى الأمام ، وهكذا انتشروا بشكل غريب مجرد عن الحياة فيه تردد وفيه سأم . وكان الناس يتساءلون عما إذا لم يكونوا قد تسللوا منذ أمد قريب حتى عجت بهم مسالك البلد الرئيسية وشوارعها وساحاتها ، لا شك .. في أنهم تسربوا إلى المدينة بفضل الأيام الماطرة السابقة[٤] .

ولم يعرف أحد الأسباب التي جذبتهم إلى المدينة ، هل جاؤوا لطلب عيش افتراضي ؟ وعلى تخمين أنهم وجدوه ، فإنهم لم يتركوا البلد عائدين إلى أجحارهم التي لفظتهم ، فقد توطدوا في قلب المدينة ولذا لم يفهم الناس شيئاً هل يسيرون فيها بدافع التطفل في الظاهر ، لا ، فهم يأتون ثم يحلون حيث يطيب لهم المقام ثم ينظرون إلى الأشياء بعيون مطفأة . . . »[٥] .

وقال **محمد ديب** يصف عانية أم عمر وهي نائمة :

« **نامت وقد أسندت ظهرها إلى الحائط، لقد عقصت منديلها ورفعته إلى قمة رأسها كصرة حمام ، وهبط فكاها وامتدت شفتاها في حركة نفخ واسعة** » . وقال يصف الريح في يوم عاصف : « **كانت الريح تهب من الغرب تارة ، ومن الشرق أخرى ، تقفز قفزات كبيرة محاولة تكسير المدينة ، ولكنها كانت تصطدم في ثورتها العمياء العنيدة بجميع المنافذ فتجدها مقفلة منيعة** » .[٦]

وقوله كذلك : « **كان الضباب قد احتضن المدينة طوال الليل ولما أشرق الصباح سطعت شمس فتية في سماء يناير (كانون الثاني) كأنها تلحس الأسواق** » .

ومن تشبيهاته في وصف متسول : « **وكان بعضهم وقد تجمع على نفسه كالقنفذة ينام بلا انقطاع** » . وقوله : « **لقد تبين لعمر أن الكفن طويل جداً ، كأن الموت قد مط العامل الصغير وجعل منه الرجل الذي لن يكونه** » إلخ .

ولكن **كاتب ياسين** لم يكتنف فقط بقلب المحتوى العميق لهذا الأدب ، الجزائري ، وإنما أعاد النظر في كل النظم الجمالية للقصة برمتها فاستطاع بأعماله أن يدمج ألواناً عديدة كالشعر والمسرح والقصة في أدب جديد ، وأن يدمج بين التاريخ والخيال في صورة متفجرة . وغير محدود ، لذلك فإنتاج **كاتب ياسين** لا يزال في حاجة إلى دراسة تكشف أسرار تجديده حيث تتجلى في محتواه الأدبي عملية حركة دائبة . إنه يعانق الحياة باستمرار[٧] .

ففي قصته « **نجمة** » المشار إليها ، نجد الزمن لديه لا يتطير تاريخياً كما هو الحال في أعماق القصاصين الأوروبيين ، ولكن الزمن يدور من حول الكاتب ولذلك فالأحداث عند **كاتب ياسين** تتشابك ولا تتتابع كما هو الحال عند القصاص الأوروبي ، كما أن أسلوبه الفرنسي المتميز بإيقاع الجمل القصيرة التي يصف بها المدن والشوارع والجو والحركة ساعده في تطوير فنه . ولكنه عندما يصف الشخصيات يختار الجمل الطويلة الموقعة . حتى لنجد الجملة عنده تتخللها جمل اعتراضية كثيرة أقدر ما فيها تلك الأوصاف والتشبيهات البليغة ، فهو يصف شارعاً من شوارع قرية فيقول :

« **وكانت القرية قد غسلها الليل ، فأصبحت رهيبة لا طعم لها ، كأنها ممثل قد غسل عن وجهه الماكياج** » . ويقول :

« **لم يكن لديهم هدف ، ولذلك فقدوا الإحساس بالوقت** » .

وكاتب ياسين يصف ليلة عرس مسيو « ريكار » التي انتهت بقتله :

« تم زواج مسيو ريكار في أضيق الحدود وقد بذل الناس جهداً كبيراً ، ليتسلقوا الجدران أو الأشجار ولكنهم لم يستطيعوا رؤية شيء . وكان ريكار يحس بالموت ، لأن منزله سوف يستباح لمثل هذا العدد الكبير من المدعوين . ولو أن علية القوم لم يحضروا فإن مندوبيهم ورسلهم جاؤوا بلا دعوة ، ودون أن يرسلهم أحد . ومن حسن الحظ أن الخوري يسكن في قرية نائية وأن القسيس لم يخطره أحد .

« وأقبل ريكار على الشراب وكان يعلم أن ذلك هو التحدي الوحيد الذي يستطيع عليه شيئاً متى غاب عن الوعي . وانقلب فرحه إلى عدوان .. حتى حملوه إلى سريره : ورأى بعينيه أعداء قد حضروا عرسه وكأنهم لا يفرحون له ، ويفرحون فيه ، وقد أوشك أن يفشل في زيجته الثانية . وأدركت سوزي عروسه أن ليلة الزفاف لن تنتهي إلى شيء ، فأخذت تجرع « الشراب » دون أن يعلم أحداً إذا كان إقبالها على الشراب من باب الفرح ، أو من قبيل الحسرة » .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الأدب الجزائري قد شمله تجدد كيفي ، فالقصة الجزائرية والمسرح الجزائري لم يكن تطورهما تطوراً تدريجياً وبطيئاً ولكنهما يعبران عن رسالة الإنسان الذي أحس بعمق التناقضات الاجتماعية والثقافية ، كما أحس بواقع يحاول فيه أن يلائم بين مصيره ومصير شعبه .

ومن هنا يمكننا أن ننتقل إلى نقطة لا تقل في أهميتها عن مظاهر التجديد تلك ، ذلك أن هذا الأدب الجزائري قد استطاع أن يؤثر في الفكر الإنساني بالقيم الإيجابية القديمة وبروحه الإنسانية المنفتحة ، وساهم في إثراء الأدب العالمي بتجارب وأفكار عظيمة .

وهذا ما عبر عنه «**عمار اوزيجان**» وهو من أعلام الفكر الجزائري في كتابه «**الجهاد الأفضل**» حين قال: «**هناك حقيقة تقول بأن أية حركة وطنية لا يمكن أن تنجح ما لم تكن بذورها مغروسة في واقعها التاريخي، وما لم تكن تعبيراً حقيقياً عن العقيدة التي يؤمن بها الشعب**». ويصل هذا المؤلف الجزائري من خلال عرضه التاريخي لأحداث الوطن الجزائري إلى أن الحركة القومية الجزائرية التي بنيت على نضال طويل، قوامها الحقيقي تمسك المناضلين الجزائريين بالعروبة وبالثقافة العربية وبالدين الإسلامي حتى تقوم الشخصية العربية على دعائم ثابتة لها جذور وأصول. ويزيدنا بهذه النقطة ايضاحاً، الأديب الجزائري **عبد الله ركيبي** في كتابه «**أحاديث في الأدب، والثقافة**».

«**نحن كشعب عربي لنا لغتنا القومية التي تحدد ثقافتنا ونعطيها الصيغة الخاصة بها. هذه الصيغة التي تحافظ على أشياء جوهرية في ثقافتنا وفي شخصيتنا المتفردة.. وإذن فعندما نقول ثقافتنا القومية لا نقصد سوى شيء واحد هو أن شخصية هذه الثقافة إنما هي شخصية عربية. إن لغتنا القومية التي تعبر عن جوهر هذه الثقافة وعن مضمونها.. إنما هي اللغة العربية..**»

ومن واقع هذه الأهداف النبيلة التي تحافظ على أصالة شعبها القومية أصدر «**جول روا**» كتاباً بعنوان «**حرب الجزائر**» وهذا الكتاب وثيقة تعبِّر عن الشعور بالإثم لدى إنسان شريف. ومن ناحية أخرى فإن الموقف السياسي الذي اتخذه جول روا وهو موقف يدعو إلى الاحترام رغم كونه جاء متأخراً.

وبإيعاز من هذه الحركة الوطنية كتب «**ألبير كامي**» الفيلسوف الفرنسي المعروف عن بذور قضية الجزائر مؤكداً أن هذه البذور هي الاستعمار الفظيع. ووضع كامي «**مفهوم الاستعمار في أنه ليس نظاماً اقتصادياً أو سياسياً مبنياً على اللاأخلاقيات فحسب، بل إنه في الحقيقة يستمد فاعليته من نظرة متخلفة تحتقر البشرية، لأنه فلسفة تحطم كل ما شيدته الإنسانية في عصورها المختلفة**».

وفي أكثر من كتاب «**لسارتر**» نجد نفس الخط الفكري، منها تلك الكلمة التي كتبها عن ثورة الجزائر:

«إن التضامن الفعال مع المجاهدين الجزائريين لم يكن بوحي مبادئ نبيلة أو بوحي الرغبة العامة في محاربة الاضطهاد في كل مكان يقع فيه فحسب، بل هو نتيجة تحليل سياسي للوضع في فرنسا نفسها... ذلك أن استقلال الجزائر أصبح أمراً مفروغاً منه بالفعل.. ولكن ما هو غير مؤكد مستقبل الديمقراطية في فرنسا. فالحرب الجزائرية قد جعلت البلاد تهزأ. إن خنق الحريات تدريجياً واختفاء الحياة السياسية وتعميم التعذيب وانتفاضة القواد العسكريين الدائمة ضد الأصوات الحرة تسجل تطوراً يمكن وصفه دون مبالغة بالإرهاب».

ووقف من الكتاب إلى جانب الجزائر كذلك «**جورج آرنو**» مؤلف رواية «**ثمن الخوف**» ويحدثنا **مالك حداد** أنه سأله ذات يوم في باريس: «**لماذا يا صديق وقفت إلى جانبنا**»؟ فأجاب: «**لأنني فرنسي**» ومن هنا يمكن القول إن موقف كتاب فرنسا إلى جانب ثورة الجزائر قد جاء نتيجة لما أحدثه أدب الجزائر في الرأي العام الأدبي والفكري، **فسارتر وآرنو وجان لويس بوري** أحسوا بضرورة انقاذ شرف فرنسا وأنهم خجلوا من كونهم فرنسيين نتيجة لما ترتكبه فرنسا من جرائم.

ويمكننا أن نوجز صورة «**قضية الحرية**» التي عرضها أدب الجزائر على العالم والرأي العام الأدبي. إنها تتحدد بنوع الهدف الذي تنشده وهي تعني حواراً مع الآخرين كما تعني الاعتراف بالخطأ وإدانة أخطاء الآخرين. إن الأدب الجزائري أكد أن الكاتب والمبدع على وجه العموم هما ظاهرة اجتماعية فلا يجوز لنا أن نحدد الكاتب بالقياس إلى الوضع الذي هو جزء منه، بل علينا ـ كما يقول **مالك حداد** ـ أن نحدد مكانه من هذا الوضع بالذات فهو شريك الجماعة سواء كان موجوداً فيها أو غائباً عنها. ولا نستطيع أن نحدده بالقياس إلى هذه الجماعة عن طريق صراعه أو تعاونه معها. فهو لا يمثل عزلته الخاصة ولا اعتباره السياسي الشخصي بقدر ما يمثل إبداعه، وإبداعه يجد مجاله الكامل في عبقريته وفيما يقدمه من آثار مجدية، وفيما يقوم به من أعمال صالحة والعمل الصالح كما يقول **مالك حداد** هو: عمل الخير وعمل كل ما فيه خير.. **إن معايير الخير ليست بالمعايير التي تستعصي على التعريف فالأثر الإبداعي يخدم الخير ويسعى في طريق الخير بقدر ما يكون واعياً لمسؤوليته الجماعية وبقدر ما يسهم في تمزيق وتشتيت قوى الشر المادية والمعنوية**.

وهكذا يمكننا أن نقول إن مظاهر التجديد في الأدب الجزائري تتمثل في مضمونه الجديد الذي اتخذ المقاومة والحرية موضوعاً أساسياً دارت حوله كل الأعمال الأدبية من شعر وقصة ومسرح، فاستطاع بذلك أن يكسب إلى جانب القضية الوطنية كتّاباً ومفكرين فرنسيين وغير فرنسيين عن طريق مخاطبة الجانب الإنساني فيهم بخطاب مقنع بعدالة القضية. وتتمثل مظاهر التجديد كذلك في استخدام أجناس أدبية جديدة لم تعرف بشكلها المتطور عند العرب... إلا عن طريق الغرب كالقصة والمسرحية.

الهوامش

(١) انظر «الأدب المقارن» للدكتور غنيمي هلال، ص ١٠٠ وما بعدها.
(٢) أدباء من الجزائر ـ سلسلة اقرأ، ص ١١.
(٣) المرجع السابق، ص ١١.
(٤) د. إبراهيم الكيلاني: نفس المرجع. انظر الفصل الخاص بمحمد ديب.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) المرجع نفسه ـ انظر الفصل الخاص بكاتب ياسين.

ندوة العدد



المسرح.. بين النظرية والتطبيق

إعداد :
خليل إبراهيم الفزيع

يقال إن المسرح هو أبو الفنون لأنه يجمع على خشبته أكثر الفنون المعروفة كالأدب ـ نثراً وشعراً ـ والديكور والرسم والموسيقى والرقص وغيرها من الفنون التي تشكل جوانب أساسية أو هامشية في المسرح . وكان اهتمام الشعوب بالمسرح نتيجة حتمية لإدراكها لخطورة الدور الذي يمكن أن يؤديه المسرح في حياة الناس وتثقيفهم وتوجيههم إلى المثل العليا .

وقد استضافت « **الفيصل** » في هذه الندوة مجموعة من المهتمين بشؤون المسرح ، وطرحت أمامهم بعض القضايا المتعلقة بالمسرح وما يتعلق به وهم :

- **الأستاذ سامي خشبة : مصر .**
- **الأستاذ محمد العواد : البحرين .**
- **الأستاذ عبد الرحمن المناعي : قطر .**

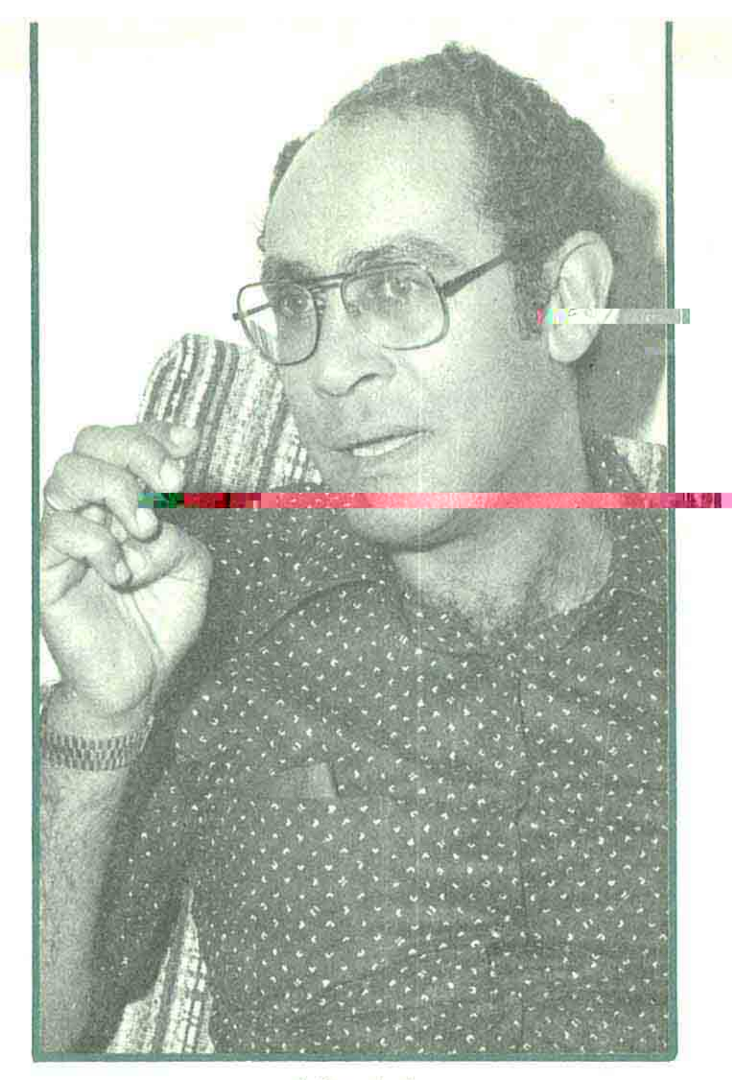
العمل الأدبي .. والفعل المسرحي

●● في المسرح هل يمكن أن نفرق بين ما هو أدبي مخصص للمطالعة ، وبين ما يملك قيماً مسرحية تصلح للتقديم أو الفعل المسرحي المخصص للمتفرج ؟

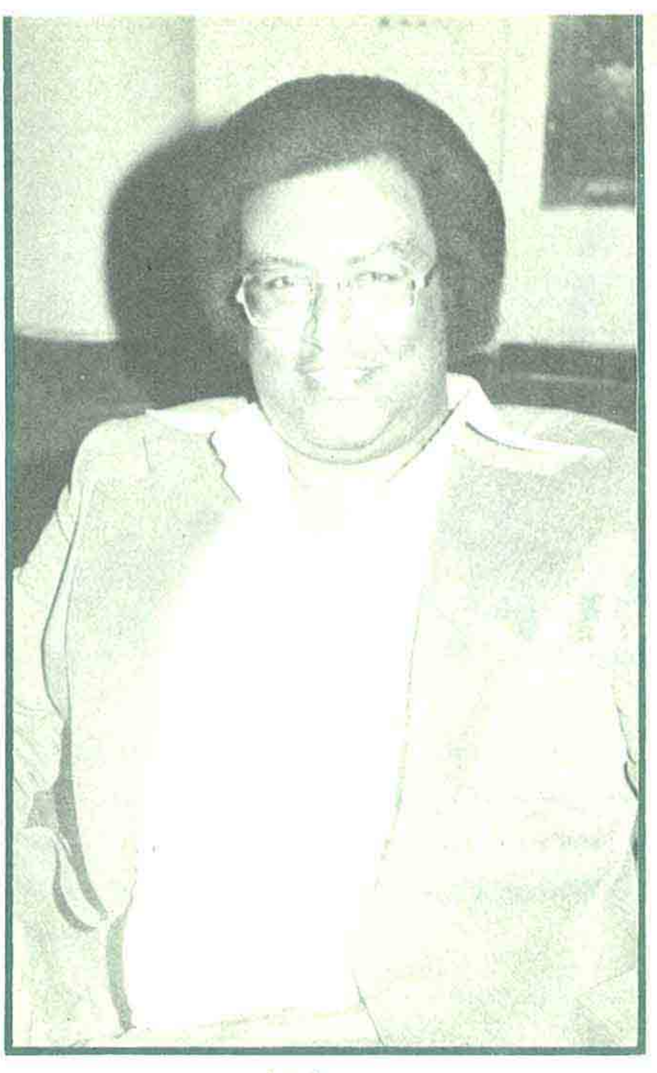
★ **خشبة** : أجل ممكن ، ولكن يجب أن نغيِّر المطلع من « **المسرح** » إلى « **الدراما** » .. فما يكتب ويكون صالحاً للعرض المسرحي ، لا يتجلى بكل أبعاده ، ولا يكتمل كعمل فني إلا فوق منصة المسرح . ولكن يمكن ، وهناك أمثلة عديدة لذلك ، أن يكتب في القالب الدرامي شيء لا يكون مهيأ بشكله « الأدبي » أو بالصورة التي اختتمه بها الشاعر أو الأديب الكاتب للعرض المسرحي ، ولكنه يظل ممتعاً ومثيراً للخيال والوجدان والعقل من خلال القراءة ، وهناك أعمال من نوع ثالث تجمع بين الإمكانيتين : العرض المسرحي ، والقراءة : تكتمل بأي منها فنياً ، وتوصل معانيها وأبعادها الفكرية والجمالية من خلال الصورة والوجود الحي ، والصوت والكلام والمنطق والحركة المتجسدة على منصة المسرح ، أو بالقراءة : الفردية الصامتة (بالعين وحدها) ، أو القراءة الجماعية (الأداء بالصوت غير التمثيلي وغير المتشكل في إطار مسرحي كامل) .

والأعمال الدرامية / المسرحية العظيمة تكاد كلها تنتمي إلى هذا النوع الأخير ـ مع تحفظات سوف أشير إليها ـ . خذ مثلاً **شكسبير أو راسين وكورني ، أو أبسن وسترزانبرج ، أو تشيكوف** ... تستطيع أن تجد متعة فنية إجمالية (وجدانية / عقلية) كاملة بقراءة معظم أعمالهم ، وحدك أو مع مجموعة فيما يعرف باسم (**تلاوة** recitation) .. وتستطيع أيضاً أن تحصل على متعة فنية لها نفس الأبعاد ، ومكتملة ، وإن كانت ذات طبيعة مختلفة ، من خلال « **الفرجة** » عليها ، مجسدة فوق منصة العرض المسرحي .

وتتضح المسألة إذا قارنا أعمال هؤلاء ، بالكتابات الدرامية لشعراء **الرومانتيكية** العظام : **بايرون ، أو هيجو ، أو هوفنستال** مثلاً ... نقرأ مثلاً « **سنسيا** » لبايرون ، مثلما نقرأ عملاً « شعرياً جميلاً » ، استخدام البناء الدرامي لزومة لغة الشعر الغنائي ، واستخدم



★ سامي خشبة ★



★ محمد العواد ★

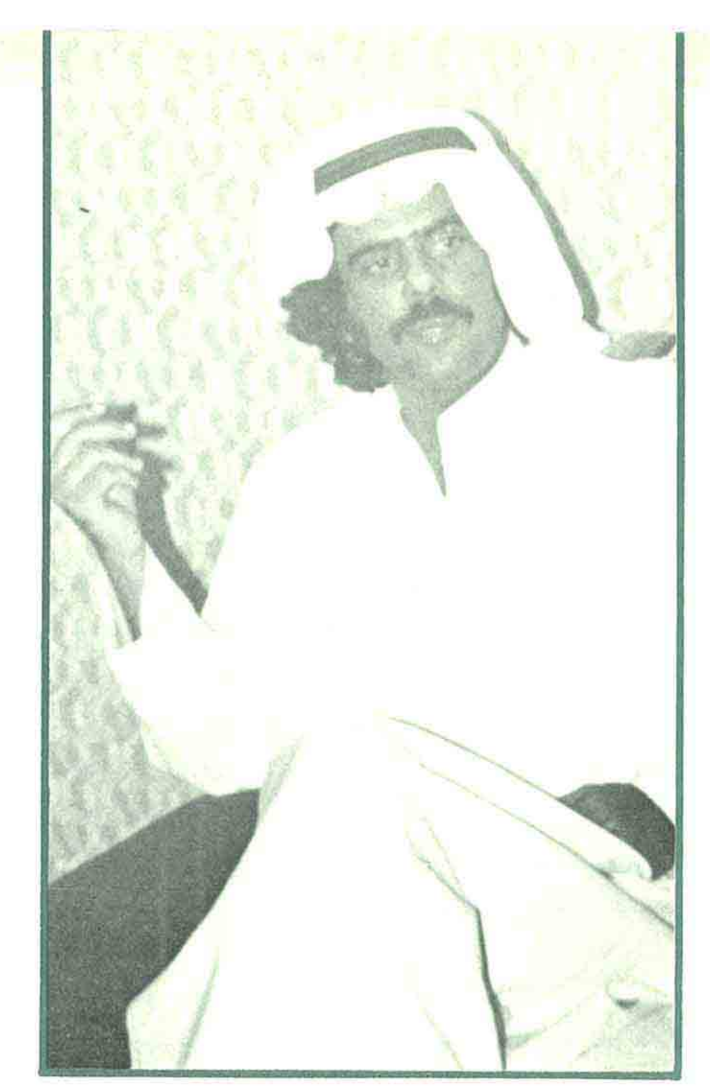
الشخصيات الدرامية ولكنه استخدم تراكيب ومقاطع القصائد الغنائية ، ولم يفكر أبداً في تزويد العمل بالمشهيات «المنظرية» ولا بحدة وعملية الحوار ، ولم يخضع الشعر لذلك الاقتصاد المستور المطلوب في الحوار المسرحي ... ولذلك **فشلت أعمال بايرون «الدرامية» على المسرح ، وما تزال تعد «مغامرة» غير مأمونة** ، كما تتطلب تدخل الإعداد المسرحي من جانب كاتب متخصص أو المخرج نفسه .

وهكذا الحال حتى مع **«كرومويل»** فيكتور هيجو ، أو غيرها من أعمال الرومانتيكية ، وهكذا الحال أيضاً مع معظم أعمال **توفيق الحكيم** ، أو الشاعر **أحمد شوقي** ، مع ملاحظة فارق هام ، هو الفارق بين جمهور يعرف المسرح ويعرف «عادة» الاستمتاع من خلاله ، وعادة الاستمتاع أيضاً من خلال القراءة والتلاوة ... إلخ . فالحكيم أو شوقي قد ينجحان مع جمهورنا ، ولا يدل هذا على قوة أعمالهما «مسرحياً» .

ومع ذلك ، فالكثير من أعمال كتّاب المسرح العظام وشعرائه ، خصوصاً من العصور القديمة ، أصبحت بحاجة لإخراجها بنجاح في عصرنا إلى تدخل الإعداد العصري ، ولو بحساب ، للحصول على بناء وإيقاع يتماشيان مع حساسية الجماهير الجديدة في عصرنا . وقد يكون هذا شيئاً يتم في إطار «التجريب» الفني ، ولكنه يدل على أن الحساسية المعاصرة تفرض نفسها حتى على أعمال الكتّاب العظام .

وهذا يعني أيضاً ، أن تغير الحساسية الجمالية بتغير العصور والحياة ذاتها تفرض على الناقد ، كما تفرض على الفنان المسرحي ، ضرورة ظهور مقاييس جديدة للإبداع الفني ، ولتقييم هذا الإبداع وعرضه ، والمسرح من أكثر الفنون تأثراً بهذا التغير ، ولكن الأعمال المسرحية العظيمة ، من أكثر الأنواع «الأدبية» قدرة على استيعاب مظاهر ونتائج التغير نفسه .

★ **العواد** : بالطبع فإن هناك نوعاً من الأدب المسرحي الذي يكتب ليقرأ ، ولا يمكن تمثيله على المسرح إلا بجهد كبير من الإعداد والتعديل ، ومنها بعض المسرحيات الشعرية مثلاً .. بل إن **في أوروبا ، على سبيل المثال ، مسرحيات تقدم على المسرح ويحضرها الجمهور ليستمع إليها فقط دون أداء تمثيلي ، وإنما تأتي التعابير من خلال التلوين في الإلقاء ، وتسمى بالإنجليزية**



★ عبدالرحمن المناعي ★

«**ريدنج بلاي**» ، وقد قدم لها مشابه في **مصر** في العام الماضي في بيت شوقي ، وعن **الأباصيري** على ما أعتقد .

أما المسرحية التي تمثل على المسرح فإن لها اشتراطات وخصائص أساسية ، كأن تكون المسرحية من فصل أو فصلين أو ثلاثة ، وأن تتوفر فيها **الوحدة الزمانية والمكانية ، ووحدة الموضوع** ، وأن تحمل فكراً أو مضموناً يحدد أهدافها من خلال المشكلة المطروحة بحوارها المعقول المقبول أمام الجمهور .

★ **المناعي** : باعتقادي أن هناك فرقاً بين النص القابل للمسرحية ، والنص الأكثر ملاءمة للقراءة ، والفرق هو احتواء النص على فعل مسرحي يساعد على إيجاد جو درامي حركي وبه مساحات للإبداع والتعبير ، على عكس **النص الخطابي** المفعم بالكلمات واعتماده على التفصيل المروي وإبراز المقدرة الأدبية والبلاغية .

مسرحة المسرح

●● **هناك دعوة جديدة قديمة لمسرحة المسرح ترى أن المسرح ليس بمعبد أو مدرسة أو منبر أو مرآة ، بل هو مسرح فحسب .. فما رأيكم ؟**

★ **العواد** : قد تكون الدعوة تحذيراً للابتعاد عن التوجيه والوعظ المباشر ، أو الإغراق في تقديم الأفكار السطحية ، والعيوب الاجتماعية البالية أو المستهلكة ، حيث إن المسرح يجب أن يقدم الفرجة والمتعة بجانب الفكر والمضمون القوي الجيد الذي يتسع للنقد والنقاش من خلال ما يطرح من قضايا ذات أبعاد إنسانية ، وردود فعل تنعكس على الجمهور المتلقي بحيث يشارك فكرياً في ما يشاهد .

★ **المناعي** : أوافق على أن المسرح مسرح ، وأن نحدد علاقتنا به حسب رأيي كملتق لطرح قضايا ذات علاقة وطيدة بالجمهور ، ونترك للجمهور حرية الاعتبار حسب قانون الندوة الحرة ، **فالفنان المسرحي لا يجب أن يكون واعظاً أو مدرساً** ، بل يجب أن يكون إنساناً ذا قدرات مسرحية جيدة ، مدركاً لأبعاد القضية المطروحة .

★ **خشبة** : هذا الكلام قد يصلح لوضع قواعد نظرية عامة لتسهيل صياغة «**جماليات مسرحية**» تساعد على تعلم النقد ، والتفكير الفني المسرحي ، ولكن الطبيعة النهائية لفن المسرح ترفض هذا الكلام من ناحية تطبيقه عملياً : **المسرح فن تنتجه «جماعات» متكاملة من الفنانين ، وتتلقاه جماعات متكاملة من الجماهير** . «الطبيعة» الجماعية ، في حد ذاتها ، تفرض على المسرح أن يكون له «**أثر**» أو علاقة ما بالحياة خارج «قاعة العرض المسرحي» مهما كان موضوع أو أسلوب العرض المسرحي .

لقد ناقش النقاد والمفكرون ، في الغرب والشرق ، وفي وطننا العربي ، كثيراً مسألة «**الفن للفن**» أو «**الفن للحياة**» ، وفي المناقشة اتضح أن السؤال في حد ذاته يحتوي على مغالطة ، وأنه «خطأ» ـ منطقياً ـ : الفن ـ سواء كان أدباً أو تشكيلاً أو مسرحاً ، أو حتى موسيقى ـ يؤثر في الحياة ويتأثر بها ، بواقعه الاجتماعي والثقافي والإطار الفكري والأخلاقي ، والحساسية السائدة والذوق السائد . . . إلخ . لكن هذا لا يمنع أن «النوع الفني» له قواعده وأصوله ومناهج تعلمه وخطوات اتقان «صنعة» مثل أي علم أو حرفة . . ومن المؤكد أن اتقان هذه القواعد والأصول والمناهج ، يساعد الفنان صاحب الموهبة على تقديم أعماله في إطار قوي ومؤثر . . أي مؤثر «في الحياة» . . . ولا يمكن الفصل بين الاثنين .

فنون تخدم المسرح

●● **هل هناك فنون أخرى يمكن أن تخدم المسرح وتكون في حالة تبعية له ؟**

★ **المناعي** : المسرح هو الحياة بكل ما تحويه من أشياء . . توظيف الفنون عامة لحساب الشكل هي عملية بهرجة ليس إلا ، لكنني أوقن بأن

عامة الفنون إذا وظفت لخدمة المضمون ، وساهمت في تجسيده وإيصاله تكون إبداعاً جيداً .

★ **خشبة** : كما أن المسرح هو أبو الفنون ، فإن الفنون الأخرى تتمناه بدورها . . هل تتصور مسرحاً بدون عناصر التشكيل : اللون والكتلة والمساحة والضوء ؟ وهل تتصور مسرحاً بدون عنصر الصوت : موسيقى أو إيقاع الصوت البشري نفسه ؟ ولكن هذه الفنون ، عندما تأتي إلى المسرح ، فإنها تقبل تطويعها لتجسيد العمل المسرحي ، وتكون بالطبع « جزءً عضوياً » من العمل ذاته في النهاية .

في الغرب ، يتدخل فن « **العمارة** » تدخلاً حاسماً في فن العرض المسرحي ، وقد كان لتطور هذا الفن — **في إيطاليا وفرنسا** — تأثيراً قوياً على تطور فن العرض المسرحي ، وعلى تطور أسلوب التأليف ذاته . . وليس من السهل ، مثلاً ، أن نطور مؤلفاً يكتب مسرحية مثل « **بعد السقوط** » **لآرثر ميللر** ، التي تعتمد على **الإضاءة والفانوس السحري** وعلاقات ألوان الضوء وألوان مساحات الستائر والفراغ ، دون أن يكون المؤلف قد تلقى تأثيراً قوياً من إمكانات فنون أخرى ، بل ومنجزات تطبيقات تكنولوجية معينة . . . وإلا عرضت مسرحية من هذا النوع ، نسجت بأسلوب « **تيار الوعي** » ، والتداعي الذهني بطريقة سخيفة وفجّة ، تجعلها تبدو كعمل مسرحي مهلهل ولا رابط له . . . **والمسرح يكتمل بتعاون فنون كثيرة ، تمتزج وتتناغم في أسلوب أوركسترالي منظم ومحكوم ومحلق بالموهبة والخيال .**

★ **العواد** : المسرح يسمى أبو الفنون ، وهو حقاً جدير بهذه التسمية وأب شرعي لكل الفنون ، فبجانب الأدب ، كالقصة والشعر ، نجد **الفنون التشكيلية** في الديكور ، **وتصميم الملابس** والأثاث « **الاكسسوارات** » والموسيقى والغناء والإلقاء ، والتلوين في الصوت الإنساني ، والرقص والحركة والإيماء ، وباقي المهارات الفنية الأخرى كلها تصب في المسرح وتتوفر لخدماته .

الجدار الرابع

●● **المدارس التقليدية في المسرح ترى ضرورة الأخذ بوهم (الجدار الرابع) الذي يفصل الممثل عن الجمهور ، الأمر الذي كان عليه أن يضمن طبيعة الحركة والسلوك اليومي على الخشبة ، حيث يتصرف الممثل وكأنه في بيته . فما سبب أو أسباب تحطيم هذا (الجدار الوهمي) عند المدارس الحديثة .**

★ **خشبة** : أعتقد أن الجدار الرابع ، لم يتحطم تماماً في أي مدرسة من مدارس العرض المسرحي الحديث ، كما أعتقد أن (**الجدار الرابع**) لم يكن بلا جدار تماماً في أي مدرسة تقليدية . فمهما كانت طبيعة « **المدرسة** » التي ينتمي إليها العرض ، ومهما كانت مظاهر تحطيم (الجدار الرابع) بادية قوية في البداية ، أو حتى قبل بداية العرض وفي أثنائه ، فإنني أعتقد أنه ما أن يبدأ العرض ، وما أن يندمج الممثل ، حتى يرتفع (الحائط الرابع) من جديد ليحجز بين الممثل إلى درجة معينة .

كذلك أعتقد أن المدارس التقليدية لم تكن تعتقد أبداً بأن الممثل ، حتى وهو في قمة اندماجه ، يمكن أن ينسى تماماً أن هناك جمهوراً جالساً في الظلام أمام المنصة يتفرج عليه وينفعل معه ويتابعه باهتمام وتقدير ، أو باهتمام واستهجان . . أو دون اهتمام .

« **الحائط الرابع** » **مجرد فكرة نظرية عامة ، ينبغي أن تعامل على أساس « عملي » . فائدتها هي نصح الممثل بأن « يتجاهل » إحساسه بمن يتفرجون عليه ، حتى يستطيع أن يندمج بحرية أكبر وتلقائية أشد** ، حتى — مرة أخرى — يستطيع أن يؤثر فيهم بدرجة أكبر . . أي حتى يستطيع أن يتخطى « وهم » **اللامسرح** . . . فالممثل والمتفرجون يعرفون (طبعاً) أن هذا مسرح . ويسعى الممثل إلى إيهام المتفرجين بأنه يعرض عليهم شيئاً حقيقياً (لا مسرح) . ويوافقون هم على هذا الوهم حتى يمكن أن يستمتعوا . . ولكن يظل الإحساس قائماً بقوة . . والتوتر الناشئ من التصديق والرفض — يشارك بلا شك — في متعة المسرح نفسها .

والعكس صحيح ، في المسرح الحديث ، لا يحاول الممثل (أو المخرج) إيهام المتفرجين بأنه يعرض عليهم شيئاً حقيقياً ، مع أنه — حينما يبدأ التمثيل — يأخذ في الاندماج ، ويأخذون هم أيضاً في تصديق أن هذا حقيقة . . . والتوتر الناشئ من العملية العكسية هذه ، يسبب أيضاً جزءً هاماً من متعة المسرح .

الحائط الرابع كان دائماً مليئاً بالنوافذ ، وكلما تحطم نظرياً ، يرتفع من جديد بنوافذه القديمة مع بداية كل عرض مسرحي . . والمهم هو العلاقة الحية الدائمة بين منصة العرض المسرحي ، وبين الجمهور .

★ **العواد** : فن المسرح فن متطور يستطيع التلاؤم والانسجام مع كل استحداث أو عصر أو اجتهاد ذكي . . فمنذ بداياته الأولى في المعابد عند **الإغريق** ، وحلبات المصارعة عند **الرومان** ، ومع الكنيسة ، إلى أن تطور في عصوره الحديثة حيث جدد بإطار Proscenium ، وصالة auditorium يجتمع فيها نخبة من الناس أغلبهم من علية القوم وباتفاق أخلاقي تحت عملية الايهام بما يسمى الجدار الرابع ، أي على المشاهد أن يتخيل أو يوهم نفسه بأن ما يشاهده قد جرى ضمن أربعة جدران ، أو في مكان أو موقع ما . هذا هو المتبع في المسرح التقليدي والطرح الواقعي . . إلا أنه ، وكما قلت سابقاً ، في المسرح مجال واسع للتطوير والاستحداث والاجتهاد الجاد نحو الأفضل ، وهذا ما دعا إلى ظهور عدة صيغ وأشكال (**كمسرح الدائرة**) theatre in round ،

وهو أن يحيط المتفرجون بالممثلين من جميع الجهات ، (**ومسرح الهواء الطلق** the open air arena) ، و (**مسرح الشارع**) ، و (**مسرح الورشة أو المختبر المسرحي** theatre workshop) ، وهو جماعي وقد أسسه **جون ليتل وود** ، وقدم أعماله على **المسرح الملكي في ستراتفورد** ولندن عام ١٩٥٣م ، حتى ١٩٦٤م .

ومسرح الدائرة الحديث ، ظهر في **روسيا** عام ١٩٣٠م ، ثم انتشر في **أوروبا وأميريكا** الآن .

وهو نوع من التمرد الطبيعي على المسرح التقليدي ، وكسر قاعدة الايهام بافتراض وجود (جدار رابع) في اللعبة المسرحية التي أصبحت واضحة ومكشوفة للمتفرج الذي لا ينطلي عليه بأن ما يجري أمامه هي أحداث وقعت فعلاً في مكان ما وبأشخاصها الأصليين .. إنه لا شك يعرف أسماء الممثلين وقد تكون المعرفة شخصية .. بل إنه يعرف أنه جالس في صالة المسرح الفلاني وأن سيارته (مركونة) في الموقف التالي ، وأن ما يتفرج عليه هي مسرحية يقوم بتمثيل أدوارها نخبة يعرفهم جيداً يؤدون أدواراً قد تؤثر فيه وقد تكون عكس ذلك .

من هذا المنطلق ، وإزاء هذه القناعة المنطقية ، لجأ المحدثون إلى توثيق العلاقة الفكرية مع المتفرج ، واشراكه في اللعبة بالتبسيط في الديكور المسرحي ، وتمديد مساحته خارج الإطار التقليدي ... (**البروسينيم** PROSCINIUM) وإيجاد ممثل يؤدي دوره من على مقاعد الجمهور .. بل إن هناك مسرحيات تحريضية ذات ردود فعل سلوكية فورية (**بريخت ...** Brecht, Bertolt) ١٨٩٨ ــ ١٩٠٦ م ، جعلت العلاقة بين الممثل والمتفرج وثيقة وحميمة .

ويجب أن نفهم جيداً أن هذه التجارب وهذا الاستحداث لم يكن وليد الصدفة والارتجال كما يمارس عندنا الآن .. إنه نتيجة معاناة مضنية .. وتفكير عميق دقيق ، ونقاش حاد ووجود الصيغة المطلوبة في التمرد والتغيير بتجريب هذه الصيغ التي تولاها المسرحيون الشبان الذين يتمتعون بمستويات ثقافية وعلمية عالية وملكات ابتكارية مبدعة .

★ **المناعي** : إن توظيف العمل المسرحي انتقل في مراحل عديدة حسب حاجة أي مجتمع لتوظيفه لغرض معين ، والمدارس التي ساهمت في إلغاء هذا الجدار كثيرة أثبتت دورها في تطوير المسرح ، إلا أن الحقيقة الكبرى التي ألزمت الأغلبية بتحطيم هذا الحاجز هي أن هذا العصر يتكلم بالأرقام ، ومستحدثات الأعمال أصبحت متعددة تجاوزت المسرح وحدت من انتشاره جماهيرياً بحيث أصبح يمر من خلالها .

وإنسان هذا القرن لا مجال لإيهامه ، وشخصياً أفضل الممثل الذي يصطنع من عقول النظارة وإدراكهم جداراً تصطدم آراءه به حتى يستوجد تفاعلاً إيجابياً واعياً .

التقديم المتقن

●● **بعض النقاد يرى أن (التقديم المتقن) هو الأساس في الحكم على العمل المسرحي ، وأن ارجاع العمل المسرحي إلى هذه المدرسة أو تلك أمر ليس له أهمية مع ملاحظة ما يمكن أن ينطوي عليه (التقديم المتقن) من تحد للنص أو حتى الإخراج . فما رأيكم في هذه المقولة ؟**

★ **خشبة** : ما معنى عبارة « التقديم المتقن »أولا ؟ أعتقد أنها تعني عدة جوانب :

أولا ، هي اتقان الحرفة المسرحية ، الأداء ، والإلقاء والحركة والقدرة على التقمص ، إنسيابية الإيقاع والتكامل بين العناصر المكونة للعرض من إضاءة وديكور وملابس ... إلخ .

وثانياً ، وهو ما أعتقد أنه المقصود بالسؤال ، هو الوصول إلى معنى العمل المكتوب ، أو السيناريو المعد للمسرحية ، **السيناريو** في حالة مدارس حديثة معينة ، مثل **مدرسة جروتوفسكي** ، حيث يكون النص مثل سيناريو التصوير السينمائي ، متضمناً الحوار وعناصر الصورة والحركة والموسيقى .. إلخ .

إن الوصول إلى معنى العمل أولا يرجع إلى عوامل كثيرة ، أهمها قدرة المخرج وفريق المسرحيين على إقامة علاقة عقلية ووجدانية حساسة مع العمل (**مع المؤلف**) . ولا بد أن نلاحظ أن المخرج وفريق المسرحيين ، قد لا يكونون منتمين إلى نفس عصر المؤلف ، أو إلى نفس بلاده ، أي لا ينتمون إلى نفس ثقافته ، ويقدمون عملهم إلى جمهور مختلف نوعياً وفكرياً وأخلاقياً وذوقياً وجمالياً عن الجمهور الذي كان المؤلف يفكر فيه وهو يكتب .. وبالتالي ، يركز المخرج على جوانب ، أو يضيف جوانب نظرية مؤكداً « معنى » معيناً ... **ماذا يحدث حينما يقدم مخرج من جنوب إفريقيا عملاً لبريخت؟ وماذا يحدث إذا قدمت «حلاق بغداد» أو «باب الفتوح» في لبنان أو تورنتو أو طوكيو؟** . بسبب حالة مثل هذه تكاد تكون هي القاعدة في المسرح المعاصر ، لا بد من التسليم بحقيقة بديهية هي حق « **الإخراج** » في التفسير والتأكيد على جوانب معينة بأساليب مختلفة ...

إن « **النصوص** » فقدت « قدسيتها » أولا بسبب اكتشاف تغيّر حساسية الجمهور مع تغيّر الزمان والمكان ، وثانياً بسبب سيادة مفهوم « **التجريب** » ومفهوم « **البيت المسرحي** » حيث يزاول الفريق المسرحي عمله باعتباره إبداعاً جديداً متكاملاً ، وليس بوصفه مجرد « **إعادة تقديم** » نص قديم ، أو توصيل ما كتبه المؤلف للجمهور ...

العرض المسرحي لم يعد مجرد « **أداة توصيل** » للمؤلف .. وإنما أصبح المؤلف والفريق المسرحي أبناء « بيت واحد » لهم عمل متكامل ومترابط .. الخطوة الأخيرة فيه هي وقوف الممثل فوق « **مساحة خالية** » كما يقول **بيتر بروك** .

★ **المناعي** : إن الشكل هو أسلوب التقديم ، إذن لا قيمة لأي

وجبة غذائية مهما احتوت من فيتامينات ما لم تؤكل ، ولن تؤكل ما لم تقدم بطريقة جذابة تغري بالتهامها ، ولكن يبقى أن ندرك أن الشكل المسرحي يجب أن لا يحد من قيمة النص ، بل يجب أن يكون إبرازاً لجوانب قائمة في النص وإطاراً منسجماً ومتلائماً مع الصورة .

★ **العواد** : إن الناقد المتخصص الجيد هو الذي لا يفضل أي جانب من اللعبة المسرحية إلا ويوفيه حقه بدءاً من تحليل المسرحية وأفكارها ، إلى تقييم عناصر ومركبات تكوينها سلباً وإيجاباً ، والاشتراطات الأساسية في الناقد المسرحي ، أن يكون في المقام الأول قد مارس التمثيل وعلى دراية كافية بتقنية الإخراج وباقي التقنيات الأخرى التي يتركب منها العمل المسرحي .

لذا فإن التقديم المتقن وحده لا يكفي إذا كان هناك خروج على النص ، وعلى تعاليم وارشادات المخرج ، وأنا شخصياً لا أميل إلى الانتماء إلى أي مدرسة ، ولست أدري من أين جاءت هذه التسمية ؟. إن الصحيح هناك مذاهب أدبية فنية ، وأساليب يرتكز عليها المخرج في تفسيره للنص والصيغة المطروحة ، الآن ومنذ زمن ، هي الاجتهاد في الإبداع والتجريب والتحديث ، وأنا أميل إلى هذا الجانب .

التشكيل في المسرح

●● **التشكيل في المسرح (من ديكور واكسسوار وغيره) هل هو عنصر مساعد أم شريك قوي في التقديم .**

★ **خشبة** : بمراجعة ما قيل حول السؤال الثالث ، نستطيع القول بأن التشكيل ليس « عنصراً مساعداً » ، ولكن أيضاً ليس « شريكاً قوياً » في التقديم .. وإنما هو جزء « عضوي » من بنيان واحد هو العرض المسرحي ..

والعرض المسرحي كيان فني عضوي ينمو بوصفه «كلاً» واحداً .. لكنه لا ينمو بالطبع «مرة واحدة» .. إنما ينمو بالتدريج ، **وعلينا أن نتذكر دائماً أن المسرح فن «بصري» ، كما أنه فن سمعي وقولي في وقت واحد** .. والإبصار فيه يسبق السمع واللسان .. ثم يواكبهما باستمرار .. وما نبصره في البداية هو «**البدن**» الذي سنكتشف فيه الروح بعد قليل .. وسنظل نبصره بعد أن تدب فيه الحياة بالحركة وأجساد الممثلين ، وحوارهم وما يحيط بهم ــ في فراغ البدن ــ من موسيقى أو أصوات ...

★ **العواد** : هو في الأساس عنصر مساعد ، إلا أن هناك حالات يتم فيها توظيف هذه الأشياء ، بحيث تشارك في الأحداث التي تدور كالسكين والمسدس في القتل ، السيجارة ، الخاتم ، المقاعد والطاولات كعوائق في **المسرحيات ذات الأبعاد النفسية والفلسفية** .. إلخ .

★ **المناعي** : يجب أن نقر حقيقة أن هناك مقولة مسرحية . أساساً يجب أن تستلهم كل العناصر الفنية في المسرحية لإبرازها ، وبدونها لن تصل ، وذلك يتراوح اعتماداً على قدرات المخرج ، فالبعض لا تعني الإضاءة لديه أكثر من مساعدة المشاهد لرؤية الأشياء بوضوح ، بينما آخرون يساهمون بفهمهم الكامل للإضاءة في إيجاد مشاعر وردود فعل عندما توظف هذه الأشياء بشكل مدروس .

المسرحية .. بين النص والعرض

●● **هل يختلف الحكم على المسرحية ، إذا كانت نصاً عن الحكم عليها على ضوء التطبيق والتجسيد والعرض .**

★ **خشبة** : الحكم على المسرحية باعتبارها « نصاً » حكم مستقل ، له قيمه الجمالية والذوقية ، وأبعاده العقلية الخاصة .. لكنه حكم ناقص ، ويظل ناقصاً ، لأن المسرحية نفسها ، باعتبارها عملاً فنياً ، يظل تحققها هي نفسها ناقصاً إلى أن تتجسد على منصة العرض المسرحي .. ولا شك أيضاً أن التناول النقدي الناضج للنص المسرحي وحده ، يحاول دائماً أن يقيم أحكامه في ضوء « تخيل » الناقد للمسرحية فوق منصة العرض .

الناقد يحاول أن « يؤدي » كل الأدوار ، وأن يقيم في خياله « إخراجاً » كاملاً للنص الدرامي (المسرحي) الذي يتناوله بالنقد .

ولا أنكر أن هناك أعمالا نقدية ــ خصوصاً في عالمنا العربي ــ كتبت عن نصوص مسرحية باعتبار هذه النصوص أعمالا (أدبية) فحسب ، فتحدثوا عن « قصتها » ومواقفها وشخصياتها ، دون أن يفكروا في علاقتها بالمنصة المسرحية .. مثل هذه الأعمال النقدية لا علاقة لها بالنقد المسرحي ، وقد تدخل في نوع آخر من أنواع النقد الأدبي .

وفي الغرب ، حيث تحترم « تقاليد » كل علم بما في ذلك علم النقد والتذوق الجمالي والفني ، توجد أعمال نقدية من هذا النوع (**نقد إليوت أو برادلي لشكسبير مثلاً**) ، ولكن هذه الأعمال النقدية تعتبر إما جزءً من **التفكير الثقافي العام** (في حالة إليوت) ، أو نوعاً خاصاً من **النقد الأدبي** (في حالة برادلي) ، قد يستفيد منها النقد المسرحي والتفكير المسرحي (الإخراج) فيما بعد . ولذلك ، لا يسمى نقداً « مسرحياً » إلا التناول النقدي الذي يستطيع أن يستوعب « كلية » العرض المسرحي ، وأن يكتشف المعنى من خلال التجسيد المتكامل ــ البصري السمعي القولي ــ للمسرحية فوق منصة العرض ، أو في داخل صالة التمثيل .

★ **المناعي** : بالطبع يختلف الحكم في كل حالة .

★ **العواد** : **المسرحية كنص تعتبر عملاً أدبياً مقروءً** فقط ، أي جامد محدود الرؤية ، وعندما يمسرح تُضاف له أبعاد ذات رؤية جديدة ، تفسره وتجسده بوجود حي ، تُضاف له عناصر عديدة تُسهم في عرضه وانتشاره .



تحيّة إلى «نُجُد» و«الرياض»

بقلم : رياض المعلوف

يا عاقد الكوفية البيضاء تاجاً على الصحراء والبطحاءِ
أملٌ أطلَّ من «الرياض» بهيبة عربية جذابة سمراءِ!..
وجهٌ به الحادي حدا في (نجده) ما نجد إلا قبلة الشعراءِ
عنها اتخذنا الشعر في تجديدنا والفضل كل الفضل للقدماءِ..
ما كان فيها الشعر إلا متعة بمجالس الأمراء والندماءِ!..
لله صحراءٌ مضيءٌ رملُها وإخالها أبدية الايحاءِ
فرمالها قِطع الضياء تكسّرت وتلألأت كالغيمة الشقراءِ!..
تلك القوافل لا عدمتُ مرورها في البيد عبر الليلة القمراءِ..
وسمعتُ من أجراسها نغماتها مع كل موالٍ ورجع حداءِ..
ما الشعر إلا أن تكون متيماً بالحسن بل بالمقلة النجلاءِ!.
ما «نجد» إلا للقلوب قصيدة مكتوبة بالعطر والأنداءِ!..



العادي هو المألوف والشائع ، والشاذ هو غير المألوف والمختلف ، ولا يخلو مجتمع أو مدينة أو قرية من وجود أفراد يشذون أو يختلفون ، فنجد أن بعضهم لديه نقص في السمع أو البصر أو فقدان لهما ، أو عاهة جسمية مقعدة أو مرض مزمن . وفي كل مجتمع يوجد أفراد متفوقون عقلياً ، كما يوجد أفراد متخلفون عقلياً .

هؤلاء فئات من أفراد المجتمع غير العاديين يختلفون ، أو ينحرفون بالنسبة للشخص العادي أو المتوسط (جسمياً أو عقلياً أو اجتماعياً أو انفعالياً) ويتطلبون تعليماً خاصاً وخدمات خاصة .. هؤلاء هم الشواذ .

ويختلف المؤلفون بالنسبة **لمصطلح الشواذ** Exceptional ، فبعضهم يستخدم مصطلح الشواذ ، وبعضهم يفضل **مصطلح غير العاديين** تجنباً وتحاشياً لوصفهم بالشذوذ . ويقتصر البعض على استخدام **مصطلح « المعوقون »** Handicapped ، إلا أن هذا يستثني فئة المتفوقين .

تصنيف المعوقين

بقلم : د . فاروق سيد عبد السلام

تعريف الشواذ

عرفت اللجنة القومية لدراسة التربية بالولايات المتحدة الأمريكية الشواذ بأنهم « أولئك الذين ينحرفون عن مستوى الخصائص الجسمية ، أو العقلية ، أو الاجتماعية ، أو الانفعالية ، لأقرانهم بصفة عامة إلى الحد الذي يحتاجون فيه إلى خدمات تربوية ونفسية خاصة تختلف عما يقدم للعاديين ، حتى ينمو الفرد إلى أقصى إمكانات نموه » (مصطفى فهمي ، ١٩٦٥ م) .

ومن أمثلة الشواذ ما يلي :

- **المتفوقون عقلياً ، والمتأخرون عقلياً :** فكل من الفئتين تختلف عن الأخرى ، وتختلف عن العاديين من حيث الأداء العقلي ، وما يرتبط به من مظاهر أخرى للنمو ، وما تحتاجه من تعديل في برامج التربية من حيث تنظيمها ومحتواها (يوسف الشيخ وعبد السلام عبد الغفار ، ١٩٦٦ م) .
- **المعوقون جسمياً :** مثل الصم ، وضعاف السمع ، والعميان ، وضعاف البصر ، والمقعدون ، والمشوهون ، والمضطربون كلامياً ، والذين يعانون من أمراض مزمنة .
- **المضطربون انفعالياً :** مثل الاندفاعيين .
- **المضطربون اجتماعياً :** مثل الجانحين .

مشكلات في تصنيف الشواذ

بالإضافة إلى مشكلة مصطلح الشواذ ، هناك بعض المشكلات في تصنيف الشواذ . والمشكلة ليست مشكلة مصطلحات فقط ، وإنما هي أبعد من ذلك ، حيث يمتد أثرها إلى حساب عدد الشواذ في المجتمع وبيئتهم (Hallahan & Kauffman, 1978) .

ومن مشكلات التصنيف ما يلي :

(١) **وصمة الشذوذ :** فكثير من الآباء يقاومون تنميط ولدهم في فئة من فئات الشواذ ، ويعتبرون ذلك عاراً مخجلاً مقللاً من مقامهم ، ويؤدي إلى انطوائهم اجتماعياً ، ويشعرون بالألم ، ويحاولون تجنبه على مستوى شعوري ، أو حتى على مستوى لا شعوري ، كحيلة دفاع نفسي .

(٢) **غموض التعريفات وتغير لفئات الشواذ :** وغموض الحدود الفاصلة بين الجماعات الداخلة تحتها . فمثلاً إذا اعتبرت نسبة الذكاء ٧٠ كحد فاصل بين الضعف العقلي وبين الغباء ، فإننا نجد بعض الكتّاب يعتبرون نسبة الذكاء ٧٥ هي الحد الفاصل . هذا بالإضافة إلى أن نسبة الذكاء وحدها ليست هي محدد الضعف العقلي ، ولكن يضاف إليها محددات أخرى مثل التأخر الدراسي ، وسوء التوافق الاجتماعي والانفعالي .

(٣) **تداخل وتغير التشخيص :** فمثلاً نجد طفلاً ضعيف العقل ومضطرب انفعالياً . كذلك فإن تشخيصاً ما ينطبق على الفرد ، وقد لا يكون ثابتاً بالنسبة له في الشهر التالي . فمثلاً الفرد المضطرب كلامياً قد يتحسن ويصبح عادياً ، وفي نفس الوقت قد يصبح الفرد العادي في عداد الشواذ إذا أصيب بمرض أو تعرض لحادثة ففقد بصره مثلاً .

(٤) **الاختلاف في تحديد الشذوذ تربوياً :** فمثلاً بعض حالات بطء التعلم تكون موجودة في مدرسة ، وعندما ينتقل الطفل إلى مدرسة أخرى يكون أداؤه عادياً .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض المهتمين بالتربية الخاصة للشواذ يفضلون عدم تقسيمهم إلى فئات أو إلى أنماط ويطلقون على فلسفتهم التربوية اسم **« التربية الخاصة غير النمطية »** Noncategorical Special



Education ، وهي فلسفة ظهرت في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الحالي فقط . وتركز هذه الفلسفة التربوية الخاصة على أن كل الأطفال الشواذ – بصرف النظر عن فئتهم – وفيما عدا المتفوقين عقلياً ، لديهم حاجات تربوية مشتركة ، ومن ثم فلا لزوم لفصول أو مدارس منفصلة لكل فئة منها . والمشجعون لهذه الفلسفة يعتقدون مثلاً أن المتأخرين عقلياً بدرجة خفيفة وبطيئي التعلم ، والمضطربين انفعالياً بدرجة خفيفة يشتركون في كثير من الخصائص النفسية والتربوية ، وأن حاجاتهم متقاربة جداً ، ولذلك فإن هذه الفئات الثلاث يمكن معاملتهم تربوياً كنمط واحد . ورغم هذا فإن بعض الدول تبني برامجها التربوية على أساس تصنيفي نمطي حيث لم يوجد حتى الآن بديل ناجح . وكحل مقترح جاءت **فكرة التعليم القائم على الكفاءة** Competence-based Education حيث يدرب المدرسون على القيام بكفاءة بالتدريس لعدد من الفئات بدلا من التخصص في فئة واحدة . وما زال الموضوع ينتظر المزيد من البحوث .

تصنيف الشواذ

أولا : الشواذ عقلياً

إن الشواذ عقلياً يضمون فئتين كبيرتين من الأفراد تختلفان فيما بينهما اختلافاً بيّناً ، وهما مجموعتان متناقضتان إحداهما فئة المتفوقين عقلياً ، والأخرى فئة المتخلفين عقلياً (عبد السلام عبد الغفار ١٩٧٧ م) .

١ – المتفوقون عقلياً :

المتفوق عقلياً هو من وصل في أدائه إلى مستوى أعلى من مستوى العاديين في مجال من المجالات التي تعبر عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد ، بشرط أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة . وعلى العموم ترتفع نسبة ذكاء المتفوقين عن ١٣٠ ، ويكون مستوى تحصيلهم ضمن ١٥٪ من المجموعة ويكون استعدادهم العقلي مرتفعاً بالنسبة للتفكير الابتكاري .

ويصنف المتفوقون عقلياً بدورهم إلى :

أ – العباقرة : Genius وهم ذوو الطاقة العقلية الممتازة ، وذوو القدرة على الإنتاج الابتكاري .

ب – الموهوبون : Talented وهم من يتفوقون في قدرة أو أكثر من القدرات الخاصة مثل الموهبة الموسيقية وغيرها من المواهب الفنية والأكاديمية .

٢ – المتأخرون عقلياً : Mentally Retarded

ويطلق عليهم أيضاً **ضعاف العقول** Mentally Deficient . وهم أفراد يعانون من نقص أو تأخر أو تخلف أو توقف أو عدم اكتمال النمو العقلي المعرفي ، يولدون بها أو تحدث في سن مبكرة نتيجة لعوامل وراثية أو مرضية أو بيئية تؤثر على الجهاز العصبي ، مما يؤدي إلى نقص الذكاء وتتضح ، آثاره في ضعف مستوى السلوك في المجالات التي ترتبط بالنضج والتعلم ، والتوافق النفسي في حدود انحرافين معياريين سالبين (حامد زهران ، ١٩٧٨ م) .

تصنيف المتأخرين عقلياً على أساس الأسباب الآتية :

أ – الضعف العقلي الأولي : ويضم الحالات التي يرجع الضعف العقلي فيها إلى عوامل وراثية مثل أخطاء المورثات والصبغيات (**الكروموزومات**) ، مثل حالات الضعف العقلي العائلي .

ب – الضعف العقلي الثانوي : ويضم الحالات التي يرجع الضعف العقلي فيها إلى عوامل بيئية تصيب الجهاز العصبي مثل **حالات القصاع** (القزامة) .

التصنيف على أساس نسبة الذكاء (التصنيف التربوي) :

أ – المأفون : Moron وتتراوح نسبة ذكائه بين ٥١ – ٧٠ ، وعمره العقلي بين ٧ – ١٠ سنوات ، ويكون قابلاً للتعليم في مدارس خاصة للتربية الفكرية ، ويستطيع أن يحافظ على حياته وأن يكسب رزقه .

ب – الأبله : Imbecile وتتراوح نسبة ذكائه بين ٢٦ – ٥٠ ، وعمره العقلي بين ٣ – ٧ سنوات ، وهو قابل للتدريب ، ويستطيع أن يحافظ على حياته ، لكنه لا يستطيع أن يكسب رزقه ، ويتم رعايتهم في مراكز للتدريب .

ج – **المعتوه** : Idiot وتقل نسبة ذكائه عن ٢٥ ، ولا يزيد عمره العقلي عن ٣ سنوات ، وهو غير قابل للتعليم أو التدريب ، ولا يستطيع أن يحافظ على حياته ، ولا أن يكسب رزقه ، وهؤلاء يوضعون في مؤسسات للرعاية الخاصة .

د – **المعتوه العاقل** : Idiot Savant وهو معتوه تتضح عنده قدرة عقلية ، أو موهبة خارقة في ناحية خاصة ، مثل القدرة الموسيقية أو الرسم ، رغم وجود صفات الضعف العقلي .

هـ – **بطئ التعلم** : Slow Learner وهو الطفل الذي يجد صعوبة في متابعة المناهج المدرسية بسبب قصور بسيط في ذكائه (نسبة الذكاء بين ٧٠ – ٧٥) مما يؤثر على قدرته على التعلم .

التصنيف الكلينيكي : (على أساس وجود خصائص جسمية وتشريحية وفسيولوجية ومرضية مميزة) :

أ ـ **المنغولية** : Mongolism وتسمى أيضاً البله المنغولي ، أو العته المنغولي ، أو مرض داون Down's Disease . وهي حالة ضعف عقلي ولادي ذات خصائص جسمية معينة تشبه الجنس المغولي في الملامح ، وتتراوح بين البله والعته ، ويلاحظ لديهم شذوذ في توزيع الكروموزومات في شكل وجود كروموزوم جنسي زائد من نوع Y نتيجة لاضطراب تكويني في البويضة ، حيث يكون لدى المنغولي ٤٧ كروموزوم مقابل ٤٦ كروموزوم لدى الفرد العادي .

ب ـ **القماءة أو القصاع أو القزامة** : Cretinism وهي حالة ضعف عقلي تتصف بقصر القامة ، ويتراوح مستوى الذكاء بين البله والعته ، وترجع إلى نقص أو انعدام إفراز الثيروكسين من الغدة الدرقية .

جـ ـ **استسقاء الدماغ** : Hydrocephaly وهي حالة ضعف عقلي ترتبط بتضخم الرأس ، وبروز الجبهة ، نتيجة لزيادة السائل المخي الشوكي في الدماغ ، حيث يتلف المخ نتيجة لضغطه للداخل ، وتضخم الجمجمة نتيجة لضغطه للخارج ، ويتراوح مستوى الضعف العقلي في هذه الحالة بين الأفن والعته ، وتضطرب الحواس خاصة السمع والبصر ، وتشاهد **نوبات الصرع** ويضطرب النمو بصفة عامة .

د ـ **صغر الجمجمة** : Microcephaly وهي حالة ضعف عقلي ولادي يلاحظ فيها صغر حجم الجمجمة ، وصغر حجم المخ ، وقلة نموه ، ويتراوح مستوى الضعف العقلي فيها بين العته والبله ، وقد تصاحبها نوبات تشنج وصرع ، وترجع الحالة إلى أسباب تؤدي إلى التحام عظام الجمجمة مبكراً بحيث لا تسمح بنمو المخ نمواً طبيعياً .

هـ ـ **كبر الدماغ** : Macrocephaly وهي حالة ضعف عقلي تتميز بكبر حجم الدماغ وزيادة حجم المخ ، خاصة المادة البيضاء والخلايا الضامة ، ويتراوح مستوى الضعف العقلي في هذه الحالة بين البله والعته ، وترجع إلى نمو شاذ في أنسجة المخ ، وفي الجمجمة لأسباب وراثية .

و ـ **حالات العامل الريزيسي في الدم** : Rh-factor وهي حالة ضعف عقلي تنتج عن اختلاف في دم الأم عن دم الجنين من حيث العامل الريزيسي ، وهو أحد مكونات الدم الذي يوجد عند ٨٥٪ من الناس ، ولا يوجد عند ١٥٪ منهم ، وينتج عن الاختلاف بين الجنين والأم بالنسبة لهذا العامل تكون أجسام مضادة واضطراب توزيع الأكسيجين ، وعدم نضج خلايا الدم ، وتدمير خلايا الدم الحمراء عند الجنين ، وتلف المخ والضعف العقلي .

ز ـ **حالات البول الفينيلكيتوني** : Phenylketonuria وهي حالة ضعف عقلي تنتج عن زيادة الفينيلكيتون في الدم بسبب قصور التمثيل الغذائي ، ونقص الأنزيمات اللازمة لتمثيل الأحماض الأمينية ، مما يؤدي إلى أثر سام متلف للمخ ، ويظهر في البول ، ويتراوح مستوى الذكاء في هذه الحالة بين العته والبله .

ح ـ **العته العائلي المظلم** : Amaurotic Familial Idiocy وهي حالة ضعف عقلي نتيجة مرض في الجهاز العصبي ، وهي حالة وراثية تشاهد في أكثر من فرد في الأسرة الواحدة ، ويصاحبها عادة العمى ، وقد يصاحبها الشلل والتشنج والصرع .



ثانياً : المعوقون جسمياً

ويضمون فئات : المعوقون بصرياً ، والمعوقون سمعياً ، والمقعدون ، والمشوهون ، والمرضى المزمنون .

١ ـ **المعوقون بصرياً** : Visually Handicapped

ويضمون العميان وضعاف البصر . . ويعرف **بالدوين** Baldwin في قاموس الفلسفة وعلم النفس العمى بأنه نقص واضح في القدرة على الاستجابة للمثيرات البصرية . وقد يكون العمى كلياً أو جزئياً ، وقد يكون نتيجة لجروح أو إصابة الجهاز البصري ، أو إصابة في الشبكية وملحقاتها ، أو في العصب البصري ، أو في مراكز الإبصار في المخ ، أو في الوصلات العصبية الخاصة بالإبصار .

أ ـ **العميان** : Blind

ويصنف العميان إلى ما يلي :

(١) **العمى الكلي** : Total Blindness وهو عدم القدرة على إدراك الضوء بما يمنع الفرد من عمل أي شيء يتطلب استخدام البصر . والأعمى كلياً يحتاج إلى تدريب عن طريق الحواس الأخرى .

(٢) **الإبصار الجزئي** : Partial Sight وهو أخف درجات الإصابة ، ويستطيع المبصر جزئياً تحصيل مهارات ، والقيام بأعمال ، مستخدماً بصره بدون استخدام الحواس الأخرى .

(٣) **العمى الجزئي** : Partial Blindness ويتضمن قدرات بصرية طفيفة بينا لا يستطيع الفرد القيام بالمهارات التي يحتاجها مستخدماً بصره ، ويستخدم الحواس الأخرى في تحصيل المهارات .

(٤) **العمى الولادي** : Congenital Blindness وله أصل فيها قبل الولادة ـ في فترة الحمل ـ أو عند الميلاد ، وهو يختلف عن العمى الناتج عن الأمراض أو الحوادث .

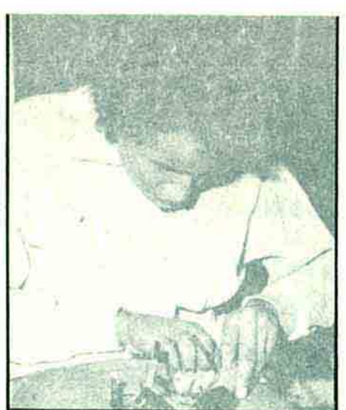
(٥) **العمى الإصابي** : وهو العمى نتيجة الإصابة بعد أن يولد الفرد مبصراً .

وله قسمان فرعيان :

★ **العمى المبكر** : وهو فقد البصر قبل سن السادسة بحيث لا يبقى لدى المصاب صوراً بصرية مفيدة .

★ **العمى المتأخر** : وهو الذي يحدث بعد سن السادسة أو المراهقة ، أو الرشد أو الشيخوخة ، ويستبقي المصاب بعض الصور البصرية ، ويحدث نتيجة للإصابة بالأمراض أو الحوادث .





(٦) **العمى الاقتصادي** : Economic Blindness وهو العمى الذي لا يستطيع المصاب به القيام بأي نوع من أنواع العمل يلزم للقيام به حاسة البصر .

(٧) **العمى المهني** : Vocational Blindness وهو تلف البصر الذي يجعل من المستحيل على الفرد أن يقوم بعمل قام به لكسب عيشه .

(٨) **العمى التربوي** : Educational Blindness وهو العمى الذي لا يتمكن المصاب به من قراءة الكتب الدراسية العادية التي يستعملها المبصرون ، ويحتاج تعلماً خاصاً تستخدم فيه طرقاً لا تتطلب استخدام البصر مثل **طريقة بريل** .

(٩) **العمى الطبي** : Medical Blindness ويقوم على أساس الأسباب الطبية العضوية مثل الأسباب الوراثية أو الولادية أو المكتسبة ، وعلى أساس قياس حدة الإبصار ، ويعتبر الشخص أعمى كلياً إذا كان لا يستطيع أن يرى مطلقاً ولا تزيد حدة إبصاره عن ٢٠ / ٢٠٠ في أقوى العينين بعد استخدام نظارة طبية (**باستخدام مقياس سنلن** Snellen ويعاني من ضيق في مدى الإبصار بما لا يزيد عن ٢٠ درجة .

(١٠) **العمى القانوني** : Legal Blindness من الناحية القانونية ، يعتبر كل من تقل حدة أبصاره عن ٢٠ / ٢٠٠ بعد استخدام نظارة طبية ، أعمى .

(١١) **العمى الهستيري** : Hysterical Blindness وهو ليس عمى حقيقياً ، ولكنه عمى سببه الاضطرابات الانفعالية المزمنة المحولة إلى حاسة الإبصار . ويصيب المرضى ذوي الشخصية الهستيرية ، وغالباً يبدأ فجأة ويصاحبه آلام في العينين ، ويعتقد المريض الهستيري أنه أصبح بالفعل أعمى أو كاد أن يكون كذلك .

ب ـ **ضعاف البصر** :

ضعيف البصر هو الفرد الذي تقع حدة إبصاره بين ٢٠ / ٢٠٠ ، ٢٠ / ٧٠ حسب مقياس سنلن وذلك بالنسبة للعين الأقوى ، وبعد استخدام النظارات الطبية .

وينقسم ضعاف البصر إلى :

(١) **حالات ضعف البصر الثابت** : ومعظمهم من المصابين بقصر النظر .

(٢) **حالات ضعف البصر الطارئ** : وهم الذين يعانون من ضعف مؤقت في إبصارهم نتيجة لأمراض العين المختلفة ، والإصابات التي تصيب العين (مصطفى فهمي ، ١٩٦٥ م) .

٢ ـ المعوقون سمعياً : Auditorily Handicapped

وقد يكون هؤلاء قد ولدوا معوقين ، أو ضعف سمعهم ، أو فقد بعد تعلم اللغة والكلام . وتضم هذه المجموعة فئتين :

أ ـ **الصم** : Deaf : والفرد الأصم هو من لا يستطيع السمع كلياً ، أو يسمع جزئياً إلى حد ضئيل جداً .

وينقسم الصمم إلى :

(١) **الصمم الولادي** : وهو الذي يحدث منذ الولادة .

(٢) **الصمم الإصابي** : وهو الذي يحدث بعد الولادة .

وله شكلان :

★ **الصمم الإصابي المبكر** : الذي يحدث خلال السنوات الخمس الأولى ويعوق تماماً النطق واللغة .

★ **الصمم الإصابي المتأخر** : وهو الذي يحدث بعد سن الخامسة مما يتيح للطفل اكتساب بعض المهارات الكلامية واللغوية .

ب ـ **ضعاف السمع** : Hard of Hearing ويعرفون أيضاً بثقيلي السمع . والفرد ضعيف السمع تكون إعاقته السمعية أقل حدة ويكون الكلام لديه أفضل نسبياً ، ويمكن التعامل معه عن طريق السمع مع استخدام الوسائل السمعية المعينة .

وينقسم ضعاف السمع إلى :

(١) **ضعف السمع الخفيف** : ٢٠ وحدة صوتية أقل من العادي .

(٢) **ضعف السمع المتوسط**: ٤٠ وحدة صوتية أقل من العادي .

(٣) **ضعف السمع الشديد** : ٦٠ وحدة صوتية أقل من العادي (كيرك Kirk ، ١٩٧٠ م) .

٣ ـ المقعدون : Crippled

المقعد هو الشخص الذي **لديه تشوه في العظام والمفاصل والعضلات** يقعده عن الحركة العادية ، كما يحدث في حالة فقد الرجلين في حادث مثلاً ، ويصبح مضطراً لاستخدام كرسي بعجل ، ويصاحب ذلك إعاقة الحركة ، وإعاقة التآزر الحركي ، وتأخر النمو الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية ، وربما بعض المشكلات الانفعالية .

وينقسم المقعدون إلى :

أ ـ **المقعدون ولادياً** : وهم الذين ولدوا مقعدين لأسباب وراثية أو نتيجة لمرض أثناء فترة الحمل .

ب ـ **المقعدون إصابياً** : وهذه حالات ناشئة عن الإصابات والأمراض والجروح المختلفة مثل حالات ضمور العضلات ، ولين العظام .

وتضم فئة المقعدين كذلك :

★ المصابون بشلل الأطفال .

★ المصابون بالشلل المخي (إعاقة عصبية حركية نتيجة لاضطراب وظيفي) .

★ المصابون بالتهاب العظام .

★ المصابون بسل العظام والمفاصل .

★ المصابون بعيوب الهيئة (مثل عيوب القدمين والعيوب الفقارية

والتواء العنق) .

٤ ــ المرضى المزمنون :

وهم المرضى الذين يعانون من أمراض جسمية مزمنة ويحتاجون إلى رعاية صحية خاصة مثل :

أ ــ مرضى السل .

ب ــ مرضى القلب .

جـ ــ مرضى السكر .

د ــ الصرع Epilepsy خاصة حالات **الصرع الأكبر** Grand Mal **وحالات الصرع الجاكسوني** Jacksonian **والصرع النفسحركي** Psychomotor .

هـ ــ مرضى الجذام : وله أنواع ثلاثة :

ــ الجذام العصبي .

ــ الجذام الدرني .

ــ الجذام المختلط . (مختار حمزة ، ١٩٧٥ م) .

٥ ــ المشوهون :

ويقصد بهم مشوهو الوجه بصفة خاصة . وهناك أسس متعددة لتصنيف تشوهات الوجه :

أ ــ تشوهات الأنف .

ب ــ تشوهات الفم .

جـ ــ تشوهات الأذن .

د ــ تشوهات العين .

هـ ــ تشوهات الفك .

و ــ شلل الوجه .

ز ــ جروح الوجه .

التصنيف على أساس درجة التشوه ، ويشمل :

أ ــ التشوه الخفيف : وهو الذي لا يسترعي الانتباه إلا إذا لفت النظر إليه .

ب ــ التشوه المتوسط : وهو الذي يمكن ملاحظته ويثير بعض التعليقات أو الحملقة .

جـ ــ التشوه الملحوظ : وهو الذي يلاحظ بشكل أكيد ويثير العطف أو الفضول أو الاشمئزاز والنفور .

د ــ التشوه الخطير : وهو تشوه يصدم الآخرين ويولد عندهم الشعور بالأسى والاشمئزاز والدهشة .

التصنيف على أساس يسبب التشوه ، ويشمل :

أ ــ **التشوه الخلقي** : وهو الموجود عند الولادة .

ب ــ **التشوه المكتسب** : وهو الذي يحدث بعد الولادة نتيجة للمرض أو الحوادث أو آثار العمليات الجراحية .

٦ ــ المعوقون كلامياً :

وهم المصابون بعيوب كلامية تجعل كلامهم غير عادي أو شاذ أو معوق .

وهناك الكثير من اضطرابات الكلام التي تتراوح بين عدم القدرة الكاملة على الكلام إلى الاضطرابات البسيطة في النطق . وهذه الإعاقة ترتبط أحياناً بحالات أخرى من الإعاقة مثل الصمم والتأخر العقلي .

تصنيف اضطرابات الكلام على أساس مصدر العلة :

أ ــ **اضطرابات الكلام العضوية** : وهي التي يكون سببها الرئيسي جسمياً أو عضوياً في جهاز الكلام أو السمع .

ب ــ **اضطرابات الكلام الوظيفية** : وهي التي يكون سببها نفسياً متصلاً بوظائف الأعضاء .

تصنيف اضطرابات الكلام على أساس نوع الاضطراب :

أ ــ **اضطرابات الكلام العامة** : وتشمل (حامد زهران ، ١٩٧٨) :

ــ الحبسة : وهي احتباس الكلام وتعذره وفقدان قدرة النطق والتعبير . ومن أشكالها الحبسة الحركية أي فقدان التعبير الحركي الكلامي ، والحبسة الحسية ومنها الحبسة السمعية والحبسة البصرية ، والحبسة الكلية أو الشاملة ، وتشمل الناحية الحسية والحركية ، والحبسة النسيانية حيث ينسى الفرد أسماء الأشياء .

ــ تأخر الكلام : حيث يتعذر الكلام وتقل المفردات ، ويكون الكلام في شكل كلمات مفردة أو يصل إلى درجة الصمت أو التوقف .

ــ الكلام التشنجي : حيث يكون الكلام متفجراً .

ــ الكلام الطفلي : ويحوي الكلمات الرئيسية فقط .

ــ اللغة الجديدة : حيث يصك المريض لغة جديدة لا يفهمها إلا هو ــ كما في حالات الذهان .

ب ــ **عيوب طلاقة اللسان** : وتشمل :

ــ اللجلجة أو التهتهة : وهي التردد في الكلام .

ــ العقلة : وهي عقدة اللسان أو اعتقاله وإمساكه بما يعوق تلفظ أو نطق الكلمة إلا بعد جهد .

جـ ــ **اضطراب كم الكلام** : ويشمل :

ــ الثرثرة : وهي كثرة الكلام بدون داع .

ــ قلة الكلام : وهي اقتضاب الكلام .

ــ الخرس أو البكم : وهو انعدام الكلام تماماً .





د ـ **اضطراب سريان الكلام** : ويشمل :
ـ بطء الكلام .
ـ سرعة الكلام .
ـ عرقلة الكلام .

هـ ـ **اضطراب تكرار الكلام** : ويشمل :
ـ النمطية : أي تكرار كلمات وجمل بشكل نمطي .
ـ اجترار الكلام : أي إعادته بدون داع .
ـ المصاداة : أي تكرار الكلام المسموع بطريقة آلية .

و ـ **اضطرابات النطق** : وتشمل :
ـ الإبدال : مثل الثأثأة واللثغة .
ـ التردد : مثل التمتمة والفأفأة .
ـ اللعثمة : أي التردد في النطق .
ـ الترخيم : أي حذف بعض الكلمات لتعذر نطقها .
ـ اللفف : وهو إدخال بعض الكلمات في بعض .

ز ـ **اضطراب الصوت** : ويشمل :
● **الخنف** : حيث يخرج الصوت من الأنف .
● **الغمغمة** : وهي عدم بيان مقاطع الحروف .
● **المقمقة** : وهي التكلم من أقصى الحلق .

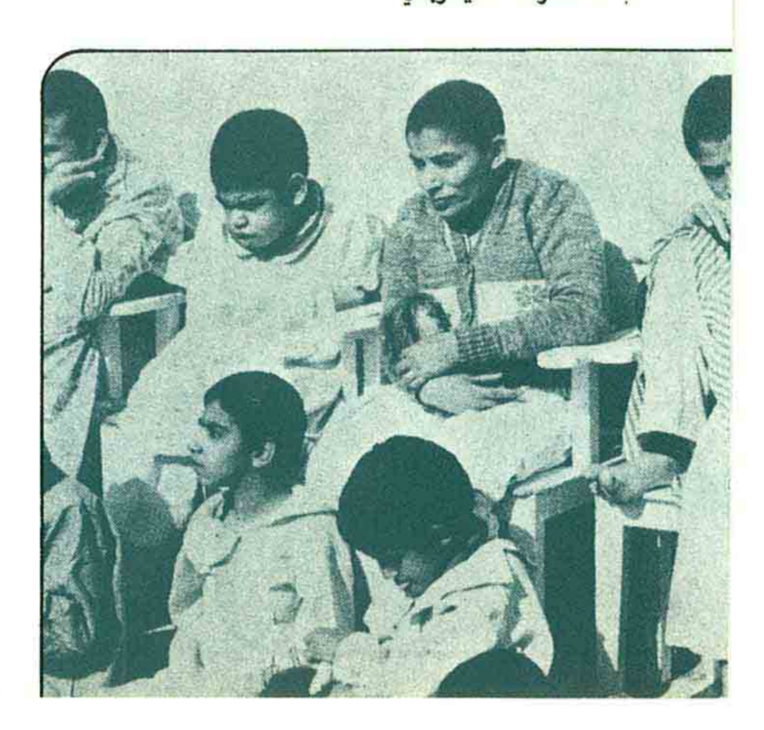
ثالثاً : الشواذ اجتماعياً

الشواذ اجتماعياً هم الذين ينحرفون اجتماعياً عن العاديين من حيث السمات الاجتماعية ، ويواجهون صعوبة في التوافق الشخصي والاجتماعي .

ومن أشكال الانحرافات السلوكية الاجتماعية :

أ ـ **الجناح** : ويشمل الكذب ، السرقة ، والشنشل ، التزييف ، الشغب ، والتخريب ، الخطورة على الأمن ، الهروب ، والتشرد ، البطالة ، التمرد ، الانحرافات الجنسية ، والإدمان .

ب ـ **السلوك السيكوباتي** .



رابعاً : الشواذ انفعالياً

الشواذ انفعالياً هم الذين ينحرفون عن العاديين من حيث السمات الانفعالية ، ويواجهون صعوبة في التوافق الشخصي والانفعالي ، ويتسم سلوكهم بصفة عامة بالحساسية الانفعالية والاندفاعية .

ومن أشكال الانحرافات السلوكية الانفعالية :

★ الحساسية الانفعالية والاستثارية والاندفاعية .
★ الكراهية والعدوان .
★ الغيرة والغضب .
★ العدوان الموجه نحو الذات .
★ مشاعر الذنب الشاذة .

خامساً : حالات الشذوذ المتعدد

بالإضافة إلى فئات الشواذ السابق ذكرها ، نجد في بعض الأحيان حالات من الشذوذ المتعدد ، مثل :

(١) العمى والصمم .
(٢) الصمم والبكم .
(٣) الصمم والبكم والعمى .
(٤) الصمم والبكم والعمى والضعف العقلي .
(٥) التفوق العقلي والجناح .
(٦) الشلل والتأخر العقلي ... إلخ .

المراجع

ـ حامد عبد السلام زهران (١٩٧٨ م) : الصحة النفسية والعلاج النفسي ، القاهرة : عالم الكتب .
ـ ستيرن أديث وكاستنديك ، الزا (ترجمة) فوزية بدران (١٩٦١ م) : الطفل العاجز ، القاهرة : دار الفكر العربي .
ـ عبد السلام عبد الغفار (١٩٧٧ م) : التفوق العقلي والابتكار ، القاهرة : دار النهضة العربية .
ـ عبد المجيد عبد الرحيم ولطفي بركات (١٩٦٦ م) : سيكولوجية الطفل المعوق وتربيته : دراسات نفسية تربوية للأطفال غير العاديين ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
ـ فاروق صادق (١٩٧٤ م) : سيكولوجية التخلف العقلي ، الرياض : مطبوعات جامعة الرياض .
ـ مختار حمزة (١٩٧٥ م) : سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة الخانجي .
ـ مصطفى فهمي (١٩٦٥ م) : مجالات علم النفس ، المجلد الثاني ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين ، القاهرة : مكتبة مصر .
ـ يوسف الشيخ وعبد السلام عبد الغفار (١٩٦٦ م) : سيكولوجية الأطفال غير العاديين والتربية الخاصة ، القاهرة : دار النهضة العربية .
- Hallahan, D. P. and Kauffman, J. M. (1978).
Exceptional Children: Introduction to Special Education.
Englewood Cliffs: Prentice-Hall.
- Kirk, S, (1970).
Educating Exceptional Children.
Calcutta; Oxford & IBH Pub. Co.

صلاح

جهادك للأخلاق رمز مجسّمُ   بآلائه مجد العروبة يعظمُ
تسامى بها «الإنسان» بعد هوانه   وعزّ به تاريخه المتجهمُ
وقابل ما فيه من النبل والندى   ببطش من الإفرنج يجني ويأثمُ
فكان لها العار الذي ليس يُمحى   وكان له الفضل الذي ليس يُهدمُ
جعلت شعار النصر ليناً ورحمة   ولم يك فيه من يلين ويرحمُ
تخوض غمار الحرب ذوداً عن الحمى   ودفعاً لمن يغزو ومن يتهجمُ
وغيرك يصلاها لإرواء ضِغْنه   وأهدافه التدمير والسلب والدمُ
وتحنو على الأسرى وتأسو جراحهم   وتطلقهم إن رُوّعوا أو تألموا
وتعفو عن الأعداء مهما تجبروا   ومهما تمادوا في الفساد وأجرموا
صفات كريم «عبقري» ــ حياته   تشرّف جيلاً بالبطولات يعقمُ
شمائل من نبع الهدى عربية   تزول الثريا وهي للخلد موسمُ

* * *

لحا الله دعوى ملؤها البغض والخنى   يروّجها القصد الحقير المذمّمُ
ترامى عليها كل نذل منافق   له في مجال السوء قسط ومغنمُ
وأمسى لها ما تشتهي من ذخيرة   وأضحى لها الجيش الرهيب العرمرمُ
دخائلهم بالمكر والغش تلتظي   وفي بندهم رسم الصليب منمنمُ
وما همهم عان يناضل متعباً   ولا راعهم لهفان يشقى ومعدمُ
أغاروا على الإسلام أسفل غارة   وشانوا مجاليه وأردوا ودهدموا
ولم يذكروا ما كان منه وبأسه   يسود شؤون الخافقين ويحكمُ
على يده ران السلام على الثرى   ولم يبق فيها من يجور ويظلمُ
يكرم عيسى مؤمناً بكتابه   ويرفض إلا أن تُبجّل مريمُ
يوزع أسباب المساواة في الورى   فلا أصل يستعلي ولا جاه ينهمُ
أبى عُمر أن يستجيب لدعوة   يفسّرها الآتي كما يتوهمُ
فصان بها أقداس لحد منوّر   يزار على مد الدهور ويُلثمُ
ولو شاء حالت بيعة القدس جامعاً   يصلي على الهادي بها ويسلّمُ
وما كان بدعاً لو أراد فللوغى   وللفتح شرع يستبد ويُلزمُ

* * *

وعادوا وما في عودهم غير خاطر   من الثأر تمليه عليهم جهنمُ
يذيعون أن العدل ما يبتغونه   ومنهم محيا العدل بالسخر يُلطمُ
تولوا مقاليد البلاد فلم يعد   سوى الفقر في طول البلاد يخيّمُ
فأنّى رأيت الرشد فهو مصدع   وأنّى شهدت الحب فهو مهشمُ
مهمتهم أن يسرقوا ما يروقهم   وليس لهم دين يرد ويعصمُ
تروج الرشى عبر السعايات بينهم   فتلك وهذي للسيادة سلّمُ
حبال الأذى منصوبة في رحابها   تهدد من يجري ومن يتقدمُ
وجادوا بمعسول الوعود وجيشهم   يكابد أهوال العذاب ويُهزمُ
فسدّدهم من عزمنا كل فيلق   به كل حر في الكريهة ضيغمُ
وتم لهم فوز أثار غرورهم   فعمّت مخازيهم ولم يتكتموا
وخانوا بلاداً من حضارتها استقوا   فحاق بها ليل من اليأس مظلمُ
وجرّوا إلى القدس الحزينة طغمة   بها الإثم يحيا والدعارة تضخمُ
تجدد فيها «خيبر» موبقاتها   فيكره ما أتاها النبيُّ المكرّمُ
وتصلب عهد الله في كل موقف   فيمقت عيسى زورها وهو يألمُ
تدنّس بالتفطيع والفحش طهرها   محللة في ساحها ما يُحرمُ

* * *

عجبت لدنيا تدعي أنها ارتقتْ   وأصبح فيها العدل يقضي ويفحمُ
تشاهد قوماً تستباح ديارهم   وتمنع من ورد الحياة وتحرمُ
وتحتلها من قمة الناس عصبة   تشرّد أهليها وتعدو وتلؤمُ
وتسكت عما نابهم وكأنها   وليس لها عين وليس لها فمُ
ويشغلها عنهم بروز مصارع   تصفق إعجاباً به حين يلكمُ
وأعجب من هذا السكوت تعاون   به فتكات الاعتداء تعمّمُ
تُهال على الأوباش قبل احتياجهم   ملايين في آلافها لا تقوّمُ
فإن طلب الأبرار تأييد سعيهم   فما ثمّ اسماع ولا ثم درهمُ
فأين دعاة السلم ــ والحيف جذوة   بها الحقد يغلي والوغى تتأزمُ؟
وأين قلوب الجازعين لقاتل   يدان على ما قد جناه ويُعدمُ؟
وأين جهود الرافعين على النهى   مبادئ لا تهوى ولا تتثلمُ؟
وكيف يطيق الظلم في الناس شاعر   وما للذي اعتاد الخطابة أبكمُ؟
وهل تستوي للأتقياء مسرة   وفي القدس من غيّ الأراذل مأتمُ؟
إذا أنت لم تنصر بريئاً مجرّحاً   فإنك والجاني بصمتك توأمُ

* * *

خبرتَ صلاح الدين فادح مينهم   وأدركت ما راموه يوم تلملموا
وحذرتهم قبل الصدام منبّهاً   بأن اتباع البطل خسر مسخّمُ
فلم يرجعوا عن غدرهم وافتئاتهم   ولم ينثنوا عما أرادوا وصمّموا
وما كنت تنوي طردهم عن دخيلة   تثور على ما بيتوه وتنقمُ



* * *

الدين

شعر: إلياس قنصل

ولكنَّ أرضاً أنجبتْك تودها ... ورايتها في غاية السلم تَسهمُ
ولكنَّ ديناً بالتسامح طافحاً ... تروم له نصراً من الله يُلهمُ
ولكنَّ قوماً أنت حامي ذمارهم ... يهمك ابعاد الكوارث عنهمُ
وقابلتهم باللطف تطلب ردعهم ... فلم يسمعوا نصحاً ولم يتفهموا
فلم يبق إلا أن تسلَّ مهنداً ... تخاف المنايا وقعه حين يقحمُ

★ ★ ★

ويمرض «ريكاردو» ويعضل داؤه ... ويعيا أطبّاء ويعجز بلسمُ
فتنجده بالثلج وهو دواؤه ... فتهدأ حمَّاه ويخبو التسمّمُ
ولم يك سهلاً لو أحب نواله ... فجيشك عند الطود كالطود يجثمُ

★ ★ ★

وتأمر بالإقلاع عن ضرب فاجر ... تترّس في حصن يكاد يُحطَّمُ
يعاهد حيناً ثم ينقض عهده ... ويشرع في تنفيذه ثم يندمُ
ويفترص الليل البهيم لغزوه ... ويقطع درب الأبرياء ويغشمُ
ويسألك الأصحاب عن سر هدنة ... تناسب ما شاء الدنيء وتدعمُ
فتخبرهم أن ابنه حان عرسه ... وأن احتفالا بالزفاف يُنظمُ
ولا تبتغي تعكير ما في اجتماعهم ... وإن بالغوا في هزلهم وتهكموا

★ ★ ★

وهذا أسير منزو عن رفاقه ... يمدّ يديه للسما ويتمتمُ
ويعجبك الإيمان يلبث نيِّراً ... ووجه الرزايا حوله متجهمُ



فتدخله من باحة الجيش خيمة ... يتابع فيها حمده ويتممُ
وتصدر حكماً بالوقار مفخماً ... يزيّنه الصدق الذي هو أفخمُ
وتأتيك أمُّ طفلها كان ضائعاً ... ووالده في قيده يتبرمُ
يوالي سباب المسلمين بغلظة ... ويدعو لهم بالانكسار ويشتمُ
فتطلقه كرمى لدمعة زوجه ... وتسمح عنه وهو ما زال يرجمُ
وترجع أمُّ الطفل وهو محمَّل ... هدايا بها يكسى زماناً ويُطعمُ

★ ★ ★

وكم لك من نعمى أضاع بيانها ... أخو غرض في نفسه الحقد يعرمُ
ولم يعرف الايثار مثلك سيداً ... ولم يفِ بعضاً من صفاتك مرقمُ

★ ★ ★

وحطّين؟ ما حطين غير شهادة ... بها دورة من مطمع الغرب تُختمُ
تساقط فيها ما بنتْه قرائح ... مباذلها في أمرها تتحكمُ
وسارت جيوش الحق يجبه حزمُها ... جماحَ بغاة إفكهم ليس يلجمُ
فإما جلاء ينتفي الجور بعده ... وتبلى الدنايا والمظالم تُحسَمُ
وإمّا جهاد يحمل الشعب عبأه ... مواقعه الغراء لا تتصرمُ
وقلت لهم والكبرياء تهزهم ... وأغنى صليل السيف عمّن يترجمُ
هنا الحد بين الخسف يخضع للونى ... وبين العلى فيها الفلاح المحتّمُ
هنا ينتهي عصر من الظلم أسود ... ويبدأ عصر بالسيادة مفعمُ

★ ★ ★

وكيف يصد العربَ جيش مروّع ... يُحثُّ على خوض الوغى وهو مرغمُ؟
وكيف ينال النصرَ في الحرب قادة ... بوادرهم عن لؤمهم تتكلمُ؟
وسوّرتهم بالنار من جنباتهم ... فأرهقهم غلّ من الغل مُحكمُ
وشاء حنان الله أن يسعف التقى ... ويفند بالبرهان ما الكفر يزعمُ
فصبَّ عليهم شمسه وهي نعمة ... فكانت جحيماً نارها تتضرمُ
وولّى الطغاة الشامخات أنوفهم ... وسيماؤهم بالخوف تندى وتقتمُ
وأجراهم في غمرة الحرب أرنب ... وأطهرهم في حلبة الدسّ أرقمُ
وقيد الملوك الطامعون بدولة ... دساكرها تلقى العناء لينعموا
وقابلتهم بالرحْب رغم اندحارهم ... وقلبك غفّار ووجهك يبسمُ
وحاسنتهم حتى اطمأنوا وأمّنوا ... وما قدروا ما شاهدوا فتلعثموا
وحلّوا ضيوفاً لا أسارى وعوملوا ... بلطف تناسى غابر الحقد منهمُ

★ ★ ★

وكيف تلاقي اليوم أمة يعرب ... وفي كأسها من مورد الحيف علقمُ
يحاصرها الأعداء من كل مطرح ... ويجنون من خيراتها ما تُقدمُ
تجرّب فيها النائبات سهامها ... فتضنى بأعراض الكلال وتسقمُ
وتعرض عن دفع الأذاة تهاوناً ... وتركض حيناً ثم تحبو وتحجمُ
وأصعب من تلك الكوارث أنها ... على بعضها من ذاتها تتقسمُ

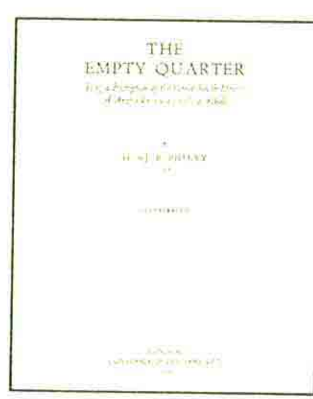
★ ★ ★

ولكنَّ في آمالنا ما نجلّه: ... شباب له يعنو القضا حين يعزمُ
لنا الأمس وهو الهدي والنبل والندى ... وكل صنيع بالشهامة يوسمُ
سنبني على أساس ميراثه غداً ... بروعته الأجيال هيهات نحلمُ

★ ★ ★

نناديك يا حطين عودي فإننا ... نعاني من الأحداث ما الله يعلمُ









تأليف :
عبد الله فيلبي

عرض و تقديم :
جمال سليم

يعتبر كتاب الربع الخالي الصادر في لندن سنة ١٩٣٣م ، للسير هنري جون فيلبي ، هو أول كتاب رحالة أوروبي عن الربع الخالي ، وهو جزء من الصحراء العربية الشاسعة الذي يقع ضمن حدود وجنوب المملكة العربية السعودية ، ويشترك بحدوده مع حدود كل من دولة الإمارات العربية المتحدة وعمان واليمن وحضرموت .

ولم يحظ هذا الكتاب ـ رغم أهميته ـ بالاهتمام الجدير به من حيث الاكتشافات الجغرافية التي حققها وإن كانت ضئيلة .. ولا من حيث الناحية الأسطورية التي تعرض لها .

الربع .. جغرافيا

والربع الخالي تسمية تطلق على المنطقة الرملية الواسعة التي تمتد **جنوب المملكة العربية السعودية** من المرتفعات الغربية القديمة في الغرب حتى مرتفعات **عمان شرقاً** ، ومن هضبة **نجد في الشمال** ، إلى مرتفعات **حضرموت** في الجنوب ، **والاسم القديم لهذا الخضم الرملي هو رملة «يبرين»** ، وعلى هذا أطلق عليه **واحة يبرين** التي تقع على أطرافه الشمالية .

يذكر **ياقوت الحموي** في معجم البلدان : «يبرين رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة» .

ويمتد الربع الخالي من **خط الطول ٤٥** درجة **شرقاً إلى خط الطول ٥٦** درجة **شرقاً** ، أي ٧٥٠ ميلاً ، ويمتد من **خط العرض ١٦** درجة إلى ٢٣ درجة **شمالاً** ، ويبلغ عرضه في أقصى اتساع له ٤٠٠ ميل ، **وتبلغ مساحته ٢٥٠ ألف ميل مربع** ، وبذلك يصبح أكبر بحر رملي في العالم كله .

أما الكثبان الرملية التي تغطي هذه المساحة الواسعة فبعضها كثيف ثابت أي غير متحرك وبعضها متحرك ، والكثبان الرملية تأخذ أشكالا عدة بعضها على شكل حدوة الفرس وبعضها قبابي الشكل .. وهناك أيضاً الكثبان الرملية الطولية التي يطلق عليها اسم (**العروق**) مثل عروق الشيبة والنعاميات وغيرها من العروق ، والكثبان الرملية أكثر ارتفاعاً في الغرب منها في الشرق ، وفي الجنوب منها في الشمال . **يبلغ ارتفاع الكثبان الرملية في الغرب ١٥٠٠ قدم ، وفي الشرق ٥٠٠ قدم ، وفي الشمال ١١٠٠ قدم ، وفي الجنوب الغربي ٢٠٠٠ قدم .**

والربع الخالي يمثل حوضاً جدرانه مرتفعات عمان في الشرق ، ومرتفعات السراة في الغرب ، ومرتفعات حضرموت في الجنوب . هذه الجدران الثلاثة حددت أبعاد وشكل الربع الخالي كما حددت نشاط الرياح لأسباب ما تحمله من الرمال .

ويمتد الخليج العربي إلى شمال شرقي الربع الخالي لهذا كانت الرياح الشمالية والشمالية الشرقية التي تهب على شرقي الربع الخالي غير محملة بالرمال ، كما أن الرياح الشرقية تحمل الرمال من شرقي الربع الخالي إلى غربيه لهذا كانت كثافة الرمال في غربيه ، كما أن الرياح الشمالية الغربية التي تحمل الرمال تعمل على حركة الكثبان إلى الجنوب لهذا كانت كثافة الرمال في الشمال أقل منها في الجنوب .

وأول أوروبي زار (واحة يبرين) على الطرف الشمالي الأقصى من الربع الخالي هو [illegible] سنة ١٩٢٢م .

وأول من عبر الصحراء الجنوبية من الجنوب إلى الشمال هو برترام توماس سنة ١٩٣١م .

وقد تم اكتشاف المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية بالطرق القديمة قبل ظهور السيارات والطائرات .. أما الآن فإن جميع المنطقة الجنوبية مألوفة لدى موظفي **شركة أرامكو** من السعوديين والأجانب ولدى فرق مكافحة الجراد .

المؤلف

مؤلف الكتاب ــ أو ما يمكن أن يسمى تقرير عن الرحلة إلى الربع الخالي ــ هو **سان جون فيلبي ، مستشرق بريطاني** من مواليد ١٨٨٥م ، خريج **جامعة كمبردج** ، وقد اوفدته بريطانيا سنة

١٩١٧م ، إلى الشرق الأوسط ليكون حلقة اتصال بينها وبين أمير الكويت ، وقد قضى ٤٥ عاماً متنقلاً بين دول العالم العربي ، **وأسلم وسمى نفسه « عبد الله فيلبي »** . . وكان يعرف في السعودية باسم **الحاج عبد الله فيلبي** .

في ١٧ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٥م ، أصدر **الديوان الملكي السعودي** بياناً بطرده من البلاد ، ومنحه الأملاك التي كانت له ، وكان يعمل في الرياض كمستشار للملك عبد العزيز آل سعود ، إلا أنه أصبح من كبار رجال الأعمال . . وقد كان سبب ابعاده عن البلاد هو « التدخل في الشؤون الداخلية » . . فذهب إلى **لبنان** ، وتوفي في أول أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٠م ، **ببيروت** ، ودفن بمقابر المسلمين بها .

وللحاج عبد الله فيلبي ١٥ كتاباً ، ألف أكثرها في السعودية التي قضى فيها ٤٠ عاماً والبلاد العربية الأخرى .

وقد عاش فيلبي حياته يجتاز الصحارى ويعيش في الأكواخ ، لكنه كان ينقب ويكتشف ويتكلم العربية بطلاقة وبلهجة أهل نجد . وخلال حياته في البلاد العربية لعب أخطر الأدوار لخدمة السياسة البريطانية .

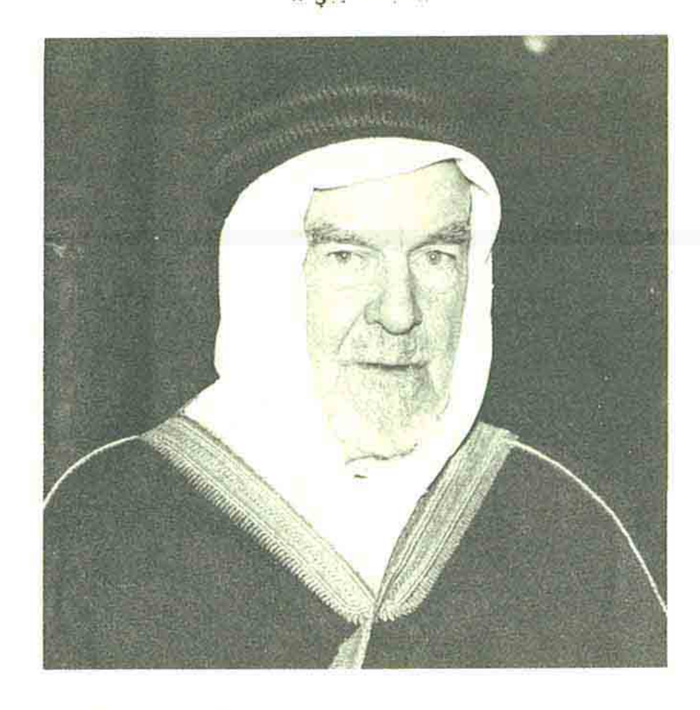
وقد بدأ نشاطه في المنطقة العربية حينما تعرف على الملك عبد العزيز آل سعود في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٧م ، وكان قد عرفه بصفته موظفاً في الحكومة البريطانية ، ثم نقل إلى **العراق** كمستشار لوزير الداخلية ، **وكان أول إنسان يقابل فيصل الأول على أرض العراق الذي تولى الملك سنة ١٩٢٠م .**

اختلف مع السياسة البريطانية في العراق واستقال وعاد إلى لندن . . وهناك تقابل مع **تشرشل** ، فعرض عليه العمل كمستشار **للأمير عبد الله ملك الأردن** ، فقبل وكان هو بذلك المستشار الإنجليزي الثاني بعد **لورنس** ، ثم استقال من الأردن ، وعمل بعد ذلك في السعودية كمستشار غير رسمي للملك عبد العزيز .

اشترك فيلبي في ١٠٠ مؤتمر ولجنة ومعاهدة ، وتعرض للموت أكثر من مرة .



★ عبد الله فيلبي ★



حين مات في بيروت عن ٧٣ عاماً ، لم يشترك في تشييع جنازته غير ١٢ شخصاً .

كانت نظرته صائبة في مطالبة بريطانيا بالرهان على الجواد الذي رشحه لحكم الجزيرة العربية . . وهو الملك عبد العزيز آل سعود . . بينما رشح لورنس الشريف حسين . . فخسر الرهان وخرج من الميدان ، وفاز الملك عبد العزيز آل سعود .

فيلبي والربع الخالي

كان اجتياز الربع الخالي الأمل العذب الذي يدغدغ خيال فيلبي وأحلامه منذ وطئت قدماه أرض الجزيرة العربية . فهو يريد أن يستكشف هذه الصحراء البكر الشاسعة الفسيحة التي لم تطأها قدم أوروبي أجنبي من قبل ، وهو يريد أن يصل إلى تلك **البلدة الأسطورية المسماة (الوبر) التي ورد ذكرها في تاريخ السبأيين والحميريين ،**

والتي لم يبق من آثارها إلا بقايا تدل على أن الإنسان كان يعيش يوماً في قلب هذه الصحراء ، وكان يقيم فيها حضارة ومدنية ، لكن القدر لم يشأ أن يكون فيلبي هو أول من يجتاز هذا الربع من الأوروبيين ، فقد سبقه إنجليزي آخر هو (**برترام توماس**) وإن كانت المساحات التي قطعها هذا من تلك الصحراء ليست بالشاسعة أو الفسيحة بالنسبة لما قطعه فيلبي بعد سنين .

كانت السفرة الأولى التي قام بها فيلبي إلى **الرياض** إبان **الحرب العالمية الأولى** ، رحلة استكشافية في حد ذاتها على الرغم من طابعها الرسمي ، فقد وصل براً إلى **العجير** في ساحل الأحساء ، لينتقل منها براً إلى **الهفوف** في طريقه إلى **الرياض** ، ومنذ ذلك التاريخ ، أي منذ عام ١٩١٧ م ، بدأ اهتمام فيلبي بالرحلات الاستكشافية في الجزيرة العربية التي ضمن دراساته عنها عدداً من الكتب القيّمة التي أصدرها ، وفي مقدمتها «**قلب الجزيرة العربية**» الذي صدر سنة ١٩٢٢ م ، و (**الربع الخالي**) سنة ١٩٣٣ م ، و (**فتيات سبأ**) سنة ١٩٣٩ م ، و و (**النجود**) سنة ١٩٥١ م .

وعلى الرغم من أن فيلبي كان ثاني أوروبي يجتاز الجزيرة العربية من البحر إلى البحر ، أي من الخليج إلى البحر الأحمر ، وثاني أوروبي يجتاز الربع الخالي ، إلا أنه كان أول من رسم خريطة هذا الربع ، ووصل إلى **مدينة الخرافية الوبر** ، وأول من اكتشف النجود العربية الواقعة في الجنوب من الحجاز ممتدة من البحر إلى قلب الصحراء .

كتب فيلبي في كتابه النجود العربية :

« إن هدفي من هذا الكتاب كما كان من كتب الرحلات التي سبقته ، أن أسرد الأشياء التي أعرفها ، معرفة صحيحة بحكم رؤيتي لها واختباري ، وقد حاولت في جولاتي الاستكشافية وفي الملاحظات التي أدونها عليها أن أترك ثغرات هنا وهناك لينفذ منها من يخلفني في هذا الواجب العظيم ، ولا أستطيع حتماً أن أنزه نفسي تماماً عن الخطأ ، رغم ما تحريته من الدقة ، فكلنا من البشر وكلنا معرضون للخطأ .

« وقد حاولت أن أضع في هذا الكتاب الذي وصفته للخاصة من رجال العلم والثقافة وصفاً صادقاً لمنطقة كانت مجهولة تماماً بالنسبة إليهم ، تبلغ مساحتها ١٥٠ ألف ميل مربع ، وتمتد على جبهة عرضها ٣٠٠ ميل على الأقل بادئة من الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، عبر سهل تهامة الكبير ، إلى منطقة الجبال السامقة ، التي ترتفع قممها نحو من ٨ آلاف قدم فوق سطح البحر ، لتعود فتهبط إلى المنطقة الرملية الصحراوية التي تقع في الجنوب ، وتضم هذه المنطقة الحدود الدولية القائمة بين مملكتي اليمن والسعودية ، ويتقلب الطقس فيها من المناخ شبه الاستوائي إلى المعتدل ، كما تغزر المياه في ناحية من الجبال لتكون شحيحة في الناحية الأخرى ، وعلى كل حال فإن المياه التي تسقط على الجبال تسيل في وديان تتجه شرقاً أو غرباً ، لتضيع في سهول تهامة أو بطاح الصحراء » .

كانت الرحلة الأولى التي قام بها فيلبي بقصد الاستكشاف عام ١٩١٧ م ، أثناء إقامته في الرياض ، وقد تمكن في هذه الرحلة من التجول في جميع المناطق الواقعة إلى الجنوب من الرياض باتجاه **وادي الدواسر** وحدود الربع الخالي وهضبة الطويق حتى حدود الأحساء وهي المنطقة المسماة بإمارتي الخرج وعفلج .

وتلت ذلك رحلات كثيرة ، في مختلف أنحاء الجزيرة ، قطع بها البلاد من شرقها إلى غربها ، ومن شمالها إلى جنوبها .

كانت رحلة الربع الخالي . وكاد يعجز عن القيام بهذه الرحلة دون مساعدة الملك عبد العزيز ، ودون الحصول على أذنه ، وكان الملك قد وعده بتهيئة جميع السبل لمساعدته في مشروعه فتحتم عليه أن ينتظر تحقيق الوعد .

قال فيلبي :

« قضيت عام ١٩٣١ م ، أطوف بالأماكن القريبة من **مكة المكرمة** وأزور أماكنها التاريخية والوديان المحيطة بها ، وقد بلغتني أنباء بأن ثمة كثيرين يفكرون تفكيراً جدياً في إعداد رحلات لاجتياز الربع الخالي بعد

نجاح **برترام توماس** في عبوره في السنة السالفة ، فقد سمعت أن **العالم الألماني كارل راتجيينز** الذي زار **جدة** قبل بضعة أشهر مع شخص نمسوي هو **هيرمان فون ويسمان** قد مضى إلى **اليمن** ، وأنه يعد هناك لاجتياز الربع الخالي بادئاً من الأراضي اليمنية ، وسمعت أن **القصاص الفرنسي المشهور جوزيف كيسيل** ، الذي زار جدة قبل أشهر ومضى عنها إلى **الحبشة واليمن** ، يفكر في نفس الاتجاه ولم أكن قد نسيت أن برترام ما زال في **مسقط** ، وأنه قد يكرر المحاولة الأولى ويكتشف في المرة الثانية ما فاته اكتشافه في رحلته السابقة .

« وأثير الموضوع في جلسة خاصة من جلسات الملك ، وأعرب **عبد الله السليمان وزير المالية** عن رأيه بوجوب اكتشاف المنطقة بسرعة ، بقصد الحيلولة دون ادعاء أية دولة أجنبية حقوق السيادة على الربع ، بحكم اجتيازه وعبوره .

« وعلّق الملك عبد العزيز على ضوء هذه المعلومات على أحاديث الرحلات الفردية التي يقوم بها الرحالون ، فقال إن موقف الإمام من البعثات الرسمية لا يبعث الأمل في نفوس من يتوقون القيام برحلات استكشافية فردية ، ولكنه إدراكاً منه لرغبتي العارمة في أن تتاح لي الفرصة ، لاكتشاف الربع الخالي ، ومع ذلك فقد تحتم عليَّ أن أنتظر بضعة أشهر قبل أن أقوم برحلتي هذه التي تلتها رحلات (**ويلفريد تيسيغر**) والجيولوجيين الأمريكان ، الذين توغلوا في الربع بحثاً عن الزيت وبذلك خضعت الصحراء البكر وكشفت عن أسرارها ومفاتنها أمام فضول الإنسان » .

ولكن حلم فيلبي تحقق أخيراً ، فقد تمت الإعدادات للبدء في الرحلة العظيمة ، وانتقل في شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٣٠ م ، إلى **الهفوف** التي تقرر أن تكون نقطة البداية ، حيث كان **الأمير عبد الله بن جلوي** يحشد له الرجال ، الذين سيرافقونه في هذه الرحلة والإبل التي سيستخدمونها .

الرحلة

كانت الأمنية التي ينشدها فيلبي من وراء عبوره صحراء الربع الخالي هي العثور على **كنوز مدينة الوبر التاريخية** . . وهناك خلط واضح أو غموض شائع حول هذه المدينة فكثيراً ما يقال عن الوبر إنها مدينة أهل **عاد وثمود** . . وإنها كانت مركزاً لقبيلة (**أميم**) وهي من قبائل العرب البائدة ، ويقال إن أبناءها يرجعون إلى **لوذ بن نوح** ومنهم (**وبار بن أميم**) وإليه تنسب المدينة ، أما موطنهم فقد عينه البعض برمل (**عالج**) بين **اليمامة والشحر** وقد انهارت عليهم الرمال وأهلكتهم ، وقد ورد ذكر قرى لبني وبار روت الكتب العربية **قصصاً** كثيرة عنها ، ووصفتها بكثرة زروعها ومراعيها ومياهها ، وقد أيد السياح ذلك ، إذ أثبتوا وجود آثار عمران قديمة في هذه المنطقة ــ وهي بالطبع ليست في الربع الخالي ــ **وهناك عدة مواضع في الصحراء يطلق عليها السكان العرب اسم (وبار) قالوا إنها وبار ، المدينة المفقودة المنكوبة** .

ولكن يبدو أن (وبار) هي نفسها مدينة عاد وثمود ، فقبيلة عاد من القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب ورد ذكرها في **القرآن الكريم** ، يقول الرواة وأهل الأخبار إنها ضمن قبائل الطبقة الأولى ، وهي أقدم الطبقات بحسب تقسيم الإخباريين لقدم القبائل العربية وقد سميت **بالعرب البائدة** ، ويكاد يتفق المؤرخون على أن هذه الطبقة تشتمل على أقدم القبائل العربية وهي : **عاد ، والعمالقة ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجرهم ، وحضرموت** ومن ينتمي إليهم وترجع إلى **أبناء سام** .

ويرد مع قوم عاد ذكر نبي منهم هو (**هود**) الذي ورد ذكره في عدة سور من **القرآن الكريم** ، وقد ظهر لينذر قومه ويردعهم عن تماديهم في عبادة الأوثان من دون الله ، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء إلى أن أرسل الله عليهم الريح العقيم ، سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فأهلكهم وأبادهم ، وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الأولى ، وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن وقيل هم ثمود ، ويرجح أن مساكن عاد كانت تقع في **أرض الأحقاف** في شمال حضرموت ، وفي شمالها في الربع الخالي وفي شرقها عمان .

ويقول أهل حضرموت إن (هوداً) سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات ودفن في شرقي بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة (تريم) قرب وادي برهوت ــ وهي إحدى المناطق التي وصل إليها فيلبي ــ ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له **قبر هود** ، يزار حتى الآن ، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة ، وقد ورد اسم عاد في جغرافية بطليموس باسم Gadita .

ويذكر عدد من المؤرخين الإسلاميين أن مساكن عاد في أرض الأحقاف ، وهي تقع شمال حضرموت ، وفي شمالها الربع الخالي ، وفي شرقها عمان ، كما سبق القول ، « وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ، ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار ، وأبان عن مدينة عظيمة مطمورة تحت كثبان الرمال . . » .

فالحضارة الشائعة في هذه المنطقة هي حضارة عاد وثمود

أو حضارة الوبر .. أو حضارة قبيلة أميم .. وهذا ما كان يبحث عنه فيلبي .. ولعل هذا هو السبب الحقيقي لقيامه برحلته .

فالرحلة لم تكن بهدف كشف المزيد من أسرار الربع الخالي ، إنما كانت بهدف العثور على هذه المدينة المنكوبة التي أبت إلا عبادة الأوثان ، فسخر الله عليهم الريح العقيم حتى أهلكهم .

وقد بدأت الرحلة في السابع من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣٢ م ، من الهفوف وصحبه عدد كبير من المرافقين زوده بهم الأمير ابن جلوي بناء على أمر من الملك عبد العزيز آل سعود ، وكانوا ينتمون إلى عدد من القبائل التي تعيش في هذه المنطقة وبعضهم يعمل فيها .. فمثلاً تولى قيادة رجال البعثة **زايد منخاز من قبيلة بني عمر** المقيمة في سوباي ، **وعلي بن صالح من قبيلة مورا** ،وتولى رئاسة المرشدين « الأدلاء » ثم ثلاثة من **قبيلة عجمان** .. وعدد من الرجال يتراوح بين ١٥ و٢٠ رجلاً لا ينتمون إلى قبائل محددة .. بالإضافة إلى ٣٢ ناقة و ٣ إناث من الماشية طلب اللبن .. كانت قيمة هذه الحيوانات تقدر بنحو ٥٠٠ دولار – على نحو ما يذكر فيلبي في كتابه – وكانت البعثة تحمل طعاماً وشراباً يكفي لمدة ثلاثة أشهر .. وهي كافية للوصول إلى المناطق المتحضرة على حافة الصحراء .

يذكر فيلبي قائلاً :

« بدأنا الرحلة في الساعة الواحدة والنصف صباحاً من هذا اليوم ،أي ٧ يناير (كانون الثاني) ، ووصلنا إلى منطقة مغطاة بحشائش الشيهان التي يحضرونها ويستخرجون منها بعد ذلك سائلاً يستخدم في تنظيف الملابس .. وكذلك وجدنا نوعاً آخر من النبات يسمى **هارم** Harm ، وهو كثير العصارة ، منه أيضاً سائل ذو نوعية رديئة يتسبب في حرق الملابس إذا وقع عليها .. في وسط هذه المنطقة المتموجة وصلنا ثم توقفنا عند **قصر داهيوايبان** Qasr Dhuwaiban .. يبدو أنه كان مشغولا ببعض الأشخاص في وقت ما في الزمن البعيد .. هذا القصر عبارة عن بناء يشبه الحصن المهجور . وكان يوجد في شماله شجر كثير ذو أغصان كثيفة ، رأينا القصر وقد تحطم تماماً وبدا لنا أنه مكون من حصن ذو طبقتين مساحته حوالي ٤٠ متراً مربعاً ، وبالجانب الشرقي فناء مفتوح مساحته حوالي ٢٥ متراً مربعاً ، أما ملحقاته الأخرى فتقع تقريباً بين الشرق والغرب .

« وقد عثرنا بين الحطام على شظايا من أنواع **الفخار وأساور من الزجاج** التي وجدنا مثلها تماماً فيما بعد في **جابرن** Jabrin ، ولكن ما أثار انتباهي هو عثوري على شرائح وشظايا من الحفريات وبعض الصخور الهشة التي استخدمها عمال البناء في إقامة الحصن وتعزيز ما شيدوه بالطين . وعلى قدر معرفتي فإن مثل هذه الصخور لم يعثر على مثلها في منطقة **الحسا** Hasa ويبدو أن المواد التي استعملت في البناء جاءت من منحدر صخري على طول الشاطئ ثم استقرت في هذه المنطقة .

« وقد عثر على نفس هذه المواد في **سالوا** Salwa ولم يعثر على مثلها في **جابرن** Jabrin ، ويبدو أنها ترجع إلى **عصر موسيني** Miocene ، أي العصر الثلثي الأوسط .

« وقد وجد داخل القصر آثار لغزو قبائل (**جراماذيان** Garmathian) ، في القرن العاشر بعد الميلاد .. وقريباً من هذا المكان وجدنا آثار تدل على وجود ذئاب .. وبوم .. وضباع .

« بعد ذلك دخلنا قناة عريضة اسمها **سابكها** Sabkha ، وهي عبارة عن شريط طين مشرّب بالملح .. ويبلغ طوله ٥٠٠ ياردة ويفصل سهل **ميتايوي** Mutaiwi عن الرمال المتموجة الناعمة ، ويقال إن رأس هذه القناة الملحية توجد عند **ينابيع خيوايرا** Khuwaira حيث تجري هناك وتتجه شمالا نحو مجرى منعطف بجوار **جيشا** Jisha **وتراف** Taraf في المنطقة الشرقية الواقعة في واحات **الحسا** Hasa الكبيرة . وعندما مررت على هذه الأماكن إلى ومن **أوجير** Uqair وجدت بحيرة كبيرة تقع في جنوب الطريق .

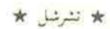
« كانت هذه الأماكن معروفة (لزايد) .. وقد لاحظت أنه اتجه ناحية ينابيع **ميتايوي** Mutawi فعبرت له عن رغبتي في رؤيتها ولكنه غيّر رأيه ، لأنه وجد أنه من الضروري أن نعثر على مكان مناسب لننصب الخيام .. فوجدت أنه لا بد وأن أعترض على اتخاذه أي قرار دون أن يتشاور معي بشأنه . ولكنه أعرب عن عدم ادراكه لرغبتي في الذهاب إلى الينابيع .

« استقر بنا المقام عند **ميتايوي** Mutaiwi التي كان بها حفرتين صغيرتين مليئتين بالمياه .. وينبوعين . وكانت **خيوايرا** Khuwaira تبعد عن هذا المكان بحوالي نصف ساعة ركوباً .. وكان بها أيضاً ينبوعين .

« أحضرنا من الينابيع كمية من المياه .. وكانت دافئة إذا ما قورنت ببرودة الجو . ثم توضأنا وصلينا .

« بعد ذلك مررنا على الواحات ومنها إلى منخفض التلال الرملية .. وابتعدنا ما يقرب من ميل عن تلال (ممم) الصخور . وقد لاحظت أحجاماً كبيرة من الحصى الأسود .. منتشرة في هذه المنطقة ، كما كان







★ عبد الله السليمان ★

يوجد بعض الشجيرات التي تسمى **هارم** Harm ، وحوالي الساعة الرابعة والنصف مساءً دخلنا بلدة مليئة بتلال من الرمال ، وقد قال لي (زايد) إنها تسمى **حمارير آل زيوير** Hamarir Al Thuwair ، ثم استقر بنا المقام عند بقعة بها تلال رملية تسمى **آل ميترب** Al Mutrib ، ووجدنا أنها مكان مناسب لننصب بها الخيام ، كان الجو قارساً جداً ، فجلسنا وأشعلنا النار واحتسينا الشاي » .

وتمر الأيام . . وفيلبي مع بعثته في الصحراء إلى أن يصل إلى أن يفاجأ بصيحة من أحد المرشدين واسمه (علي) . .

يقول له علي . . انظر .

ويقول فيلبي : « ونظرت على خريطتي منذ ١٤ سنة طبقاً لما ذكره لي (جابر) .

« ولقد سميت منطقة (جاتورا) خطأ وأعطيت اسم (وابر) وذلك على أساس معلومات قليلة بالنسبة لمنطقة أخرى على البعد من الجنوب الغربي . ومع هذا فقد ربطت نفسي بالاسم الأخير وبالمنطقة التي أشار إليها جابر على أساس أنها منطقة خرائب وكتلة من الحديد ، وأنه من المؤكد أنه من النادر أن تحصل على معلومات مضبوطة من مرشد عربي بالنسبة لأي مسافة ثم وصفها .

« ولمدة نصف ساعة سرنا على الرمال وكان احساسنا بالضيق يتزايد لأن الرياح بدأت تدور حولنا مرة أخرى قادمة من الجنوب ، ولقد صاح « علي » فجأة . . انظر ، ونظرت . . كانت هذه النظرة أول لمحة من (وابر) . . خط رفيع منخفض من الحطام فوق موجة من الرمال الصفراء . توقفت لكي أصور هذا المنظر الرائع الذي لا ينسى . . المنظر غير الملهم . . الذي اختفى مرة أخرى بينما كنا نسير في منحدر . . وخلال خمس دقائق كنا قد نزلنا إلى منحدر مشابه على حافة الخرائب التي كانت ترقد مختفية خلف منخفض متموج من الرمال . تركت زملائي لكي أعد الطعام . . وأحضره من الخيمة ليكون جاهزاً عند الغروب وفي طريقي إلى الخيمة سرت ناحية الحافة لألقي نظرة على هذا المنظر قبل حلول الظلام . وكنا قد قررنا أن نهب أنفسنا خلال الأربعة أيام القادمة لفحص هذه البقايا الخربة .

« وصلت إلى القمة وفي تلك اللحظة فهمت جيداً منطقة (وابر) . نظرت إلى أسفل ليس على بقايا مدينة قديمة ولكن إلى فم بركان . . ذلك البركان الذي كانت فوهته تمتلئ إلى النصف بالرمال ، أما جانبه الآخر فقد كان محاطاً بمخلفات المعادن التي قذف بها من أعماق الأرض . على أي حال كان هذا هو الانطباع الذي أضاء في عقلي في تلك اللحظة ، ولم أعرف ما إذا كان يجب أن أضحك أو أبكي ولكنني كنت مفتوناً بهذا المنظر الذي غطى أحلامي لسنوات .

« إذن فهذه هي (وابر) ! بركان في الصحراء ! وعليه بنيت قصة مدينة خربتها السماء بسبب الخطايا التي ارتكبها ملكها . . الذي لم يستجب لتحذيرات (النبي هود) . والواقع أن الفرد نادراً ما كان يتصور حلاً أكثر إثارة بالنسبة لهذه « الرمال العظيمة » ، وكثير من زملائي كانوا قد وصلوا إلى حيث كنت من أجل البحث عن كنز . وبينما كنت أنزل ناحية فوهة البركان الأول أقبلوا يجرون نحوي وهم يحملون أعمدة صدئة من الحديد وقطع أخرى سوداء لامعة ، وقد اعتبروا هذه القطعة الأخيرة واحدة من جواهر نساء (عاد) . أما (علي) فقد كان يراقبني بعصبية واضحة عندما أخذت قطعة من البقايا التي تحيط بالمكان وأخذت أفحصها . كانت الشمس على وشك المغيب وكان لديّ وقت قليل جداً لأقوم بدورة سريعة حول حافة فوهة البركان قبل العودة إلى خيامنا لنتناول الافطار .

« كان هذا كافياً بالنسبة لليوم الأول ، ولكن زملائي كانوا متشائمين بالنسبة لقراري . فقد قلت إنّ هذه المنطقة يمكن أن تكون حقاً هي « وابر » التي تكلم عنها البدو ، ولكنها من صنع الله وليست من صنع الإنسان . هذا الذي نراه ليس حصوناً قديمة ولكنها تشبه بقايا بركانية كغار حراء التي رأيتم مثلها من قبل ، وبلا شك على اليمين في الطريق إلى مكة . وهذه الأفواه البركانية تشبه أفواه حراء وقد امتصت عن طريق النار التي خرجت من باطن الأرض . ولكن (علي) أجاب بحدة . . لا . . إنها حصون **عاد بن كينعاد** ، إنها قصور . . هذا مؤكد . . ثم انظر إلى قوالب الطوب هذه التي أحرقتها النيران . . هذا واضح . ثم ما هذا إن لم تكن جواهر ؟

« فأجبت . . لا تخشى شيئاً يا علي . . ! إن هذا المكان من المؤكد أنه نفس المكان الذي تكلمت أنت عنه والذي قدتني إليه كما وعدتني . .

وهذه حصون « وابر » كما قلت أنت . إنـني سعيد بذلك ولكنها لم تبن عن طريق الإنسان . ثم ماذا عن سالم ؟ هل وجد الحديد الـذي أخـبرني عنـه والذي قال إن حجمه كبيراً مثل جمل ؟ . .

« فأجاب سالم بحزن . . إنني قد ذهبت إلى المكان ولـكنني عـرفت أن الحديد قد دفن تحت الرمال . وإذا أراد الله فـإننا سـوف نجـده في الغـد عندما نبدأ الحفر .

« فأجبت . . الله كريم . . وإنه سبحانه إذا أراد فإنك سوف تجده » .

وهكذا تحطمت آمال فيلبي . . لقد برهن على أن ما رآه هي صخور نيزكية ضخمة ، ذات قيمة علمية كبيرة بلا شـك . . ولـكنها لم تقـده إلى كنوز أهل عاد . .

وانحرف فيلبي من (الوبر) إلى اتجاه آخر ليلتقي بـالطريق الـذي كان قد سار فيها توماس ومضى إلى (**شنة**) التي زارهـا تـوماس أيضـاً مـن قبل .

يقول فيلبي في كتابه الربع الخالي :

إنه عثر طيلة الطريق على آبار جافة لا أثر للماء فيها حـتى وصـل إلى (نايفة) حيث استطاع التحقق من **قصة « الرمال التي تغني »** والـتي يتناقلها البدو في جوف الصحراء البعيدة عـن المكان ، وامتـدت وراء (نايفة) منطقة صحراوية مسافة أربعمائة ميل لا أثر للماء ولا لـلآبار فيهـا هي منطقة الربع الخالي الحقيقية .

وقرر فيلبي أن يقطع هذه الصحراء التي لم تـطأها قـدم إنسـان مـن قبل وأن يتجه إلى **سليل** الواقعة في طرف الربع الغربي ، ويؤكد فيلبي أن أدلاءه لم يكونوا قـط قـد وصـلوا إلى تلك الأرض وإن كـانوا يعـرفون شيئاً عن طبيعتها ومتاعبها مـما يـسمعونه مـن أهـل البـادية ، واعـترض الأدلاء على قراره معـارضة جـدية أخـذت تهـدد بالعصيان وبلغت حـدود التـآمر .

ويروي فيلبي أنه بعد سنوات طويلة من الرحلة سمع بقصـة المجلس الحربي ، الذي عقده الأدلاء أثناء نـومه ، للبحـث في الـوسائل الـتي يستطيعون بها التغلب عليه واحباط خطته ، وكانوا يعرفون أن الاقتـاع لن يجدي ، ففكروا بقتلي وقد تدارسوا الخطة بمنتهى الجـد ولم يمنعهـم عـن تنفيذها إلا عجزهم عن الاتيان بقصة يقنعون بها ابن سعود ليقبل المصـير الذي سيحل بي ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون الواحد منهم قـد خـاف من رفيقه وخشي أن يشي به ، وأن يضـعف أمـام التحقيـق الـذي سيتعرضون له عند عودتهم ، على كل حال . قمت حياً في اليـوم التـالي لأجد رفاقي قد لانوا فمضينا في طريقنا ننفذ المشروع .

وسارت القافلة في طريقها وانهارت الإبل في اليوم الرابع ، أمام هـذه الظروف المناخية القاسية في صحراء لم تـر المطر منـذ عشرات السـنين ،

وقضى فيلبي ورفاقه ليلة أخرى يتناقشون فيما يجب عمله ، ووافـق فيلبي على العودة إلى نايفة شريطة البدء بمحاولة جـديدة لعبور الصـحراء منهـا لطريق أصغر ، ينتقى له ، خير الإبـل ، على أن تعـود بقيـة القـافلة إلى الأحساء ، وعندما عادوا إلى (نايفة) ، جادت السماء بصورة غـير متـوقعة بمطر غزير ، وذبح الرفاق بعيراً قددوا لحمه ، ليعتمـدوا عليـه في رحلتهـم المقبلة التي لم يستطيعوا الاستغناء فيها عما يحملونه من مـاء لـطبخ الأرز أو عجين الخبز . **واعتمـد فيلبي ورفـاقه على التمـر واللحـم والشاي** ، بعد أن انقص عـددهم إلى ١١ رجـلاً و ٢٠ بعـيراً . وعـاد الباقون بالإبل إلى الأحساء ، ونجح فيلبي في مشروعه وبعد ١٠ أيام كان في سليل معتزاً بانتصاره على الصحراء التي قطع فيها ٤٠٠ ميل حيـث لا ماء ولا طير ولا أثر لحياة إنسانية أو حيوانية .

وانتقل من سليل إلى **وادي بيشة** ، ومنهـا إلى طريق الفيلة باتجـاه تربـة وصايل ، ليصل إلى مكة المكرمة في الخامس مـن أبـريل (نيسـان) بعـد ثلاثة أشهر تماماً من بدء الرحلة التي تحدث عنها في الصـيف التـالي في سلسلة من المحاضرات ألقـاها في **الجمعيـة الجغـرافية الملـكية** وغيرها .

وتمكن فيلبي من تزويد المتحف البريطاني بأكبر مجموعة من الطيور العربيـة عـرفها حـتى ذلك التـاريخ (١٩٤٠م) وعددها ٤٠٠ نوع .

وفي التاسع عشر من مارس (آذار) سنة ١٩٣٢م ، وصل فيلبي إلى وادي الدواسر ومنه . . اتجه إلى مكة .

وبذا انتهت أول رحلة إلى الربع الخالي . . رحلة البحث عن كنوز أهل عاد . . ولكن صاحبها عاد خالي الوفاض .

المراجع والمصادر

١ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٤٩٤ .
٢ ـ د . محمد فؤاد شكري وآخرون : نصـوص ووثـائق ، البـاب ٤ ، ص ٤٣١ .
٣ ـ يحيى حقي (جريدة المساء) ١٩٦٣/٩/٩م .
٤ ـ فيلبي : أرض الأنبياء (مدائن صالح) .
٥ ـ د . جمال مرسي بدر : مختارات أدبية وتاريخية ، القاهرة .
٦ ـ د . أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، ص ١١٢ .
٧ ـ د . محمد متولي : حوض الخليج العربي .
٨ ـ فيلبي : تاريخ نجد ودعوة الشيخ عبد الوهاب .
٩ ـ خيري حماد : عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث .
١٠ ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٥١ .





حيوانات الجبال

بقلم :
د. أحمد محمد غندور

ترسو الجبال في جميع القارات على وجه المعمورة ، وفي كل سلسلة من هذه الجبال توجد عدة بيئات متباينة من الصحارى المجدبة إلى الأراضي المخصبة ، ومن الجليد الصاقع إلى الغابات الاستوائية المخضرة .

وفي كل هذه البيئات تعيش أنواع عديدة ومتباينة من الحيوان ، ويعد **الماعز** من أجملها وأكثرها تكيفاً لحياة الجبال ، ويوجد أيضاً العديد من **الكباش** التي تمرح وترعى حرة طليقة على هذه الجبال .

★ البيئة الجبلية المتباينة ★



★ الكبش ذو القرون الكبيرة ★

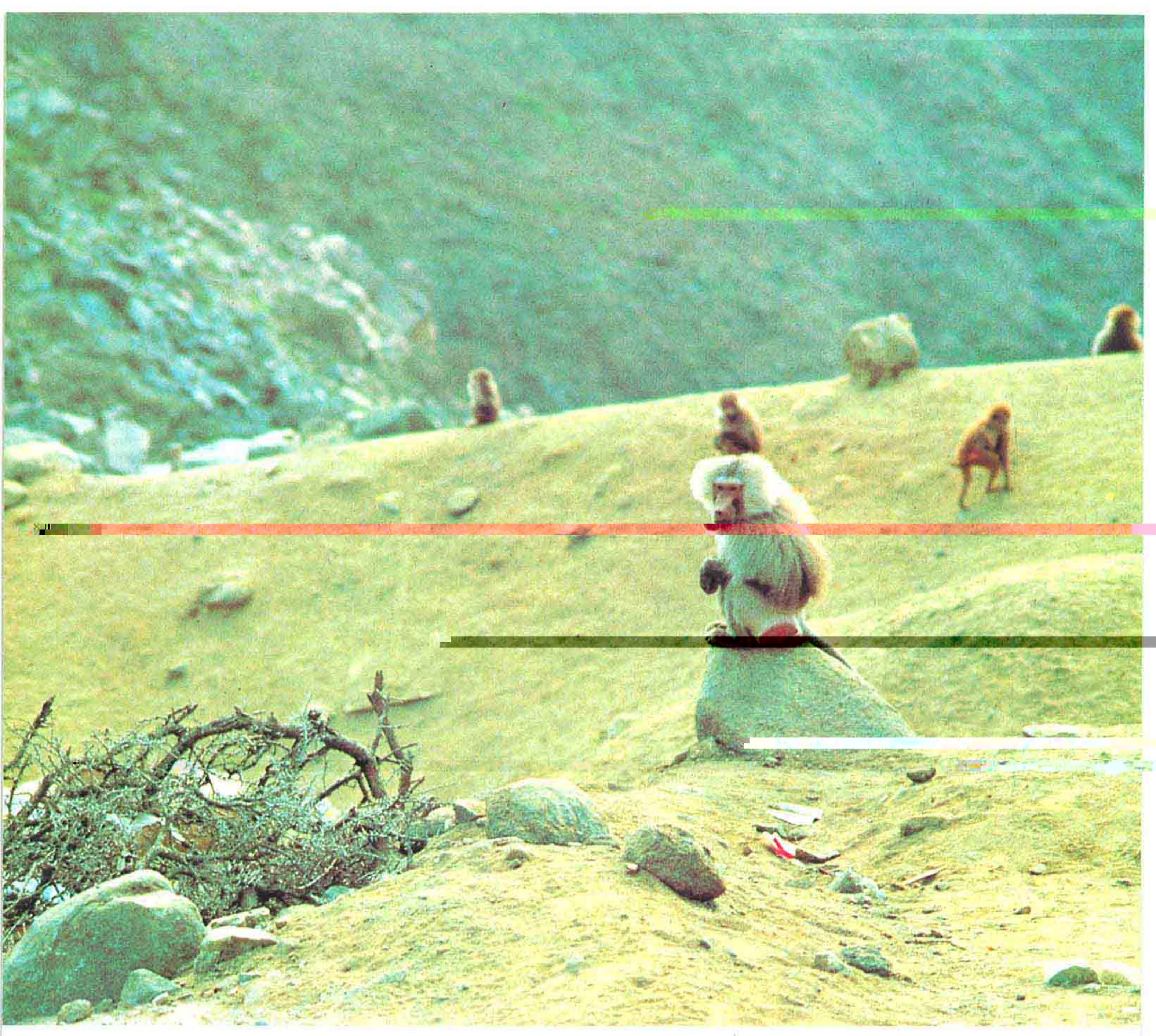
وفي جبال الهملايا تعيش أربعة أنواع صغيرة الحجم من **فصيلة الجمال** .. بالإضافة إلى هذه الحيوانات الثديية ، يوجد أنواع عديدة من **الطيور** ، ومن أكثرها **الطيور الطنانة** الجميلة الشكل الزاهية الألوان ، ويوجد أيضاً الكثير من الحشرات .

وفي بعض هذه الجبال تعيش عدة أنواع من **الذئاب ، والأسود والفهود** ، وهي إذ تقتات على الحيوانات الثديية من ماعز وكباش وجمال ، إنما تساعد على حفظ التوازن البيئي حتى لا تطغى أعداد أي نوع من الحيوانات على الآخر .

وقد أسر الإنسان ، من قديم الزمان ، بكل هذا العالم الزاخر بالجمال والروعة والإبداع في الخلق ، فمنه من ترك الأرض المنبسطة وعاش على قمم الجبال ، ومنه من عاش على الأرض المنبسطة وهام حبًّا بالجبال ، يرتادها من حين لآخر ، يتأملها ويحاول الوصول إلى أعاليها ، وفي الكثير من الأحيان يصطاد الحيوان من عليها .. فلنتأمَّل معاً عالم الحيوان في الجبال حتى ننضم إلى عشاق الجبال من بني الإنسان !! .

الماعز الجبلي أمهر المتسلقين !!

توجد عدة أنواع من **الماعز الجبلي** ومن أشهرها (**ماعز الشمواه**



★ قردة السعدان على جبال الجزيرة العربية ★

الأوروبية Chamois) ، و (**ماعز الجبال الصخرية** Rocky Mountain Goat) ، و (**الوعل الجبلي الجميل** Ibex) .. وتوجد تسعة أنواع من ماعز الشمواه ، وهي صغيرة الحجم كالماعز الأليف ولها قرون قصيرة ، وقد اشتهرت بالشعر الناعم البني اللون على الجسم الذي يزداد طوله أثناء الشتاء ، وهي من أمهر المتسلقين على الجبال ، إذ

تستطيع أن تصعد قفزاً إلى ألف متر في عدة دقائق ، ولا تجد أي صعوبة أيضاً في النزول سريعاً إلى أسفل ، وفي العادة تعيش في مجموعات صغيرة مكوَّنة من الإناث والصغار ، وتقود أكبر الإناث سناً المجموعة .. وتولي الإناث صغارها العناية الفائقة ، ويعيش كبار الذكور وحدهم ، ولكن أثناء **موسم التزاوج** يفرض كل من الذكور سيادته على قطيع من الإناث ، وقد يتم عراك شديد بين ذكرين متنافسين على هذه السيادة .

وفي العادة تعيش ماعز الشمواه في غابات الجبال ، ولكن أثناء الشتاء القارس تنزل إلى الأودية القريبة حيث تقضي هناك تلك الفترة .

أما ماعز الجبال الصخرية الأميركية فهي بيضاء اللون ، والشعر أكثر كثافة على الجسم ، ويوجد عرف طويل على المنطقة الظهرية



★ الوعل ... من أجمل حيوانات الجبال ★

وشعر غزير على الأطراف الأمامية والخلفية .. وتختلف عن ماعز الشمواه في أنها تعيش في أعالي الجبال حتى أثناء الشتاء على ارتفاع تسعة آلاف قدم أو أكثر ، حيث لا توجد **غابات السحاب** Cloud Forests أو أي أشجار ، ولصعوبة الوصول إلى بيئة هذه الماعز فإنها تعد من أكثر حيوانات الجبال أمناً وسلامة من الأعداء .

ويوجد حالياً حوالي ألف ومائتين منها فقط في مجموعات صغيرة تقود كل منها أكبر الإناث سناً ، والصراع بين الذكور على الإناث قليل نسبياً .. أما النوع الثالث من الماعز الجبلي (**الوعل** Ibex) ، فهو من أجمل أنواع الماعز الجبلي ، وله قصة صراع طويلة مع الإنسان .

الإنسان .. والحياة الجبلية !!

يوجد أنواع عديدة من الوعل الجبلي في أماكن مختلفة من العالم ، فهناك **الوعل الألبي ، والوعل القوقازي ، والنوبي ، والحبشي ، والسيبيري** .. والوعل أكبر في الحجم والبنية من الماعز المستأنس ، ويمتلك كل من الذكر والأنثى قرون مقوسة بها حلقات واضحة ، والجسم مغطى بشعر قصير بني ، ويوجد عرف طويل على الجبهة الظهرية ، وللذكر لحية سوداء طويلة .. وتعيش في قطعان صغيرة



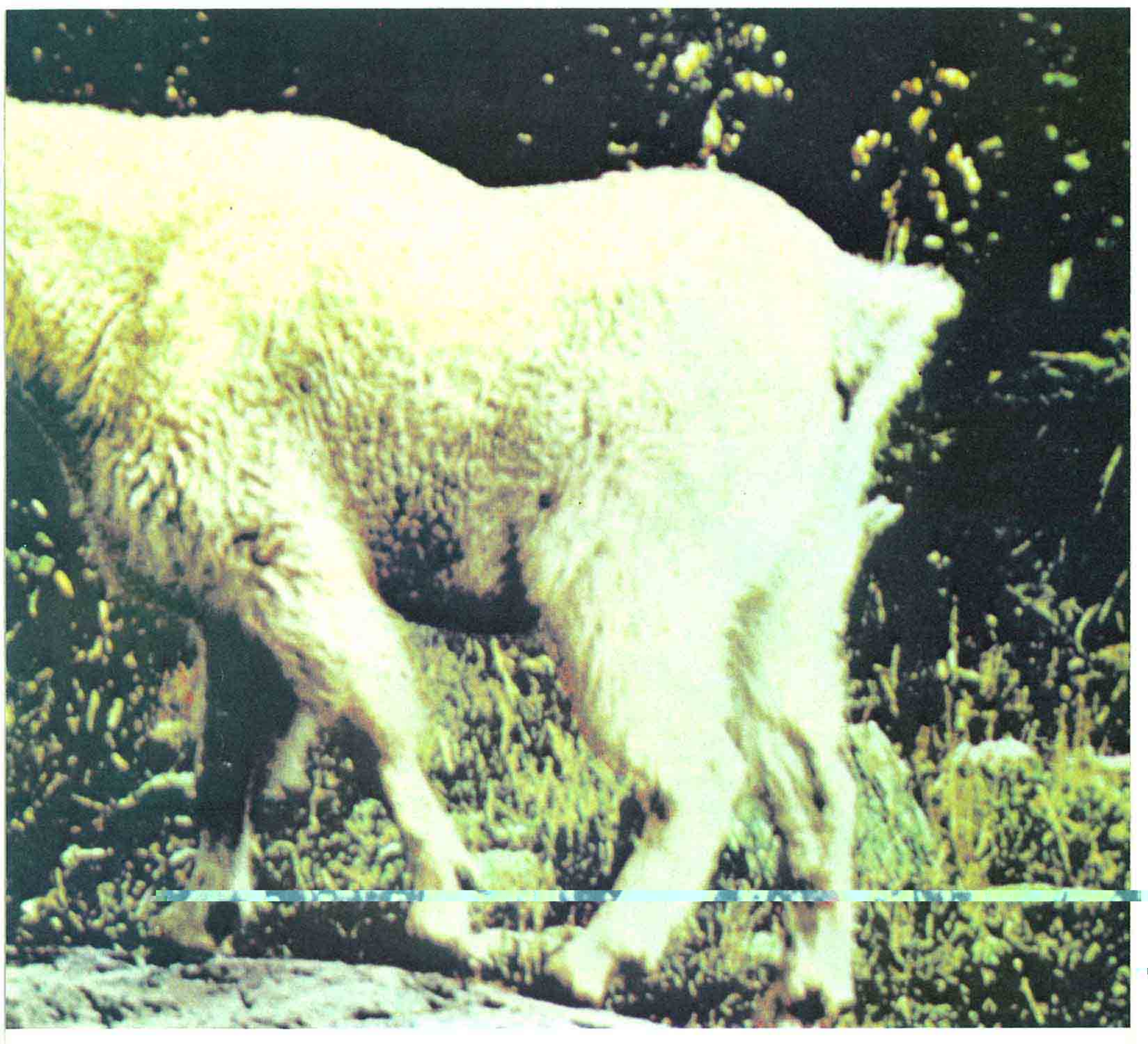
★ قطيع من الوعل في جبال الألب ★

مكونة من الإناث والصغار ، وينفصل كبار الذكور عن هذه القطعان ولا ينضمون إليها أثناء موسم التزاوج ، وقد ينضم إليهم بين الحين والآخر ، صغار الذكور من مجموعة الإناث بعد أن يبلغوا سن الرشد ، (أي من سنتين إلى أربع سنوات) .

وفي **القرون الوسطى** اصطاد الإنسان الآلاف من الوعل في **إفريقيا وآسيا وأوروبا** حباً في لحمه اللذيذ ، واعتقاداً بأن بعض الأجزاء منه تساعد في الشفاء من بعض الأمراض **كالسل والسرطان والكالو** .

ومع ازدياد صيده تدهور العدد واختفى الوعل في بلاد عديدة من أوروبا وآسيا ، ولكن في حوالي عام ١٨٤٥ م ، أعجب به **الملك أمانيول الثاني في إيطاليا** ، وكعادة الملوك في تلك العهود ، فرض عليه الحماية وبأنه من (**الصيد الملكي** Royal Game) ، ويعاقب بالموت كل من يتعرض له ، وقد عين عدة حراس لحمايته ، ولولا تلك العناية الملكية المشهورة لانقرض الوعل من أوروبا بأكملها ، إذ لم يبق في كل جبال الألب أي منه إلا قطيع الملك أمانويل !! . .

ومع نمو وإدراك الإنسان بقيمة الحياة البرية نظر الأوروبيون في



★ كبش الدال ★

الطبيعة حولهم وعلى أعالي الجبال ، فوجدوها خالية من الحياة ، وبدأوا المساعي لمحاولة ارجاع الحياة البرية على الجبال ، وفي البداية رفض **الإيطاليون** التفريط في الوعل لديهم على اعتبار أنه من التراث القومي ،

وجن جنون **السويسريون** ، وهم أهل الجبال وهي خالية من الحياة البرية ، فما كان منهم إلا أن هربت أعداد بسيطة من الوعل « الإيطالي » إلى داخل بلادهم في عام ١٩٠٦ م ، ثم أقنعوا الإيطاليين بشراء أعداد أخرى ، ووضعت هذه الحيوانات في حظائر الصيد تحت الرعاية المكثفة ، ثم أطلق حوالي خمسة من هذه الوعول في عام ١٩١١ م ، إلى أعالي الجبال ، وسرحت أربعة منها إلى الطبيعة ، وأخذ الخامس يرجع بين الحين والآخر إلى حظيرة الصيد ، ورفض الحرية ، لكنه لجأ أخيراً إلى حياة الطبيعة . . . .

واليوم رجع العدد إلى ما كان عليه ، إذ **يوجد حوالي ثمانية آلاف وعل على جبال الألب** ، ولولا أن أدرك الإنسان قيمة الحياة البرية لانقرضت هذه الكائنات الجميلة ، واحتلت مكانها في **متاحف التاريخ الطبيعي مع الدينصورات وفيلة الماموث وجاموس البسيون** ، وانضمت تحت قائمة الحيوانات المنقرضة !! . .



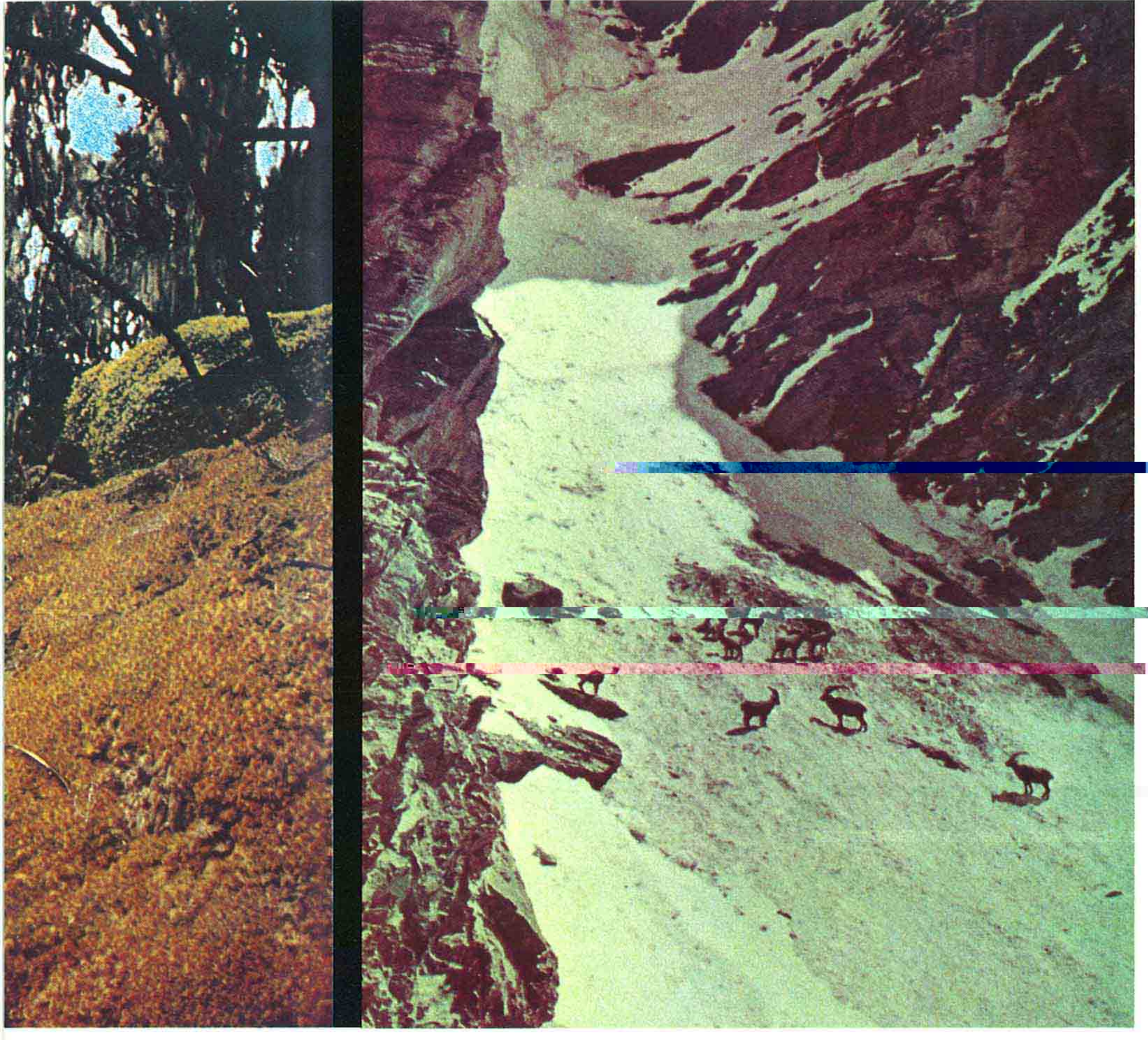
★ ماعز الجبال الصخرية الأمريكية ★

الكباش الجبلية الجميلة

توجد عدة أنواع من الكباش الجبلية ومن أشهرها (**كبش البربارى** Barbary Sheep)، (**كبش التاهر** Tahr Sheep)، (**الكبش الأزرق** Blue Sheep)، (**الكبش ذو القرون الكبيرة** Big Horn Sheep)، (**كبش الدال** Dall Sheep).

وكبش البربارى يعيش في المناطق الصحراوية في جبال شمال إفريقيا، فإما أن يعيش وحيداً، أو في مجموعات صغيرة لا تتعدى الأربعة في العدد، وهي تشبه الماعز ولها ذيل قصير، ولكن من أهم المميزات وجود عرف طويل جداً على الحنجرة والمنطقة الصدرية والأطراف الأمامية، ولا يوجد إلا شعر بسيط على باقي أجزاء الجسم.. والقرون تشبه قرون الوعل.

أما «**كبش التاهر**» فيوجد منه ثلاثة أنواع تعيش في **جبال الهملايا والهند والجزيرة العربية**، في مجموعات كبيرة (حوالي ٣٠ ــ ٤٠ لكل منها)، وكعادة الماعز والكباش فإن الذكور يعيشون منفصلين عن الإناث، ولا ينضمون إليها إلا أثناء موسم التزاوج، ومن أشهر مميزات هذه الكباش وجود لحية صغيرة وشعر طويل على الصدر.



★ قطعان من الوعل في سفوح الجبال حيث تقضي الصيف ★

★ غابات السحاب على جبال

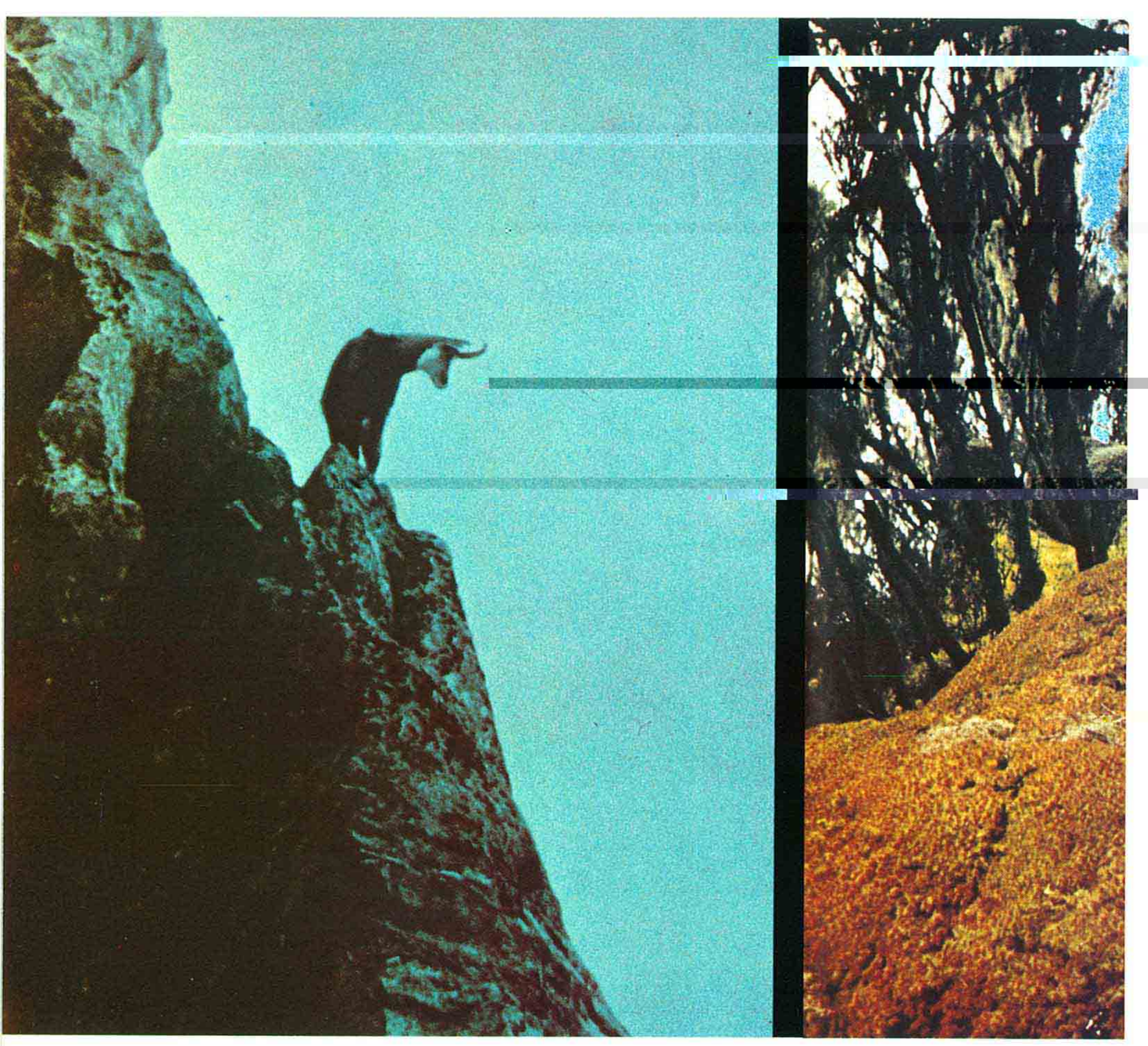
أما « **الكبش الأزرق** » فيوجد في الهملايا ، ويعيش في مجموعات كبيرة ، والجسم مغطى بشعر قصير يتغير لونه إلى الرمادي الأزرق أثناء الشتاء .

أما « **الكبش ذو القرون الكبيرة** » فيوجد في شمال **أمريكا وشرق آسيا** ، والجسم قوي البنية ، ويلعب حجم القرون الكبيرة دوراً هاماً في تحديد مكان كل حيوان في القطيع ، وتتعارك الذكور المتساوية في الطول ، لفترة طويلة قد تصل إلى اثنتي عشرة ساعة ، والفائز يسود قطيع الذكور ، والجسم مغطى بشعر بني خفيف والمنطقة الخلفية فاتحة اللون . . .

أما « **كبش الدال** » فيعيش أيضاً في شمال أمريكا ، والجسم مغطى بشعر أبيض اللون ، والقرون صغيرة نسبياً وغير مقوسة .

أنماط الحياة الأخرى في الجبال

بالإضافة إلى الماعز والكباش الجبلية تعيش أنواع أخرى من الكائنات على الجبال ، فغابات السحاب على الجبال زاخرة بأنواع عديدة من الطيور الطنانة وقد أضافت بوجودها هناك



الكونغو على ارتفاع تسعة آلاف قدم ★

★ الشمواء .. أمهر المتسلقين .. على جبال الألب ★

سحراً وجمالا على بيئة الجبال .

وتوجد أيضاً أربعة أنواع من فصيلة الجمال الصغيرة من أشهرها (**اللاصاوال** Vicuna) ، فهي تعيش في مجموعات كبيرة ، وقد استطاع الإنسان استئناس بعضها وترك الباقي حرة طليقة يأسرها من حين لآخر ، ويأخذ الشعر الكثيف من على جلودها كي يستعمله في صنع الملابس ثم يطلقها حرة مرة أخرى ! .

وفي بعض المناطق الجبلية في الجزيرة العربية ، وعلى **سلسلة جبال البحر الأحمر في السودان وأثيوبيا** ، تعيش **قردة السعدان** التي تكيّفت تماماً مع هذه البيئة الصحراوية ، واختلفت اختلافاً شديداً عن تلك الموجودة على الأراضي المنبسطة في السافانا في إفريقيا .

المراجع References

1. Bates, M. (1963) . Animal Worlds. Thomas Nelson and Sons

2. Grzimek, B. (1973) . Animal Life Encycolopedia (Vol. 13) Van Nostrand Co., New york



أسرار زحل

بقلم : د. مهندس . مظفر صلاح الدين شعبان ■ مهندس : سمير صلاح الدين شعبان

مع اطلالة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠م ، كان العلماء في جميع أنحاء العالم ، يترقبون لحظة اللقاء التاريخي الحاسم ، بين كوكب زحل المحاط بالأسرار ، والمركبة الفضائية فوياجير (١) .

ورغم أن العلماء توقعوا أن تفاجئهم اكتشافات **فوياجير (١)** ، تماماً كما فعلت عند لقائها بالمشتري من قبل ، إلا أن الذهول الذي خلفه عالم زحل المليء بالأسرار والغوامض تخطى جميع الحدود .



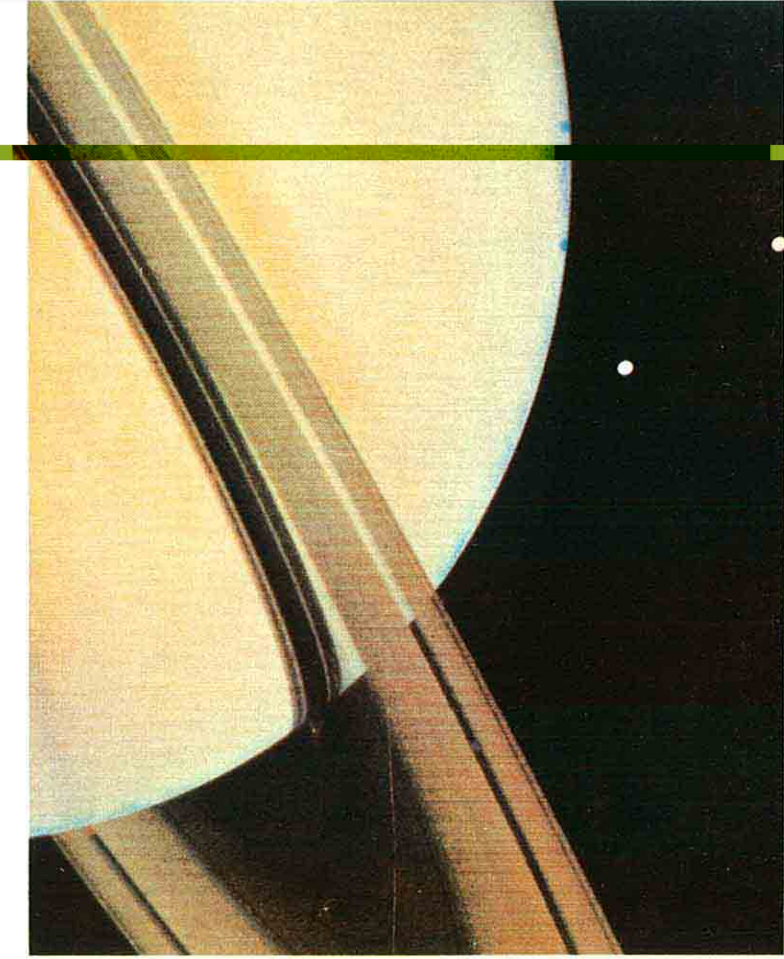
★ مركز المتابعة الأرضي في باسادينا . الحاسبات تحول نبضات المركبة إلى صور تليفزيونية ★

وقد عبَّر **الدكتور سميث ـ رئيس قسم التصوير في رحلة فوياجير** ـ عن هول المفاجأة بقوله : « شاركت في مشاريع كل من **مارينر وخايكنغ** إلى المريخ ، وفي متابعة مهمة فوياجير إلى المشتري ، وقد واجهت كثيراً من الظواهر الغريبة في السنوات العشر الماضية ، لكنني أعجز عن تصور أي شيء يبعث على الحيرة أكثر من الغوامض التي شاهدتها خلال اقتراب فوياجير (١) من زحل .. غرائب المشتري تمكنا من التوصل إلى تفسير معقول لها بعد عدة ساعات ، أو أيام من مشاهدتها . لكن كثيراً من غوامض زحل شاهدناها منذ عدة أسابيع ، وما زلنا عاجزين عن ايجاد أي تفسير مقبول لها » .

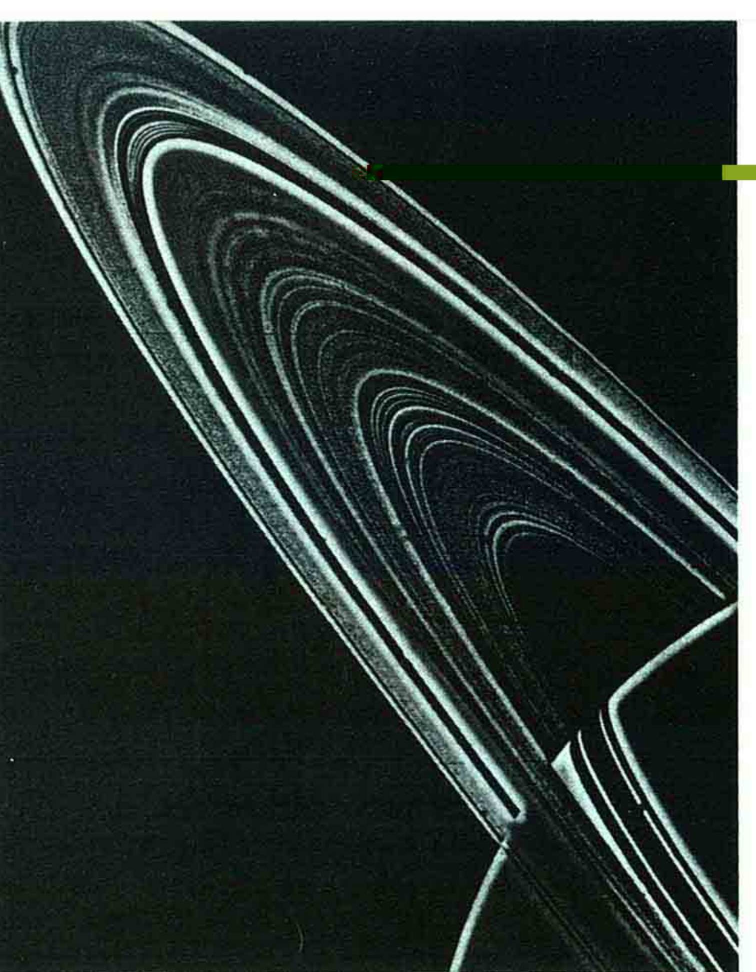
عالم زحل الخلَّاب سلب ألباب العلماء في مختلف أصقاع الأرض بحلقاته المضفورة (المجدولة) ، بالفوهات العملاقة المرتسمة على الجليد ، ببحار **النتروجين** ، بقمرين يدوران على مسار واحد وبحشد هائل قوامه مئات الحليقات .

تيتان .. ذلك المجهول

لقاء **فوياجير (١) الأول** مع أسرة زحل ثم مع **تيتان** ـ أكبر أقمار المجموعة الشمسية قاطبة ـ في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠م ، وحيث إنه القمر الوحيد في المجموعة الشمسية ، الذي يحيط نفسه بغلاف



★ حلقات زحل ترسم على سطح الكوكب الذهبي حزاماً من الظلال . يبدو «ديون» في أقصى اليسار وعلى يمينه «تيتيس» ★



★ تبدو الحلقات من الأرض قليلة لكنها تتكون من مئات الحليقات ★

غازي ، فقد اقتربت منه فوياجير (١) حتى مسافة ٤٠٠٠ كم فقط ، وهو أكبر اقتراب تقوم به المركبة من أحد الأجرام خلال رحلتها التي تجاوزت ثلاث سنوات .

وكما توقع العلماء لم تتمكن العدسات التلفزيونية من اختراق سحب تيتان الكثيفة ، فلم تفلح في تصوير سطحه ، واقتصر عملها على التقاط صور سحب الغيوم وقد وجدت أن جوه الرقيق «أكبر سماكة» عند قطبه الشمالي . **وبذلك يشبه تيتان كوكب الزهرة** ، الذي اضطر الإنسان إلى استخدام الرادار كي يدرس سطحه .

أثارت دراسة تيتان من الأرض كثيراً من التكهنات حول احتمال وجود أشكال من الحياة البدائية على سطحه . فقد بينت هذه الدراسات أن جوه مكون بصورة رئيسية من مركب عضوي هو **غاز الميثان** (الغاز الطبيعي) . لكن فوياجير (١) صدمت الجميع عندما أثبتت أن **جو تيتان** مكون بالدرجة الأولى من **الآزوت** (النتروجين) ، الذي يشكل القسم الأعظم من جو الأرض أيضاً (!!) بينما تقل فيه نسبة الميثان عن ١ بالمائة ، كما كشفت فوياجير كميات ضئيلة من بعض المركبات العضوية الأخرى مثل **الأيتان** ، **الأتيلين** ، **الأستيلين** . لكن العثور على بعض سيانيد الهيدروجين ، دفع بعض العلماء إلى وصف تيتان بأنه «أرض متجمدة في أعماق الفضاء» .

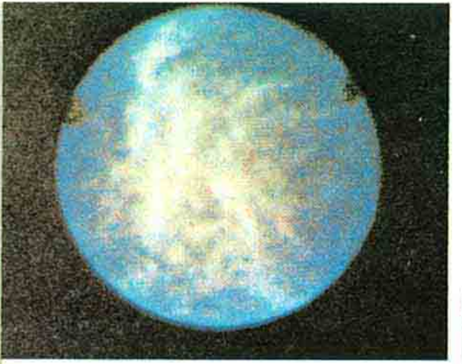
فقد كشفت فوياجير في تيتان محيطات من الآزوت السائل تبلغ درجة حرارته ١٨٣° تحت الصفر . وهكذا يستحيل على تيتان احتضان الحياة كما نعرفها على الأرض .

المفاجأة الأخرى التي أعدها تيتان للعلماء هي إصدار «لسان» من الهيدروجين المتوهج . ويتكهن العلماء أن هذا الهيدروجين يتحرر عندما يقوم ضوء الشمس بتفكيك بعض الفحوم الهيدروجينية عند قمة غيوم تيتان . لكن القوى التي تحافظ على استمرار اللسان وشكله ما زالت لغزاً يكتنفه الغموض التام .

وعلى الرغم من أن عدسات التلفزة لم تكشف المزيد من أسرار تيتان ، لكن الأجهزة الأخرى غير البصرية ، والتي تعتمد على استخدام الاشعاعات فوق البنفسجية ، الراديوية وتحت الحمراء ، زودتنا بمعلومات هامة عن جو تيتان ، درجة حرارته وحجمه ، تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحليل .

أسرار زحل

في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠ م ، اقتربت فوياجير حتى بعد قدره ١٢٤٠٠٠ كم من غلاف غيوم زحل ، ثاني كواكب المجموعة الشمسية حجماً ، ذي اللون الضارب إلى الصفرة .



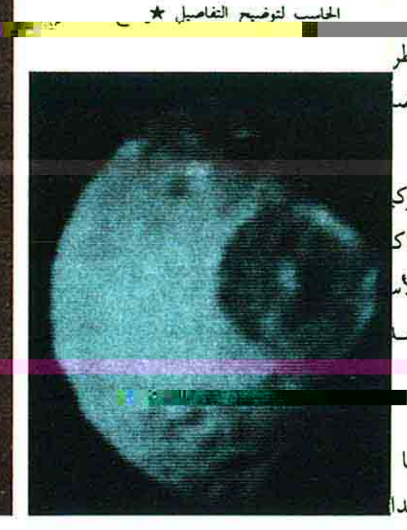
★ «ديا» وقد لونه الحاسب لتوضيح بعض التفاصيل ★

★ «أنسيلاديوس» الأملس وقد لوّنه الحاسب لتوضيح التفاصيل ★

★ «ديون» تظهر عليه خطوط محيرة ونتوء غريب ★



★ «ديا».. المشبع بالفوهات ★



★ فوهة «ميماس» تغطي ربع وجهه تقريباً ★

كوكب زحل ــ بدوره ــ محاط بهالة من السحب والغيوم، تحجب سطحه عن عدسات التصوير. يشترك زحل مع الكواكب العملاقة الأخرى في المجموعة الشمسية في كونه كرة ضخمة من الغاز. **في مركز زحل نواة صخرية، يتوقع العلماء أنها تقارب الأرض حجماً،** لكنها مضغوطة إلى حد يجعل كتلتها تعادل ١٥ ــ ٢٠ أرضا. يحيط بهذه النواة طبقة سميكة جداً من الجليد. يحيط بالجليد طبقة خارجية مكونة بصورة رئيسية من غازي الهيدروجين والهيليوم.

أظهرت صور فوياجير (١) في جو زحل، عدداً كبيراً جداً من الأحزمة والبقع، كما شاهدت بقعة بنية اللون يزيد عرضها عن ٩,٠٠٠ كم، وبقعة أخرى من الغيوم الحمراء في القسم الجنوبي من الكوكب يبلغ طولها حوالي ١٢,٠٠٠ كم، فهي تشابه بذلك حجم البقع البيضاء التي شوهدت على سطح المشتري من قبل. ويعتقد العلماء أن هذه اللطخة الحمراء ــ المستقرة نسبياً ــ تحيط بها حلقة قاتمة اللون، وربما تكون مجرد سطح خارجي لمنطقة تعج بالعواصف. وهذه تذكر بلطخة المشتري الحمراء، لكن لطخة زحل أصغر حجماً، وسرعة الريح فيها تصل إلى حوالي ١٣٠٠ كم/ساعة.

عشرات الأحزمة التي شاهدتها فوياجير أثارت اهتمام العلماء، لأن عددها أكبر بكثير من تلك التي شوهدت على زحل من المراصد الأرضية من جهة، ولأنها أكثر بمرات من أحزمة المشتري، علماً أن الطقس في كل من الكوكبين يتأثر ــ بصورة رئيسية ــ بعملية التسخين الداخلي أكثر من اعتماده على امتصاص الطاقة من الشمس ــ كما يحدث في الأرض مثلاً ــ.

لم يقتصر التباين بين زحل والمشتري على الفرق في عدد الأحزمة فحسب، بل تبين كذلك اختلاف سلوك الرياح في كل منها. في المشتري تهب أقوى الرياح في المجال الواقع «بين» حزامين، بينما نجد أعتى الرياح في جو زحل تسير على طول «مركز» الحزام نفسه، بينما تكون سرعة الريح عند حواف الحزام وأطرافه معدومة تقريباً.

وهنا أيضاً قامت الأجهزة غير البصرية بإرسال معظم المعلومات عن سطح الكوكب المغطى بالغيوم إلى الأرض، لكن استخلاص النتائج منها يحتاج إلى دراسة وتحليل دقيق.

مئات الحلقات

كانت حلقات زحل ــ وما زالت ــ أكثر الظواهر الفلكية غموضاً

في المجموعة الشمسية، وسلوكها غامض تماماً، دفع أحد العلماء إلى اعتبار وجودها بحد ذاته معجزة فلكية.

ومع أن أصل هذه الحلقات غير معروف بشكل عام، لكنها لا تمثل ظاهرة نادرة في المجموعة الشمسية كما كان يظن سابقاً. ففي السنوات القليلة الماضية، تم اكتشاف ٩ حلقات رقيقة، تحيط **بكوكب أورانوس**. كما كشفت مركبتا فوياجير (١) وفوياجير (٢) في عام ١٩٧٩م، حلقة حول المشتري.

من غير المشكوك فيه أن الغموض الأكبر يخيم على جملة الحلقات في زحل. فهي تبدو من الأرض على هيئة عدة حلقات يحيط بعضها ببعض إحاطة السوار بالمعصم، أبعدها هي **الحلقة** F، لا تشاهد من الأرض وتبعد حوالي ٤٥٠,٠٠٠ كم عن غيوم الكوكب. إذا توغلنا إلى الداخل، نجد **الحلقة** A، وهي أبعد الحلقات عن الكوكب التي يمكن مشاهدتها من الأرض بمنظار فلكي صغير. يفصل بين الحلقتين F و A فراغ صاف يطلق عليه اسم **فجوة إنكل** (Enkel). **فجوة كاسيني** تفصل بين الحلقتين A و B، ويبلغ عرضه حوالي ٢٥,٠٠٠ كم. يلي ذلك إلى الداخل الحلقة ٢، التي تبعد عن سحب زحل بحوالي ١٨,٠٠٠ كم. وقد كشفت فوياجير حلقة جديدة (الحلقة D) تفصل بين غيوم الكوكب **والحلقة** C.

تركز نجاح مهمة فوياجير على كشف بعض غوامض حلقات زحل. فقد كشفت المركبة أولا أن فجوة كاسيني ليست فراغاً صافياً، بل تحتوي على ٦ «حليقات». كذلك أرسلت صوراً توضح أن حلقات زحل ليست ٤ أو ٥ ـ كما كان يعتقد سابقاً ـ بل تحتوي «مئات الحليقات»، لم يقم علماء المتابعة بإحصائها حتى الآن.

مم تتكون هذه الحلقات؟

في خريف ١٩٧٩م، قامت مركبة **بيونير (١١)** باختراق هذه الحلقات، فأثبتت أنها ليست كتيمة (متماسكة). ثم جاءت فوياجير (١) لتظهر أنها تتكون من صخور صغيرة يقارب معظمها حجم كرة السلة، ومظهرها يشبه الثلج المتسخ.

تلاحقت المفاجآت بعدها، مما اضطر علماء المتابعة إلى الاقرار بعجزهم عن تفسيرها. فقد فوجئ العلماء عندما شاهدوا «بروزاً» يشبه الإصبع على **الحلقة** B، أكثر الحلقات بريقاً، وقد ازدادت حيرتهم عندما شاهدوا هذا «الإصبع» يدور حول زحل، وأنه يكبر بشكل ملحوظ بعد خروجه من ظل زحل ليواجه الشمس من جديد.

لكن المفاجأة المذهلة وقعت عندما بينت فوياجير أن **الحلقة** F، ليست حلقة بسيطة وإنما تتركب من حلقتين أو ربما ثلاث حلقات «مضفورة»، تدور حول بعضها بعضاً، أثناء دورانها حول زحل، بصورة مناقضة تماماً لقوانين الجاذبية المعروفة حتى الآن، التي تحتم أن يحافظ الجرم السماوي على مداره وأن لا يرتفع عنه.

ثار جدل حاد حول هذه النقطة، اتفق علماء المتابعة على أثره، أنه لا بد من وجود قوة إضافية تسبب دوران الحليقات حول بعضها. عبرت فوياجير حلقات زحل ونظرت إلى نور الشمس من خلال الحلقة F لتشاهد جسيمات دقيقة من «الغبار» (بدلا من حجم كرة السلة). فإذا نجح ضوء الشمس وريحها في تحرير الإلكترونات أحد البروتونات من هذه الجسيمات، عندها تتحول إلى جسيمات مشحونة أي مغانط صغيرة، ربما يؤثر عليها حقل زحل المغناطيسي القوي ليجعلها تدور حول بعضها.

المفاجأة التالية حدثت عندما شاهدت فوياجير أن إحدى المناطق الداكنة نسبياً تتفكك إلى حليقات براقة بعض الشيء تحيط بها من الجانبين حليقات داكنة.

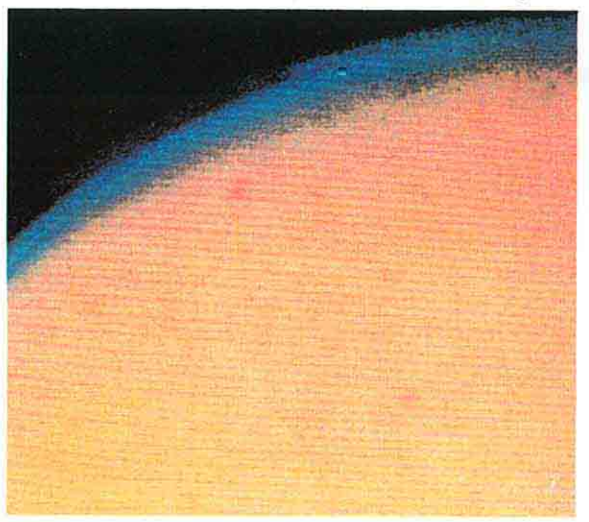
جميع هذه المفاجآت المتلاحقة دفعت سميث ـ رئيس قسم التصوير ـ إلى القول: «تقتضي قوانين الجاذبية أن «القمر» الأقرب إلى الكوكب يدور بسرعة أكبر، وعليه لا بد أن تتفكك الحلقات وتتناثر فوراً. لكننا نراها مستقرة... لقد أصبحت الحيرة كاملة».

أقمار زحل

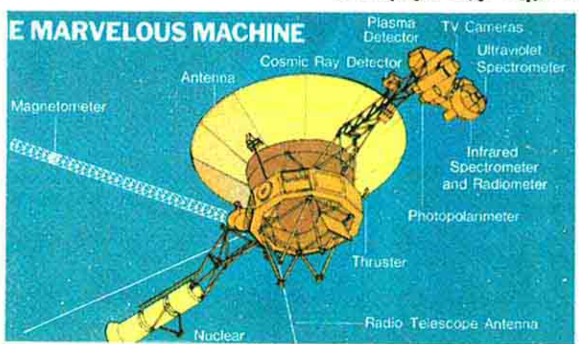
وجدت فوياجير في أقمار زحل عالماً غريباً جداً أعجز علماء الفلك عن اختيار الكلمات المناسبة لوصفه: قمر «مشطور» وآخر «مشبع» بالفوهات، وثالث بوجهين أحدهما لامع والآخر داكن، وتيتان يحتوي على محيطات من الآزوت.

معظم أقمار زحل تتكون من نواة صخرية صغيرة محاطة بطبقة سميكة جداً من الجليد. هذا الجليد قاس إلى حد أن صدمة من قبل النيازك يخلف وراءه «سجلات» كتلك التي يحفظها الصخر الصلد. **فيما يلي تلخيص أهم المشاهدات:**

★ القمر العملاق «تيتان»، يحيط به ضباب خفيف ★



★ تجهيزات مركبات (فوياجير ١) ★



● **ميماس** : فيه فوهة عملاقة يبلغ قطرها حوالي (١٢٥) كم ، وتغطي « ربع » وجه القمر تقريباً . تحيط بالفوهة حلقة مرتفعة نسبياً وفي مركزها قمة عالية جداً .

● **تيتيس** : يقارب حجمه ثلث حجم قمر الأرض وفيه انخفاض كبير طوله (٩٠٠) كم وعرضه (٦٠) كم ، ويحتوي سطحه على عدد كبير من الفوهات .

● **ريا** : « مشبع » تماماً بالفوهات التي التصقت بعضها ببعض ، وأي فوهة جديدة تنشأ لا بد أن تحطم فوهة قديمة لتحل محلها .

● **ديون** : يزيد قطره عن (١٠٠٠) كم ، وفيه فوهات كبيرة يصل قطر بعضها إلى حوالي (٩٠) كم ، وشاهدت فوياجير على سطحه تضاريس معقدة الشكل .

● **يابيتوس** : يقع بين ميماس وتيتيس ، ويبدو أنه يشابهها في تركيبه الكيميائي ، لكنه أملس تماماً من جهة ، وله وجهان أحدهما داكن كسواد الليل ، وآخر براق مثل الثلج في وضح النهار . ومع الأسف فقد شاهدت فوياجير (١) سطحه الداكن من ارتفاع كبير جداً .

اكتشفت فوياجير كذلك ٣ أقمار جديدة ، سيحاول العلماء الاستعانة بها في تفسير استقرار حلقات زحل ، خاصة أن اثنين منها يقعان إلى الداخل والخارج من حلقة F مباشرة .

وجدت فوياجير (١) كذلك أن القمرين ١٠ و ١١ يقعان على المدار نفسه تقريباً ، وهذه ظاهرة فريدة . فالفارق بين بعد مساري القمرين عن زحل لا يتجاوز (٥٠) كم ، بينما يبلغ قطر كل منهما عدة مئات الكيلومترات . وقد استخلص بعض علماء المتابعة من شكلهما المتطاول أنهما كانا قمراً واحداً ، تعرض لصدمة قوية فانشطر .

المصير المجهول

هتكت **فوياجير (١)** مع اختها **فوياجير (٢)** في عام ١٩٧٩ م ، أستار المشتري فأهدت إلى العلماء صورة سليمة واضحة عن أسرة المشتري .

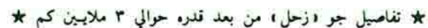
أما في زحل فقد زودت العلماء بآلاف الصور عن أسرار زحل فعلاً ، لكنها لم تكن قادرة على منحهم التفسيرات الصحيحة ، لأن كثيراً من مشاهداتها تخالف « ظاهرياً » القوانين الطبيعية ، التي يعتمد عليها الإنسان .

بعد أن تركت فوياجير (١) العلماء الأرضيين في حالة من الذهول ، ستتجه مبتعدة عن المجموعة الشمسية لتغادرها في عام ١٩٩٠ م . وربما تحير إحدى الحضارات العاقلة في فضاء الله الواسع ، إذا عثرت على هذه المركبة ، وشاهدت الصور وسمعت التحيات، التي تحملها المركبة .

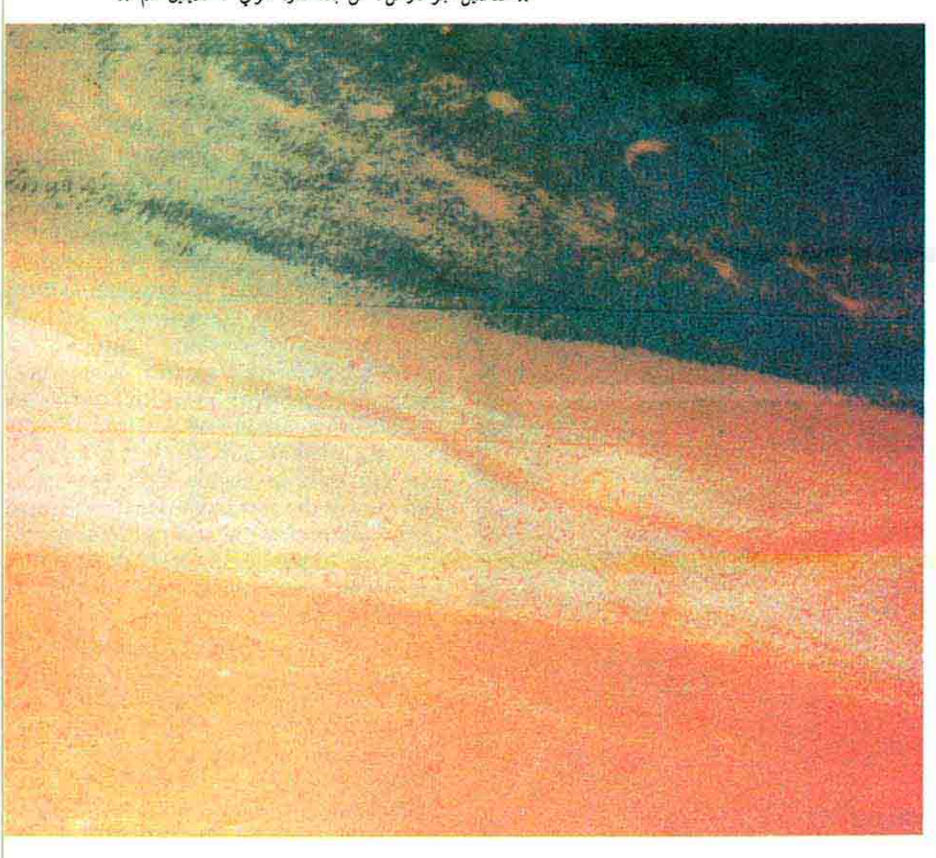
في آب (أغسطس) ١٩٨١ م ، ستقترب فوياجير (٢) من زحل ، ربما تنقذ العلماء من بعض حيرتهم . وحتى ذلك الحين سيعيش كثير منهم ساعات حاسمة مع قول أحد العلماء الضليعين : **«كلما ازددت علماً ... ازددت جهلاً»** .

★ سحب « زحل » وأحزمته من بعد قدره حوالي ٩ ملايين كم ★





★ تفاصيل جو « زحل » من بعد قدره حوالي ٣ ملايين كم ★



لوحة و فنان

من الطبيعة

● في اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة، استخدم الفنان اللمسات البسيطة للألوان الزاهية وذلك لإيجاد تألق الضوء، فالضوء عنده لا يصدر من مصدر محدد، وإنما يبرز من نقاء الألوان الفاتحة.

● رغم أن الفنان يصور الطبيعة إلا أنه لا يعتمد على **استخدام المنظور**، فهو يصور **الأشكال البعيدة** والقريبة بنفس الدرجة اللونية، وهذا يتضح من **المنازل المرسومة** عن بعد **والمزروعات والأشجار** في مقدمة الصورة.

● حقق **الهارموني اللوني** والنسيج العضوي في اللوحة باستخدامه مجموعة من الألوان في كل أجزاء اللوحة.

● يعتمد أسلوبه على البساطة فهو **يبسط الأشكال**، فنجد أن **الأشجار والمزروعات** عبارة عن لمسات من اللون الأخضر، وكذلك **المنازل**، لمسات من اللونين البني والأبيض وتشكل تلك المنازل العلاقات الرأسية في اللوحة، كما تشكل مساحات المزروعات **وسلسلة الجبال** في الخلفية العلاقات الأفقية وبها حقق عنصر الاتزان.

● اهتم بتسجيل **الطراز المعماري للبيوت**، التي تتميز به **المنطقة الجنوبية** من المملكة.

هاشم عبده المهنا

● من مواليد المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٢هـ.

● حصل على دبلوم **معهد التربية الفنية بالرياض** عام ٩٥/١٣٩٦هـ.

● يعمل حالياً **مدرساً للتربية الفنية بمدرسة خالد ابن الوليد الابتدائية بالطائف**.

● رئيس **لجنة الفنون التشكيلية بجمعية الثقافة والفنون بالطائف**.

● مشرف الفن التشكيلي والمسرحي **بنادي «وج» بالطائف**.

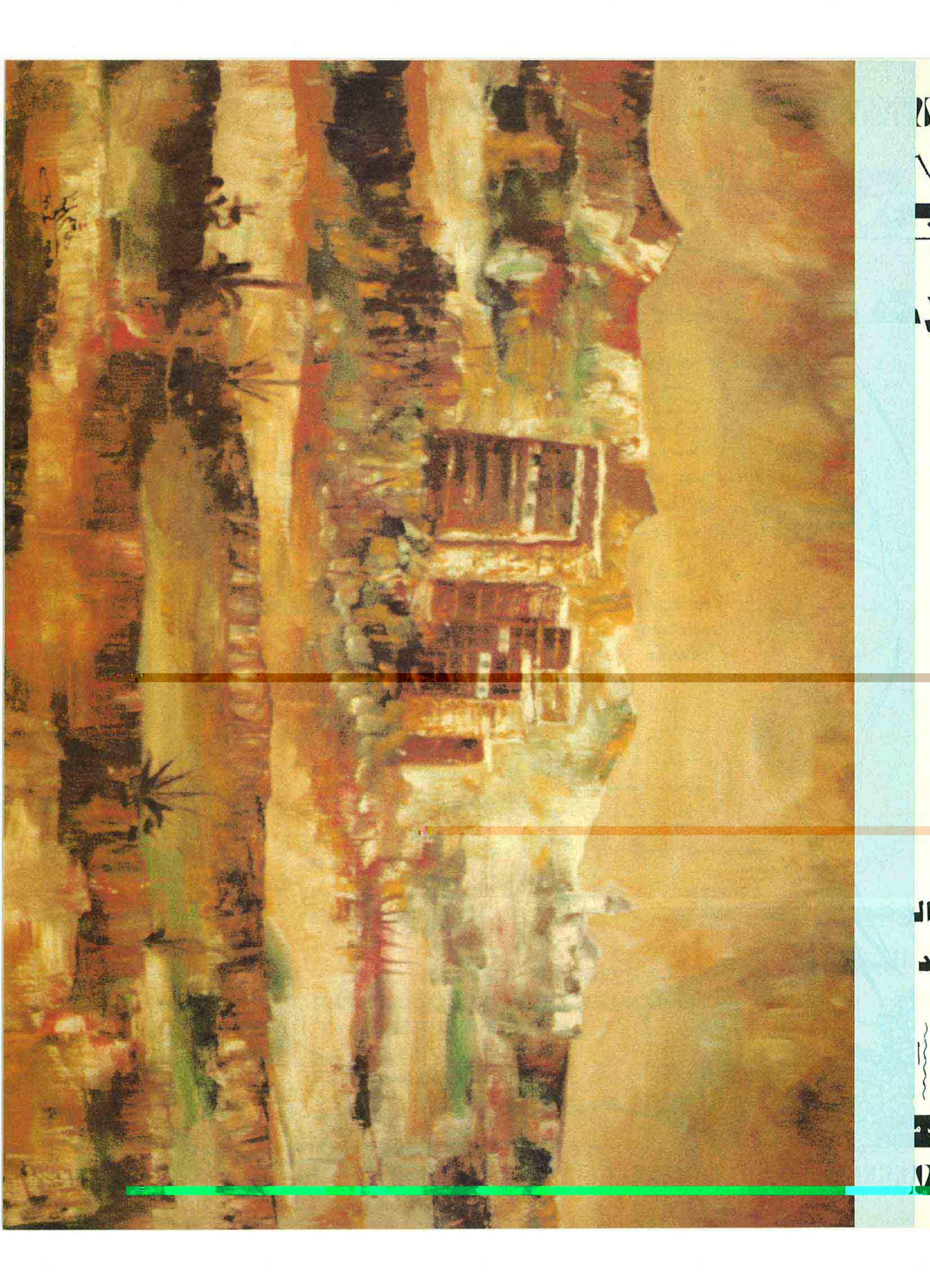
● عضو **النادي الأدبي بالطائف**.

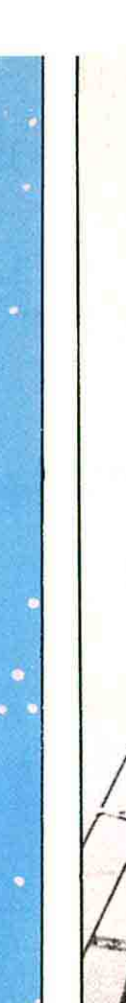
● اشترك في جميع معارض الفنون التشكيلية التي أقيمت بالطائف منذ تخرجه.

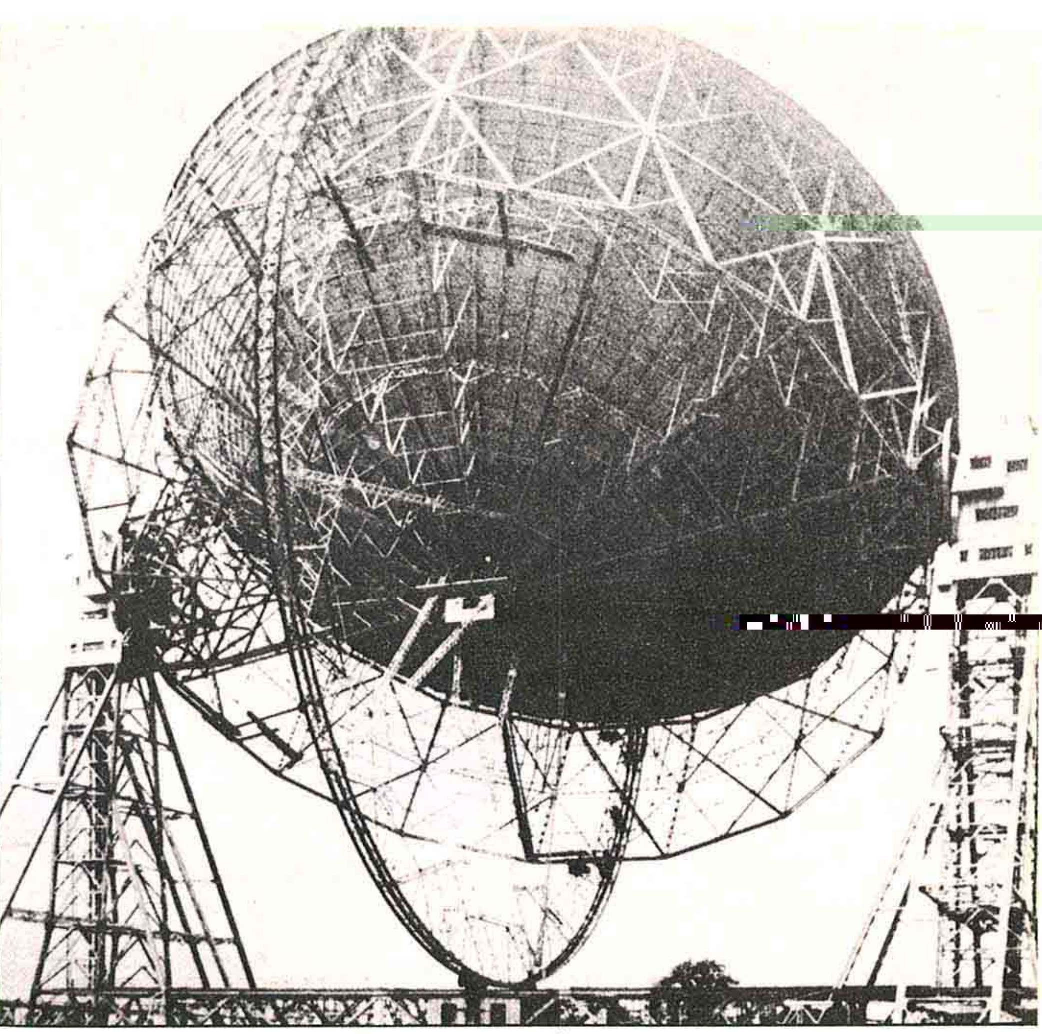
● كما اشترك في بعض المعارض التشكيلية التي أقامتها **الرئاسة العامة لرعاية الشباب بمدينتي الرياض وجدة**.

● أقام معرضه الشخصي الأول بمدينة **الطائف** عام ١٤٠٠هـ.

● حصل على العديد من **الجوائز وشهادات التقدير والميداليات** في مسابقات رعاية الشباب منها **الجائزة الثانية** على مستوى المملكة في المعرض الثاني للمقتنيات عام ١٣٩٥هـ، **والجائزة الأولى** لأندية المنطقة الغربية عام ١٣٩٦هـ.







★ شكل (١) مرقب جودرل بانك الراديوي ★

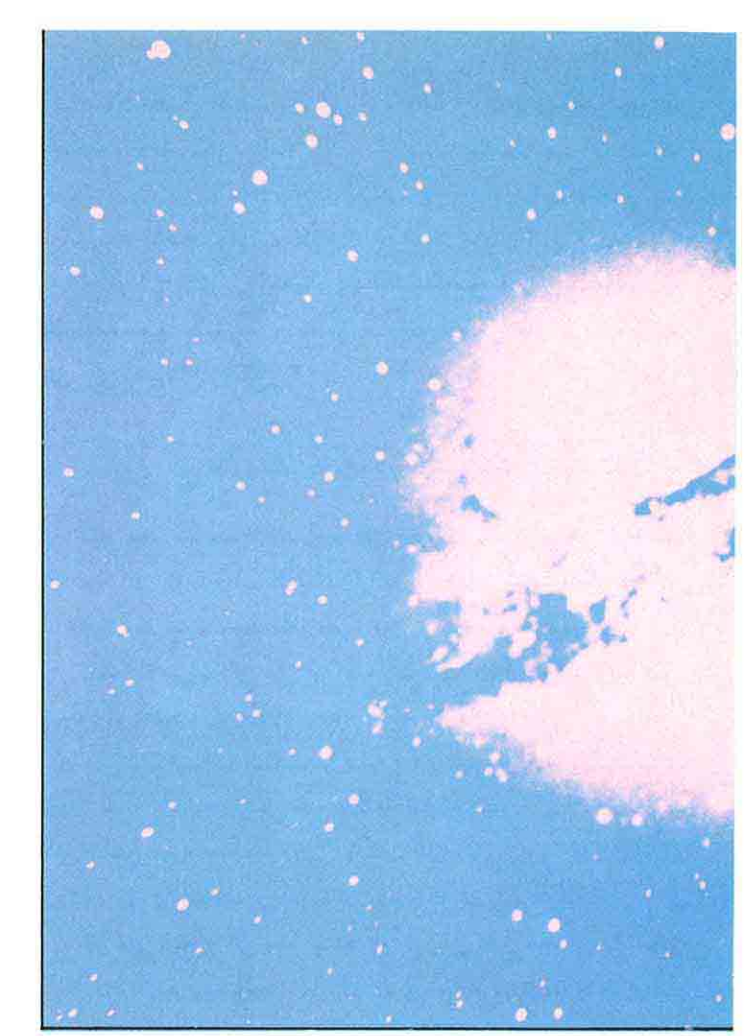
أشباه النجوم

كلما تقدمت وسائل البحث العلمي وتعددت أدواته وتناهت في دقتها ، يتوقع القارئ أن يزيد العلم رسوخاً ، وأن تثبت أركانه ، فيزيد الإيمان في العقل الإنساني العبقري الذي وصل إلى نتائج مذهلة حقاً . ويتوقع أيضاً أن يفسر العلماء كل ما كان قد غمض ، ويوضحوه على حقيقته ، وأن يكتشفوا أشياء جديدة ، تكون بالوسائل العلمية واضحة جليّة . وقد يتوقع الإنسان من هذا العقل الإنساني الجبار أشياء أخرى كثيرة .

بقلم
د . عبد الرحيم بدر

بيد أن الحقيقة التي بدأت تتضح منذ عقود في هذا القرن تدلُّ على غير هذه التوقّعات . إن وسائل البحث العلميّ الحديث تكشف لنا أشياء جديدة حقاً . لكن هذه الأشياء تطلعنا على القليل القليل من بعض ظواهرها . وهذا القليل القليل يبدو غريباً جداً ، يصعب علينا تفسيره . وصعوبة التفسير هذه توجب على العلماء أن يطرحوا نظريّات غريبة متناقضة ، ترمينا في بحر من الضباع ، وتجعلنا نشك في المفاهيم والأسس التي بنينا عليها العلم كلّه ، وتزعزع العقل من الجذور .

وهكذا فإننا نرى أنفسنا الآن ضائعين فلكياً أمام **أشباه النجوم** ، وأمام **النابضات** وأمام **الثقوب السوداء** . والعلماء أنفسهم حائرون أيضاً ، لا يحيطون بهذه الأمور إحاطة كافية لتفسيرها ، وتتخبّط نظريّاتهم المتناقضة وتبدو هذه الظواهر أمام أعينهم لغزاً . وهم لا يجهلون حقيقة هذه الألغاز وحسب ، وإنما يلوح في الأفق أنهم قد لا يحيطون بها في المستقبل . فهم «لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء» .



★ شكل (٢) المجرّة الراديوية ★



علم الفلك الراديوي

منذ **الحرب العالمية الثانية** ، وبعد أن انتهت ، واستغنت الدول المتحاربة عمّا لديها من أجهزة لاسلكية لم تعد بحاجة إليها ، أصبح عند الفلكيين أجهزة استقبال جيّدة ، وهوائيات ضخمة واسعة ، وأجهزة رادار صالحة . ونشأ بناء على ذلك فرع جديد في علم الفلك هو **علم الفلك الراديوي** . وأصبح الفلكيون يرصدون السماء ، لا بالعين والمرقب وحسب ، وإنما عن طريق استقبال الموجات التي لا تراها العين ، وإنما تسجّلها آلات الرصد وتسمعها الأذن .

ونشأت **المراصد** الضخمة في بقاع مختلفة من العالم المتمدن . وقد يكون أشهر هذه المراصد هو « **جودرل بانك** » في إنجلترا (**شكل ١**) ، فقد كان أكبر مرقب راديوي قبل عشرين عاماً . ولكن مراقب أخرى كبيرة ما لبثت أن أقيمت في أمريكا راحت تضاهيه في ضخامتها .

وتطوّر علم الفلك الراديوي تطوّراً سريعاً ، وتوالت التحسينات على هوائياته وأجهزة استقباله . وأصبحت **الهوائيات** توجّه توجيهاً دقيقاً جداً إلى السماء بحثاً عن **مصادر الأشعّة** فيه . وبلغ من دقّتها أنها لم تعد تحدّد المكان تحديداً تقريبياً ، وإنما تعيّن موضعه بالثانية وأجزاء الثانية . وإذا عرفنا أن الزاوية تنقسم إلى ثلاثمائة وستّين درجة ، وأن كلّ درجة تنقسم إلى ستّين دقيقة ، وأن كلّ دقيقة تنقسم إلى ستّين ثانية ، عرفنا مبلغ الدقّة حين يكون التحديد بأجزاء الثانية .

وأخذ العلماء يدرسون أطوال الموجات التي يستقبلون . فوجدوا منها أمواجاً مثل تلك التي يستقبلها المذياع ، طويلة ومتوسّطة وقصيرة بأنواعها ، ووجدوا موجات أقصر جداً من الموجات الإذاعيّة القصيرة ، هي **موجات الأشعة السينية** .

وأخذت تصدر **الأطالس الفلكية الراديوية** التي نرى فيها صفحة السماء ونستدلّ منها على مواضع صدور هذه **الأشعة الراديوية** وقياساتها . وفي بادئ الأمر ، راح كلّ مرصد يصنع دليلاً (كاتالوجاً) ، ويضع أرقاماً متسلسلة للدلالة على كلّ موضع لكي يسترشد به العلماء الآخرون . ولكن **الاتحاد الفلكي الدولي** قرّر أن يعتمد الدليل الذي وضعته **كامبريدج** وحده دون غيره . فنجد أن اسم كل موقع راديوي في السماء يحمل رقماً ، يسبقه **حرف** (C) للدلالة على كامبريدج ، أو **ثلاثة حروف هي** (N.G.C) للدلالة على **الدليل العام لجامعة كامبريدج** .

وهكذا أصبح علم الفلك الراديوي علماً منظّماً ثابت الأركان ، له علماؤه المتخصّصون ومراصده العديدة المنتشرة وأطالسه المختلفة وأدلّته (كاتالوجاته) المعروفة . وأصبح كل مصدر في السماء لهذه الأشعة يحمل اسماً خاصاً ، هو رقمه في دليل كامبريدج .

أسباب الموجات الراديوية

تصدر الموجات الراديوية عن قوّة مغناطيسية أو كهربائية . وتسمّى هذه والأشعّة السينية والأشعّة الضوئية **موجات كهرومغناطيسية** .

وإذا جلست مرة في بيتك تستمع إلى **المذياع** (الراديو) ، فقد تلاحظ بعض الأصوات المشوّشة إذا ما أقفلت أو فتحت نور الغرفة التي أنت فيها ، أو إذا ما فتح غيرك النور في غرفة مجاورة . إن هناك اضطراباً كهربائياً حدث فأثّر في جهاز الاستقبال الذي تستمع إليه . ولن تحدث هذه الظاهرة في العادة إذا ما فتح جار بعيد عنك زرّ الكهرباء في بيته ، وذلك نظراً إلى أن الاضطرابات الكهربائية التي تحدث في أسلاك بيته لا تكون ذات قوّة كافية لتصل إلى بيتك فتؤثر في سير الكهرباء وتحدث تشويشاً . ولكنك قد تلاحظ أحياناً تشويشاً يأتي من بعيد فيعكر صوت المذياع لديك . وهذا يحدث عادة إذا كنت تستمع إلى المذياع في ليلة ذات بروق ورعود . والسبب في ذلك أن البرق يعمل اضطراباً كهربائياً قوياً أشدّ من فتح زرّ الكهرباء وإغلاقه .

وعلى هذا ، فإن القوّة التي تحدث هذه الاضطرابات يجب أن تدخل في الحساب .

وقياساً على ذلك ، فإن بعض محطّات الإذاعة تكون أضعف من غيرها ، فلا تسمعها إذا كنت بعيداً عنها مئات الأميال . وإذا أرادت الدول أن يسمع إذاعتها دول أخرى بعيدة ، فإنها تضع قوّة كهربائية أكبر في محطة إذاعتها .

في غمرة العمل

وراح الفلكيون الراديويون ، منذ أن توفرت لهم المراقب والهوائيات ، يمسحون السماء بقعة بقعة ، فلم يتركوا جرماً سماوياً دون أن يسلّطوا الهوائي عليه ، صغر هذا الجرم أو كبر .

وجدوا أن **الشمس** ، مثلاً ، ترسل موجات تزيد قوتها عند ازدياد البقع الشمسيّة فيها . وفسّروا ذلك بأن النشاط الشمسي يزداد حين ظهور هذه البقع فيولّد تيّارات كهربائية مغناطيسية .

ووجدوا موجات قوية أخرى تأتينا من وسط مجرّتنا حين يسلّطون الهوائيات على مجموعة **برج القوس** (الرامي) — الذي يقع وراءه **مركز المجرّة** — هذا المركز المليء بالسدم الغازية . وفسروا ذلك بأن الغازات في هذه السدم ، تتأيّن (أي تكون الجسيمات فيها تحمل شحنات كهربائية) ، وفي أثناء حركتها تولّد قوة كهرومغناطيسية ، هي التي تصدر الموجات .

وقد وجدوا في الحقيقة مصادر عديدة جداً ، من الكواكب والشمس والمجرات ، وراحوا يسجّلونها ويعطونها أرقاماً في الدليل .

لكن الذي لفت انتباه الفلكيين الراديويين هو صدور هذه الأشعة من مواضع معيّنة في السماء لا يبدو فيها شيء للعين المجرّدة . وهنا أخذوا يطلبون معونة **الفلك البصري** ، وعيّنوا للفلكيين البصريين المواقع التي تأتي منها هذه الأصوات ، وطلبوا المعلومات التي يمكن أن تأتي بها العدسات وأدوات التصوير عن هذه المواقع .

وراح الفلكيون البصريون يشتغلون ، فوجدوا في بعض هذه المواقع مجرّات بعيدة جداً تصدر عنها موجات قوية . وسموها **بالمجرات الراديوية** . إن غازات فلكية متأيّنة تسير فيها بسرعة شديدة فتنتج تيّاراً عنيفاً ، تنشأ منه موجات راديوية تعطينا هذه الأصوات . هذا هو التفسير المنطقي العلمي المقبول . ولكن القوة التي تصلنا بها هذه الموجات هي أكبر من أن تولّدها **حركة الغازات** هذه . فهي تصلنا عن بعد عدة ملايين من السنوات الضوئية .

وعلى ذلك ، فإن التفسير المنطقي المقبول يعود فيه شك كبير ، وتبقى المجرات الراديوية (**شكل ٢**) لغزاً محيّراً حتى الآن .

وقد وجدوا في حالة من الحالات — أو أكثر من حالة — مجرتين في حالة اصطدام . أي إنهما التقتا في أثناء سيرهما في الفضاء ، وأخذت إحداهما تمر من خلال الأخرى . ونحن نعرف أن كل مجرة تحتوي على عدد ضخم من النجوم يقارب مائة ألف مليون نجم . ولكنهما حين تلتقيان وتمر إحداهما في الأخرى ، فإننا لا نتوقع أن يصطدم أي نجم من نجومهما بنجم آخر . لأن **معدل البعد بين كل نجم والذي يجاوره عشر سنوات ضوئية** . وعلى ذلك ، فإنهما تمران من خلال بعضهما دون أن يحدث اصطدام بين نجومهما . فالأصوات الصادرة عن المجرتين المتصادمتين ليست من تصادم النجوم . غير أن كل مجرة تحتوي على سدم كبير من الغاز والغبار الفلكي تنتشر في أنحائها . ولضخامة حجوم هذه السدم ، فإنها تصطدم ببعضها البعض ، وينتج من هذا التصادم موجات كهرومغناطيسية هي التي نسمعها (**شكل ٣**) .

ماذا عن النجوم الراديوية ؟

لقد أعطى الفلكيون البصريون إيضاحات كثيرة عن مصادر الموجات الراديوية التي طلبها منهم الفلكيون الراديويون . لكن كانت هناك مصادر لم يجدوا فيها سوى نجم صغير من نجوم مجرتنا ، فأخبروهم بذلك .

كانت الأصوات التي تأتي من هذه البقع قوية جداً ، وصدورها عن نجم ، أمر غريب .

أجل ، إننا نعرف أن الشمس ، وهي من النجوم العادية في مجرتنا ، تصدر أشعة راديوية ، ولكن هذه الأشعة ضئيلة نسبياً ، ونحن نسمعها لأن الشمس قريبة جداً منا ، فهي لا تبعد أكثر من حوالي ثماني دقائق ضوئية . ولو كانت الشمس بعيدة عنا بالسنوات الضوئية لما سمعنا شيئاً .

أما هذه النجوم التي تبدو بعيدة جداً ، والتي تقرع موجاتها هوائيات المراقب الراديوية بهذه القوة ، فما الذي يجري فيها حتى ترسل لنا هذه الموجات الجبارة ؟ إن التفسير الذي أعطاه الفلكيون البصريون عنها غير مقبول . وهذه النجوم تحتاج إلى بحوث أخرى غير النظر إليها من خلال العدسة أو تصويرها على لوحة فوتوغرافية .

أشباه النجوم

وإزاء هذا الموقف العاتب المستاء من الفلكيين الراديويين ، قام **(مارتن شميدت)(شكل ٤)** من علماء **مرصد بالومار في كاليفورنيا** بالتحليل الطيفي للضوء الآتي من بعض هذه النجوم .

وقد رأى في نتيجة التحليل ما لا يصدّق .

كانت النتيجة التي حصل عليها غريبة جداً . فالطيف قد حاد نحو **الأحمر** حيوداً كبيراً ، بحيث خرج عن **نطاق الطيف** كله ، وأصبح يظهر في نطاق ما تحت الأحمر .

إنها نتيجة تصيب الفلكيين بذهول . ولهذا لم ينشرها رأساً . وإنما أخذ يدرسها مع زملائه العلماء ، ويبحث عن خطأ فيها ، ويعيد **التحليل الطيفي** مرة أخرى . ولكن النتيجة لم تتغيّر . وإزاء هذا كله اضطر إلى نشر نتائجه .

وأظن القارئ لا يزال يذكر ما قلته عن التحليل الطيفي في مجلة **« الفيصل »** في المقال **« الكون المتمدّد وحدوده »** ، والنتائج التي تترتّب على الحيود نحو الأحمر .

فمقدار الحيود يدلّنا على سرعة ابتعاد الجسم عنا من ناحية ، وسرعة

ابتعاده عنا تعطينا فكرة عن بعده عنا ، من الناحية الأخرى . لأن **قانون (هابل)** في المقال الذي تحدثنا عنه الآنف الذكر ، يقول : إن الأجسام البعيدة عنا تزيد سرعة ابتعادها بحسب بعدها ، وكلّما كان الجسم بعيداً كانت سرعته في الابتعاد عنا أكبر .

وقد وجد مارتن شميدت أن ذلك الذي كان يظنه نجماً في مجموعة المثلث ، والمسمى **(٣ ك ٤٨ 3C 48)** بحسب رقمه في دليل كامبريدج ، يبتعد عنا بسرعة (١١٠,٠٠٠) كيلومتر في الثانية ، ومعنى هذا أن البعد الذي يفصل ما بيننا وبينه أربعة آلاف مليون سنة ضوئية (٤٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) . وشبه النجم الموجود في **العذراء** المسمى **(٣ ك ٢٧٣ 3C 273)** يبتعد عنا بسرعة (٤٧,٤٠٠) كيلومتر في الثانية . وهناك أحد هذه الأجرام ، وهو **(٣ ك ٢٩٥ 3C 295)** يبعد عنا ما بين خمسة آلاف وستة آلاف مليون سنة ضوئية .

إذن هذه الأجرام التي كنا نظن أنها نجوم ، ليست نجوماً . فليس هناك نجم ، مهما بلغت ضخامته ، نستطيع أن نراه ، حتى في أقرب أكبر المراقب ، عن هذا البعد . . وقد أطلق عليها اسم «أشباه النجوم» .

بدء مرحلة الضياع

كان مرقب جبل بالومار في أميركا يفتخر على كل مراقب العالم بأنه يستطيع أن يرى مجرات على بعد ألفي مليون سنة ضوئية . فله مرآة قطرها (٢٠٠) مائتا بوصة . والواقع أن معظم الصور الواضحة عن المجرات البعيدة تأتينا منه . وتبدو لنا هذه المجرات البعيدة مجرّد نقطة في اللوحة . ولكننا بالتحليل الطيفي نستطيع أن نعرف سرعة ابتعادها عنا ، ومن ذلك ومن غيره من الدلائل ، نستطيع أن نعرف أبعادها .

بيد أننا نجد أنفسنا الآن أمام شيء آخر لا عهد لنا به . شيء يبدو كالنجم في السماء . وكل النجوم مهما كبرت ، تبدو في جميع المراقب نقطة واحدة مشعّة من الضوء . وهذا الجرم الجديد الصغير نراه بمرقب صغير أيضاً ، حتى لو كان قطر المرقب بوصتين ، وهو أبعد من المجرات البعيدة التي كان يزهو علينا مرقب (بالومار) برؤيتها وحده دون غيره . إذن لم يعد للمرقب الضخم فخر علينا إذا ما امتلكنا مرقباً من بوصتين . فقد أصبحنا بهذا المرقب الصغير نرى مثلما يرى .

وإذا صحّ أن أشباه النجوم واقعة منا على هذا البعد السحيق ، وكنا نرى ضوءها في مرقب صغير ، كان معنى هذا أن الإضاءة الحقيقية الصادرة عنها تعادل مليون شمس مثل شمسنا ، أي تعادل عشرين أو ثلاثين مجرة .

إن شمسنا لا تكاد تظهر للمراقب ـ إن كان هناك مراقب ـ على بعد مليونين من السنوات الضوئية . فكيف على بعد آلاف الملايين من السنين ؟ والمجرات الضخمة التي تحوي آلاف الملايين من النجوم التي تشبه شمسنا ، لا تظهر في مرقب جبل (بالومار) عن هذا البعد إلا نقطة ـ كما سبق أن قلنا .

فما هو شبه المجرة الذي يرسل لنا بهذا الضوء عن هذا البعد السحيق ؟

وبعد ، **هل شبه النجم جرم واحد أو أكثر من جرم ؟ إننا نراه نقطة مضيئة في السماء كما نرى أي نجم آخر . فما حقيقته ؟**

وليت الحقائق المحيّرة تقف بنا عند هذا الحدّ .

فالموجات الراديوية التي تصدر عن شبه النجم تقرع هوائيات مراقبنا بشدّة . فما هي الطاقة أو القوة التي استطاعت أن ترسل هذه الموجات إلى هذه المسافة ؟

إن هذه الطاقة يجب أن تكون أكثر من مليون مليون ضعف من طاقة شمسنا .

مؤتمر دالاس سنة ١٣٨٣هـ (ديسمبر ١٩٦٣م)

أمّا وقد وصلت الأمور إلى هذا الحدّ من ضياع الفلكيين ، فلم يكن أمامهم إلا عقد مؤتمر فلكي عالمي لبحث هذه الألغاز التي تزعزع علمهم . وقد عقد هذا المؤتمر في **دالاس ـ تكساس ـ** في الأيام التي اغتيل فيها **الرئيس كنيدي** وفي المدينة نفسها . وقد غطّت أخبار اغتيال الرئيس الأميركي على أخبار المؤتمر . وقد حضر المؤتمر في دالاس مشاهير رجالات الفلك في العالم من **أميركا وإنجلترا وأستراليا وألمانيا** . وأبدى الكثيرون منهم رأيهم في هذه الظاهرة الغريبة .

كانت النقطة الأساسية التي دار عليها المؤتمر كله هي البحث عن الطاقة الهائلة التي تستطيع أن ترسل لنا بهذه الموجات الضوئية والراديوية ، عن هذا البعد السحيق الذي لا يكاد يستوعبه العقل .

إننا نعرف أنواعاً من الطاقة ، مثل الطاقة الكهربائية والمغناطيسية والجاذبية والضغط... وما إلى ذلك . ولكن هذه كلها لا تفسّر لنا مصدر الطاقة الواردة من أشباه النجوم .

ولكن أكبر طاقة نعرفها هي **الطاقة النووية** . ونحن نعرف الآن أن **الضوء والحرارة** اللذين يصلان إلينا من الشمس يصدران عن هذه الطاقة ، وأن **الانفجارات النووية** التي يجريها الإنسان على الأرض تولّد حرارة تبلغ ملايين الدرجات .

حتى هذه الطاقة ، لا تكفي لتفسير أشباه النجوم . فالتفاعل النووي عملية محسوبة علمياً بدقة ، وتستطيع أن تفسّر لنا طاقة الشمس والنجوم ، ولكنها ليست بهذه القوة لكي توصل إلينا موجات عن هذا البعد السحيق لأشباه النجوم . . ولكن الفلك يعرف طاقة أخرى أكبر من الطاقة النووية .

الانفجارات النجميّة

من المعروف في الفلك أن بعض النجوم إذا بلغت حدّ الشيخوخة فإنها تنفجر . **وانفجار النجم يسمى (نوفا)** . وإذا كان الانفجار على نطاق أوسع وحدث في النجم تحطّم أشدّ ، فإنه يسمى عندئذ **(سوبر نوفا)** أي فوق النوفا . وفي هذه الحالة نجد ضوءاً باهراً يسطع



★ شكل (٣) صورة مجرّتين متصادمتين ★

من موضع الانفجار . وإذا كان النجم في مجرتنا وكان يبعد عنا بضع مئات من السنوات الضوئية فقط، فإننا نرى ضوءه بأعيننا المجرّدة . وقد نرى ضوءه في رابعة النهار . وانفجار (السوبر نوفا) يحدث في مجرتنا عادة مرة أو مرتين كل مائة سنة . وهو يحدث في المجرات الأخرى بنفس المعدّل تقريباً ، ونراه من خلال المراقب البصريّة .

وقد جاءت **العالمة الأميريكية مارجريت بيربدج (شكل ٥)** بهذا الرأي في المؤتمر . فقد قالت « إن الطاقة المتولّدة في أشباه النجوم تنشأ عن انفجارات سوبر نوفا متتالية » . وبناء على ذلك ، فمن رأيها أن شبه النجم هو مجرة ، أي أن فيه عدداً كبيراً من النجوم ، وهذه النجوم قد بلغت بها الشيخوخة حداً جعلها تنفجر انفجارات متتالية هي التي ترسل لنا بهذه الطاقة الجبّارة .

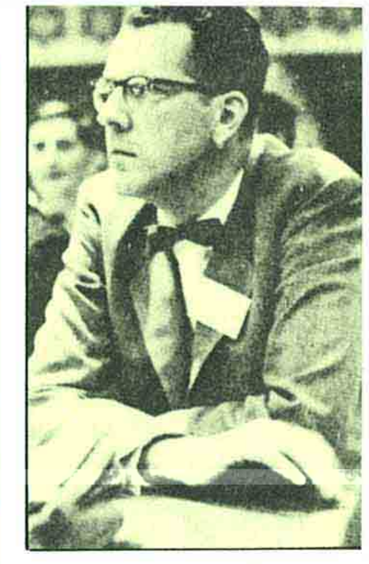
كان رأيها رأياً جريئاً بلا شك . ولكن هذا يستدعي وجود انفجارات متتالية ، وبعضها يصطحب البعض الآخر في الوقت نفسه ، لكي يعطينا هذه الطاقة . وهذا أمر لا عهد للفلك به .

ضغط الجاذبية

لم يقتنع بهذا التفسير **العالم الإنجليزي الشهير (فرد هويل) (شكل ٦)** . وقد يكون هويل أشهر عالم في الفلك في العصر الحديث . فهو بالإضافة إلى ذيوع مؤلفاته الشعبية ، عالم جريء في إبداء رأيه الذي قد يستهجنه بعض العلماء أحياناً . وهو أحد العلماء الذين يقولون بأن المادّة لا تزال تخلق في هذا الكون خلقاً متواصلاً .

لم يقبل هويل بتفسير مارجريت بيربدج ، وجاء برأي جديد . وقد كان رأياً في منتهى الغرابة ، كما نتوقّع منه . فقال بأن سبب هذه الطاقة الجبارة هو **ضغط الجاذبية** . أجل ، ضغط الجاذبية هو التفسير الوحيد لطاقة جبارة من هذا القبيل .

وكلنا نعرف أن الجسم إذا زادت كتلته زادت قوة الجاذبية فيه . فجاذبية الأرض أكبر من جاذبية القمر لأن كتلتها أكبر



★ شكل (٤) مارتن شميدت ★







△ ★ شكل (٦) السير فرد هويل ★

▷ ★ شكل (٥) مارجريت بربدج ★

من كتلته ، وجاذبية الأرض في الوقت نفسه أصغر من جاذبية الشمس لأنها أصغر منها ، وهكذا . . .

وازدياد الجاذبية ليس معناه أن الجسم يجذب الأجسام البعيدة عنه وحسب ، بل إن أجزاءه تجذب بعضها البعض ، وتضغط على بعضها البعض بقوة أكبر ، ومما لا شك فيه أن المادة الموجودة في **مركز الشمس** عليها ضغط أكثر من المادة الموجودة في **مركز الأرض** .

وهكذا نرى أن هويل ، بعد أن وجد فشل العلم في تفسير الطاقة في أشباه النجوم ، يعود بنا القهقرى إلى الضغط .

وفكرة توليد ضغط بفعل الجاذبية ، ونشوء طاقة من هذا الضغط ، جعلت **العالم هلمهولتز** ، في القرن الماضي ، قبل أكثر من مائة عام ، يفسّر الطاقة الشمسية على هذا الأساس . فقال بأن طاقة الشمس تتولّد من ضغط مادة الشمس على بعضها البعض . غير أن هذا التفسير لم يلاق القبول من العلماء . وظلّ أمر الطاقة الشمسية غامضاً حتى أتى **(بيث)** قبل حوالي خمسين عاماً ، وجاء بالتفسير المقبول الذي يقول بأن **مصدر الطاقة الشمسية قائم على أساس التفاعلات النووية ..** ونجد الآن هويل يعود بنا إلى الوراء ، إلى فكرة (هلمهولتز) .

إن وجود جسم كتلته تبلغ مليون مليون إلى مائة مليون ضعف من كتلة الشمس ، يستطيع أن يولّد طاقة مثل تلك التي تصلنا من أشباه النجوم . فهذا الجسم العملاق الهائل في ضخامته ، سيكون ضغط أجزائه على بعضها البعض مريعاً ، بحيث ينفجر إلى الداخل ، ويولّد طاقة أقوى من التفاعلات النووية . وتعبير **(الانفجار إلى الداخل)** أدخله هويل بهذه المناسبة . وهو تعبير لم يكن يعهده العلماء من قبل . ولكن ماذا نقول في هذا الجسم الهائل الذي حين تضغط أجزاؤه على بعضها البعض فتسحق بعضها وتردّها إلى المركز ؟

وبناء على ذلك ، فإن هويل يفترض أن شبه النجم ليس مجرة ، كما قالت العالمة بيربدج ، وإنما هو نجم واحد ليس كمثله في النجوم .

وفي هذه الحالة ، سيكون النجم من الضخامة بحيث يبلغ قطره ، من الطرف إلى الطرف ، عشر سنوات ضوئية . أي أن الضوء ، بسرعته المعروفة (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) يحتاج إلى عشر سنوات ليقطعه من شماله إلى جنوبه ، أو من شرقه إلى غربه ، هذا إذا فرضنا أنه سيكون منتظم الشكل . وسيكون الضغط على أجزائه نتيجة الجاذبية الهائلة ، شديداً جداً ، بحيث لو وجدت **الكرة الأرضية** في داخله لانضغطت وأصبحت بحجم كرة الطاولة ، أي بحجم كرة قطرها بوصتان . وستكون الانفجارات المتتابعة إلى الداخل كفيلة بأن تصدر طاقة تفوق الطاقة النووية وتفسّر لنا سر النور والموجات الراديوية المنبعثة من هذا الجرم .

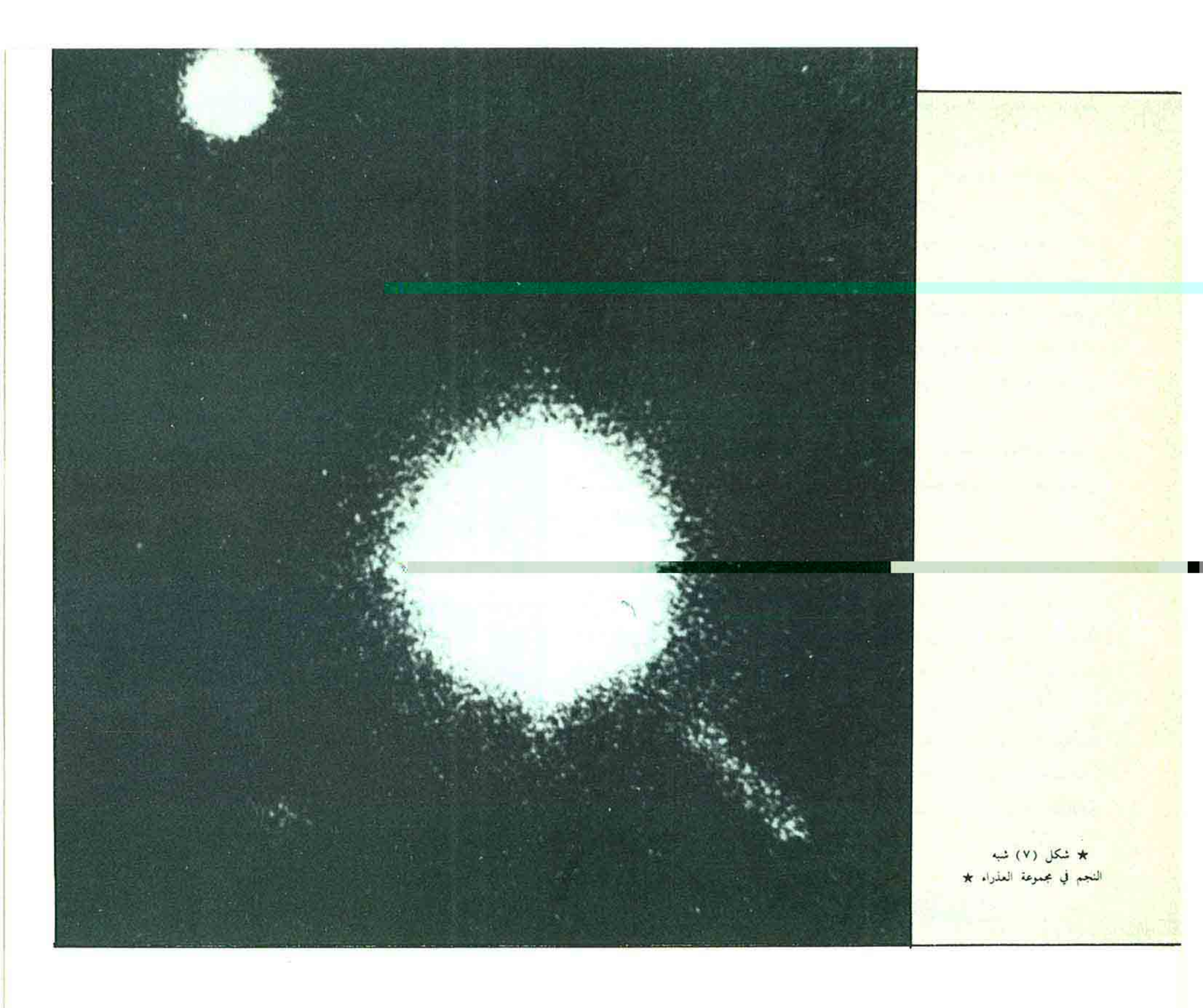
الاعتراضات على نظرية هويل

قامت بالطبع اعتراضات غير قليلة من العلماء حول هذه النظرية . قد لا يكون هناك مجال لشرحها كلّها في هذا المقال . ولكن هويل ، بذكائه وجرأته ، كان يضع للاعتراضات تفسيرات في صالح نظريته .

أحد هذه الاعتراضات ، أن جسماً كبيراً بهذا الحجم لن يفلت منه الضوء . **فالنظرية النسبية تقول إن الضوء مكوّن من فوتونات ، أي إنه مادة** ، وهو يفلت من النجوم ، عادة ، مهما كانت كبيرة لأن سرعته كبيرة جداً ، فنرى النجوم بوساطته . ولكن جسماً بالحجم الذي يصفه هويل ، سيكون فيه من الجاذبية ما تمسك بالضوء ، فلا يخرج منه ، وسيكون الجسم أسود اللون لا نراه .

ولكن هويل يقول : «ليس من الضروري أن يكون الجسم كروياً منتظم الشكل ، وستؤدي الانفجارات إلى الداخل إلى بروز كتل جانبيّة منه ، وهذه الكتل الجانبيّة هي التي تعطينا الضوء» .

وهو بتفسيره هذا يرمينا في حيرة أكبر .. **إذا كان كل هذا الضوء يأتينا من كتلة بسيطة من هذا الجسم ، هي التي تنفجر إلى الجانب ، فكيف يكون الحال لو جاءنا الضوء المنبعث كله ؟**



★ شكل (٧) شبه النجم في مجموعة العذراء ★

ما هي حقيقة أشباه النجوم؟

لا تزال الأبحاث مستمرة منذ عشرين عاماً ، وقد اكتشف المئات منها حتى الآن ، وكلها تعطينا في الحيود نحو الأحمر أرقاماً كبيرة ، ووجد أن بعضها يرسل أشعة سينية .

فهل هي أجرام بعيدة حقاً؟ أم هل يجب أن نشك في مفهومنا عن التحليل الطيفي . وإذا كان مفهومنا عن التحليل الطيفي خطأ كان معنى ذلك أن علم الفلك كله علم خاطئ .

أم هل هي مجرّد نجوم في مجرتنا ، لا تستطيع وسائلنا العلمية أن تفهم عنها شيئاً؟

إن العلماء يتخبّطون في نظريات كثيرة .

ولكن شبه النجم في مجموعة العذراء ، فيه إلى أحد الجوانب امتداد صغير ، كأنه ذنب له ، هو إحدى النفثات التي يعلّلها هويل بأنها نتيجة انفجار إلى الداخل . ومع أن طولها مائة ألف سنة ضوئية ، وفق حساباتنا السابقة ، إلا أنها بشكلها هذا تعطينا علامة تعجّب . **(شكل ٧)** . وعلامة التعجّب هي الحقيقة الوحيدة الأكيدة المعروفة عن أشباه النجوم .

المراجع

١ ــ مقال «مرحلة جديدة في علم الفلك» ، الدكتور عبد الرحيم بدر ، مجلة الأفق الجديد ، سنة ١٣٨٤هـ .

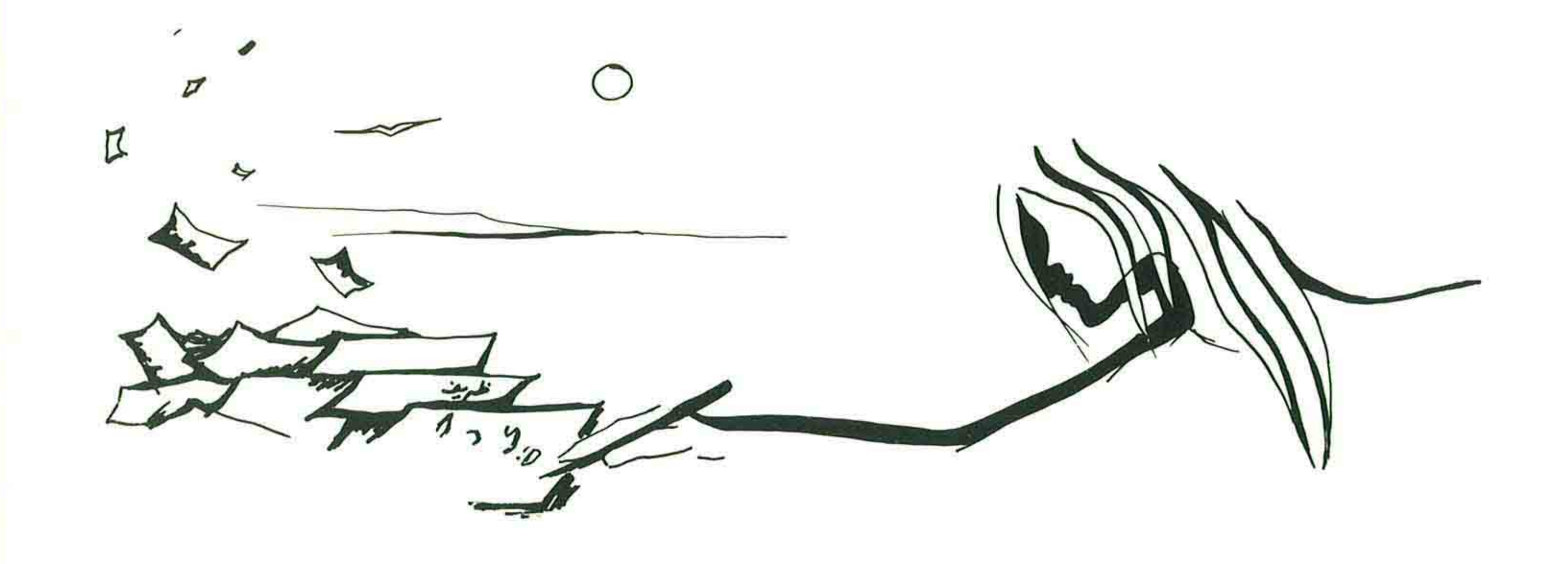
٢ ــ بدائع السماء ، مقدّمة الكتاب ، جيرالد هوكنز ، ترجمة الدكتور عبد الرحيم بدر .

٣ ــ الكون الأحدب : الدكتور عبد الرحيم بدر .

٤ ــ أجنبية : مجلة السماء والمرقب ، أعداد سنة ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٧٨م .

٥ ــ أجنبية : الكون ، إسحاق أسيموف .

٦ ــ أجنبية : حدود علم الفلك ، فرد هويل .



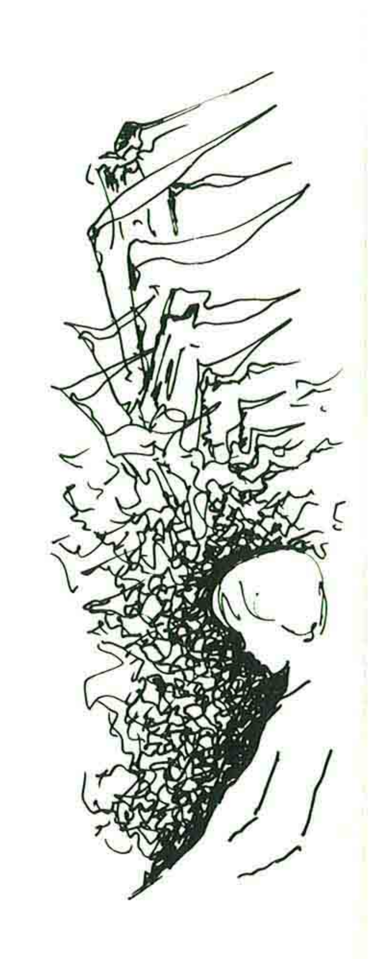
درس في محو الأمية

شعر : عصام الغزالي

هل يأذنُ عفوُ الآباءْ ... أن أقلبَ بعضَ الأشياءْ ؟
ولكم قالت أمي عني : ... (هوَ عفريتٌ في الأبناءْ
لا تسكت عن عبثٍ يدُهُ) ... صَدَقَتْ ، لكن لم تستاءْ ؟!
إني أخرج من تجربتي ... كلِّي نضجٌ لا إعياءْ
عفواً عن فلسفتي فيكم ... هي تيَّارٌ منكم جاءْ
منكم جئنا وتعلَّمْنا ... بأبٍ بَدَأتْ ألِفٌ باءْ
لكن من يمنع ذاكرةً ... أن تنسى بعضَ الأسماءْ ؟!
ولذلك فانتبهوا إني ... لن أثقلكم بالأعباءْ
سأغير ترتيب الدنيا ... لكن ـ عفواً ـ في استحياءْ
أتمنى ألا يُغضبكم ... أن أشرحَ درسَ الإملاءْ

* * *

في الدنيا جوهرةٌ ضاعت ... منا ، وليبحث من شاءْ
هي أهونُ موجودٍ ، بل أثـ ... ـمنُ مفقودٍ ، هي كالماءْ
لن نسأل عمن ضيَّعها ... ونُعالجَ بالتُّهم الداءْ
فعواملُها وعوالِمُها ... متفرقةٌ في الأنحاءْ
هيَ في عيني ، هيَ في قلبي ... هيَ لؤلؤةٌ في الأحشاءْ
لكن فلنكتب أحرُفَها ... ولْنجمع ـ قبلُ ـ الأجزاءْ
أبتاهُ أكتب : ألِفٌ .. لامُ .. ... حاءٌ .. راءٌ .. ياءٌ .. تاءْ



مؤسسة الهيضل الوكيل الشرعي لزراعة:

البساط الطبيعي الأخضر في المملكة العربية السعودية والشرق الأوسط

ابرمت مؤسسة الهيضل للتجارة والمقاولات اتفاقا مع شركة تايوان لتصنيع الحشائش الخضراء يقضي بأن تكون مؤسسة الهيضل هي الوكيل الشرعي للشركة المذكورة بالنسبة لزراعة بساط الحشائش الخضراء فى المملكة ومنطقة الشرق الاوسط .

وقد اقيم احتفال بهذه المناسبة فى فندق قصر الرياض حضره مندوب من الشركة الصانعة .

وجدير بالذكر ان هذا الاختراع يعتبر انجاز كبير في مجال التصنيع في الزراعة المتطورة .. وهو حدث كبير تشهده المملكة لاول مرة .. بعد ان انتشر استعماله فى كل من الولايات المتحدة الامريكية – اليابان – كوريا كندا الخ .. وذلك رغم حداثة الاختراع .. الا انه قد اخضع لتجارب قاسية في مناطق عديدة من العالم اثبت فيها نجاحه وتفوقه على الزراعة الطبيعية العادية . هذا الاختراع الحديث عبارة عن بساط من الحشائش الطبيعية الخضراء تمت صناعته بطريقة علمية دقيقة وعناية فائقة بحيث تم التحكم في جميع عناصره وحيث ان طريقة تصنيعه واعداده تجعله اكثر قدرة على النمو والبقاء واكثر خضرة من الحشائش الطبيعية العادية غير المصنعة .

مايتميز به البساط الاخضر

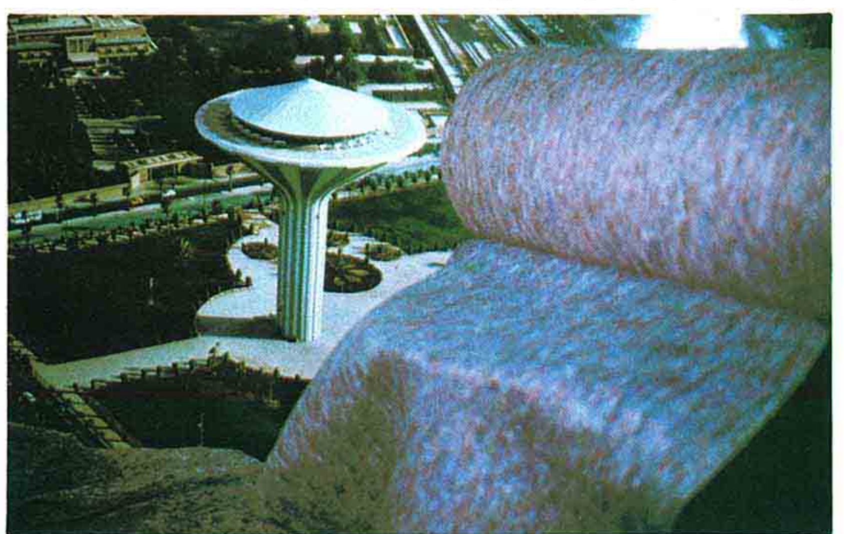
ان من ابرز مميزات بساط الحشائش الطبيعية الخضراء – كما يقول الشيخ سعود الهيضل الرئيس العام لمؤسسة الهيضل – انه يتلائم مع كل الاجواء والظروف الطبيعية .. كما انه يتميز بسرعة النمو وسهولته .. وبحيث لاياخذ زمنا طويلا فى نموه ولا يأخذ جهدا كبيرا فى غرسه ورعايته وصيانته .. كما انه يمتاز بالجودة وقلة التكلفة .. وهو فى خلال عشرة ايام فقط يبدأ فى النمو .. وخلال شهر يصل طوله الى اربع سنتمترات فيقص بمقدار ٢ سنتمتر . لان القص يزيده خضرة وقوة وكثافة ..

ومن ميزاته الهامة ايضا انه لايحتاج الى مياه كثيرة فى سقايته .. حيث يكتفى برشه بماء بسيط . ويوضع على تربة لايزيد ارتفاعها عن ٢ مليمتر ..

وبساط الحشائش الخضراء يتميز بنظافته بحيث لاتتسخ المنطقة التى يوضع عليها بل يزيدها رونقا وجمالا ..

ومن خواص هذا البساط انه يحفظ الماء فى داخله اطول مدة ممكنة كما انه يقلل من درجة حرارة الجو ويجعله لطيفا وصحيا ..

ويستخدم هذا البساط سواء فى مساحات صغيرة أو مساحات واسعة كالحدائق العامة أو الخاصة أو الملاعب الرياضية والميادين العامة أو المنازل والفلل ويمكن غرسه حتى على الجبال أو الاماكن الرملية وشواطىء الانهار والطرق وفناء المدارس والمطارات والمواقف والسدود وخلاف ذلك ..



البساط الذي يتحول الى خضرة بعد زراعته .

نجاحه فى المملكة

اكد سعادة الرئيس العام لمؤسسة الهيضل الوكيل الشرعى لهذا الاختراع فى المملكة والشرق الاوسط اكد نجاح التجارب التى اجريت لبساط الحشائش الطبيعية فى المملكة ومنطقة الخليج .. حيث فى نطاق منطقة الخليج تمت تجربته فى دولة الامارات العربية المتحدة واعطت نتائج زراعته نجاحا كبيرا مما شجع على تجربته فى المملكة .

ويشير الشيخ سعود الهيضل الى التجارب الناجحة التى اجريت لزراعة بساط الحشائش الخضراء فى عدة مناطق من مدينة الرياض وذلك فى نطاق حرص المؤسسة على اهمية نجاح زراعته على تراب المملكة .

وجدير بالاشارة ان هذه الحشائش تستطيع ان تتحمل درجة حرارة من ٣٥ الى ٤٥ درجة مئوية .. لذلك فهى تلائم الملاعب الرياضية فى بلادنا وكذا الميادين العامة والحدائق والقصور وغيرها من المناطق .

ومما تتميز به هذه الحشائش انها تعيش فترة زمنية ادناها عشر سنوات مع المحافظة عليها بطبيعة الحال .. ثم انها لاتحتاج الى ايد عاملة كثيرة مثل الزراعة العادية .. حيث ان هذه الحشائش قد صنعت بطريقة تجعلها من اسهل ما يمكن زراعته في عالم النبات ..

إصدار القرارات

تُفاجئك جريدة الصباح بأنهم عينوك في منصب كبير ، أو بأنهم استغنوا عن خدماتك ، أو تُفاجئك مكالمة تليفونية بأنهم اختاروك عضواً في مؤتمر ، أو رئيساً للجنة .. أو تُفاجأ بمقال أو قصة لك تُنشر في مجلة أو جريدة كنت قد أرسلتها ونسيتها منذ أكثر من عام ، أو تُفاجأ بهجوم عنيف ضدك على شيء مضى عليه عشرون عاماً .. إلى آخر هذه الأحداث والقرارات المفاجئة التي تخصك ، وتعجب لها ، ولا تستطيع أن تفعل بشأنها شيئاً .

بقلم :
حافظ احمد أمين

وتحاول أن تعرف مصدر الفعل أو القرار ، لكي تستبين أسبابه ، أو لتحاول أن تُقنع من أصدره برأيك فيه ، فلا تنجح في العثور على شيء مما تبحث عنه ، فتضاعف من جهودك وعنادك والحاحك ، فيذهب كل هذا هباءً ، إلى أن تيأس وتستسلم لما يحدث لك ، أو تصل إلى الحقيقة .. حقيقة تكتشفها بنفسك بعد طول بحث ومعاناة ، أو يساعدك على اكتشافها بعض العالمين ببواطن الأمور .

أخيراً تعلم أن الذي يصدر القرار ليس فرداً ، مهما بلغ نفوذه .. وأن رئيس العمل ، بل ورئيس رئيسه لا يملك أي منهما القوة لإصدار القرارات ، كما كنت تعتقد .

كذلك ستعلم أن مصدر القرار ليس جماعة ، مهما بلغ تأثيرها .. وأن مجلس الإدارة أو اللجنة النقابية أو غيرهما من الجماعات ، لا تملك السلطة الحقيقية لإصدار القرارات .

وبعد تفكير شاق عميق ، ومعاناة عنيفة أليمة ، تعرف أن هناك شيئاً اسمه « **نظام** » ، وأن هذا النظام قد تعاون على وضعه أفراد ، وجماعات ومناخ وقوانين ولوائح وبيانات وآلات حاسبة وعقول إلكترونية . . . وغير ذلك ، وأن هذا النظام هو أصل الأفعال الكبيرة ومصدر القرارات ، وأنك لا تستطيع مناقشته كما يتناقش الناس ، وأن التعامل معه يحتاج إلى مهارات من نوع خاص دقيق .

والحق أن الجهل بوجود (النظام) أمر محطم للأعصاب ، مضيع للجهود ، ومفسد لكثير من الأعمال ، لأن الجهل بوجوده يجعلك تتعامل مع بعض الأفراد والجماعات بطريقة خاطئة ، كما يجعلك تتوقع منهم أفعالا لا يَقْدرون على القيام بها .

ولكن العلم بوجود النظام ، ثم عدم إدراك حجمه وأبعاده وقوانينه ، أمر أخطر وأسوأ من الجهل بوجوده ، ذلك لأن عدم إدراك حجم ونوع النظام يؤدي بالإنسان إلى الغرق في مشاعر اليأس والاستسلام ، والإحساس بأن (لا شيء أصبح يجدي) ، وهو إحساس قاتل للإنسان وللمجتمع ، أو يؤدي بالإنسان إلى الغرق في الأوهام وتخيلات تُفقده الصواب والمنطق السليم .

لهذا فإن إدراك مدى قوة (النظام) في عصرنا الحديث ، يوفر كثيراً من الجهود والطاقة ، ويصحح كثيراً من المعاملات والاتصالات ، كما أن إدراك ماهية (النظام) وقواعده يحافظ على سلامة نفس الإنسان وسلامة منطقه ، ويحميه من كثير من أحاسيس الحزن واليأس واللامبالاة ، وكثير من الأوهام والخزعبلات .

النظام .. والتكنولوجيا

أما السبب في تزايد قوة (النظام) في عصرنا الحديث ــ على حساب كل من قوة الفرد وقوة الجماعة ــ فهو **التطور التكنولوجي** السريع ، وتزايد الزحام والتشابك بين الناس ، مما جعل إصدار القرار أمراً بالغ الصعوبة ، كما جعل القرار نفسه أمراً بالغ الخطورة .

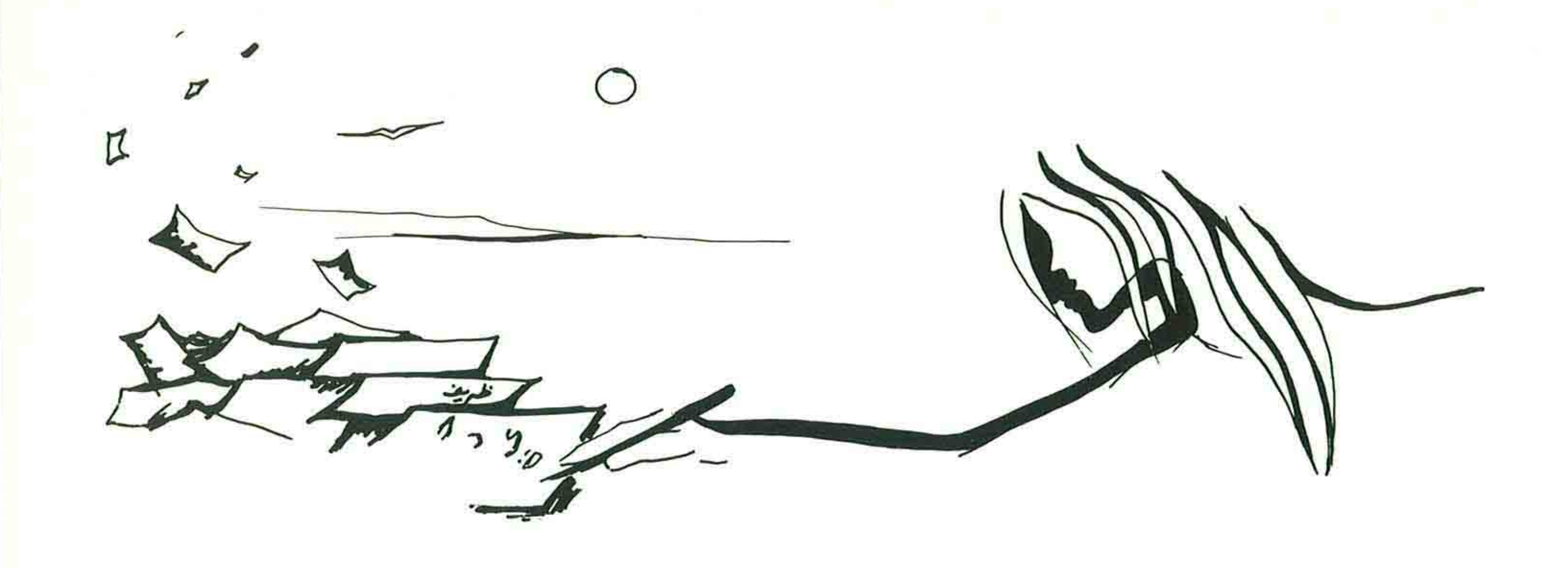
من هو الفرد ، بل من هي الجماعة ، التي تستطيع بمفردها ــ أو التي يسمح لها ــ أن تقرر بأن تدخل البلد في حرب مع بلد آخر ، أو بأن ترفع سعر رغيف الخبز ، أو بأن تقطع الكهرباء عن مدينة لتغيير أحد الكابلات الرئيسية ، أو بأن تسمح للإذاعة أو للجرائد إذاعة أو نشر أي كلام يعبِّر عن رأي صاحبه ؟

لقد جاءت التكنولوجيا الحديثة لتجعل إصدار القرار أمراً يحتاج إلى خبرة مئات المتخصصين ، والآلاف من جامعي البيانات ومصنفي المعلومات واستخراج النتائج ... كذلك جاء نمط الحياة الحديثة ليجعل من القرار أمراً ذا أثر عنيف واسع على الملايين من البشر .

شروط كفاءة النظام

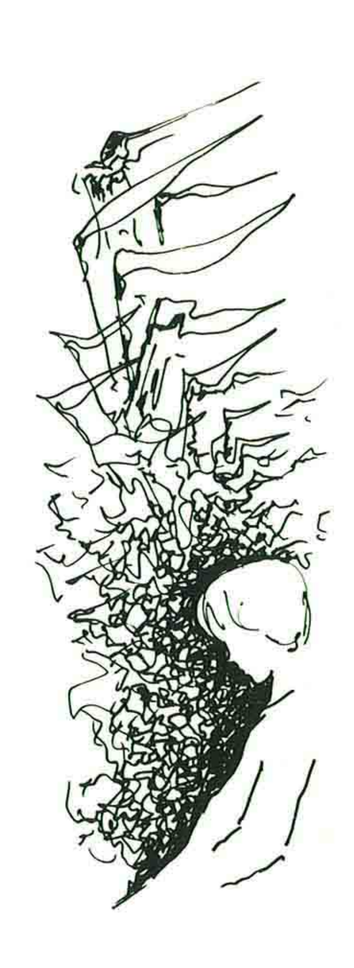
فإذا كان (**النظام**) في عصرنا الحديث قد جاء ليحل محل (**الفرد**) أو (**الجماعة**) في إصدار القرار ، فذلك لأن (النظام) أكفأ من الفرد ومن الجماعة في اختيار القرار السليم ... فما الشروط إذن ، الموجودة في النظام ، والتي تضمن هذه الكفاءة ؟

● **الشرط الأول :** ــ في رأينا ــ هو أن يدرك أعضاء النظام بأن نظامهم إنما هو جزء من نظام أشمل ، وأنه يشتمل على أنظمة فرعية ، وأنه يعمل بتناسق وتكامل مع كل الأنظمة من حوله ، يتأثر بها كما يؤثر



درس في محو الأمية

شعر: عصام الغزالي



هل يأذنُ عفوُ الآباءْ ... أن أقلبَ بعضَ الأشياءْ؟
ولكم قالت أمي عني: ... (هوَ عفريتٌ في الأبناءْ
لا تسكت عن عبثٍ يدُهُ) ... صَدَقَتْ، لكن لم تستاءْ؟!
إني أخرج من تجربتي ... كلِّي نضجٌ لا إعياءْ
عفواً عن فلسفتي فيكم ... هي تيَّارٌ منكم جاءْ
منكم جئنا وتعلَّمْنا ... بأبٍ بَدأتْ ألِفٌ باءْ
لكن من يمنع ذاكرةً ... أن تنسى بعضَ الأسماءْ؟!
ولذلك فانتبهوا إني ... لن أثقلكم بالأعباءْ
سأغير ترتيب الدنيا ... لكن ـ عفواً ـ في استحياءْ
أتمنى ألا يُغضبكم ... أن أشرحَ درسَ الإملاءْ

* * *

في الدنيا جوهرةٌ ضاعت ... منا، وليبحث من شاءْ
هي أهونُ موجودٍ، بل أثـ ... ـمنُ مفقودٍ، هي كالماءْ
لن نسأل عمن ضيَّعها ... ونُعالجَ بالتُّهم الداءْ
فعواملِها وعوالمُها ... متفرقةٌ في الأنحاءْ
هيَ في عيني، هيَ في قلبي ... هيَ لؤلؤةٌ في الأحشاءْ
لكن فلنكتب أحرُفَها ... ولْنجمع ـ قبلُ ـ الأجزاءْ
أبتاهُ أكتب: ألِفٌ.. لامٌ.. ... حاءٌ.. راءٌ.. ياءٌ.. تاءْ

بول بوريه

Paul Buhré

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥م .







المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار وشارع الأشراف ص.ب : ٣٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية

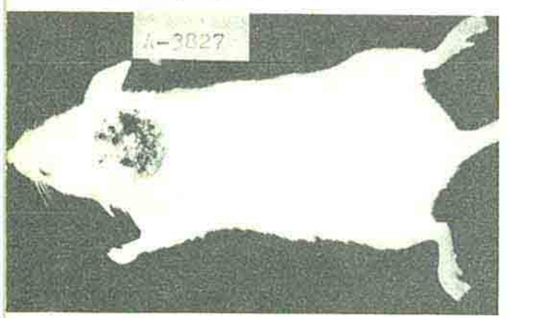
الخبر : شارع ٢٨ مطلق سنتر

المدينة : شارع السنبلية وشارع الملك عبدالعزيز

إنها تصيب الناس بأشد الأمراض فتكا

★ صورة لمنطقة المصانع ★ ▲

★ تجارب على الحيوانات ★ ▼



بقلم : د . عبد اللطيف أبو السعود

قال الحكيم بوجو : « نحن أعداء أنفسنا » . ولعل هذه الحكمة لم تنطبق في حالة من الحالات كما تنطبق على حالة أخطار البيئة .

فمنذ الحرب العالمية الثانية ، غيرت الثورة الكيميائية حياتنا تغييراً جذرياً .

لقد قدمت لنا هذه الثورة الكيميائية من وسائل الراحة ما نعتبره قضية مسلماً بها ، تلك الوسائل التي تبدأ بأنسجة « البولي استر » ، وتنتهي بالمحاصيل الخالية من الأوبئة .

ولكن الإنسان في اندفاعه لاحتضان هذا **المجتمع التركيبي** ، نجده يصب آلاف الكيماويات الجديدة في مكان عمله ، وفي الهواء ، وفي الماء ، وفي التربة ، بدون اختبار آثار هذه الكيماويات على الصحة ؛ وبدون تفهم أثرها النهائي على البيئة . ذلك أن حوالي ألفين من ثلاثين ألف مادة كيميائية متاحة لنا على نطاق تجاري ، يشتبه في كونها من « الكارسينوجينات » التي تسبب السرطان . ولكن مئات قليلة من تلك المواد هي التي اختبرت بما فيه الكفاية ، وذلك لتبين ما إذا كانت من « الكارسينوجينات » . أضف إلى ذلك أن الصناعة تبدأ كل عشرين دقيقة في استخدام مادة كيميائية جديدة ، يحتمل أن تكون ذات أخطار على الصحة والبيئة .

وفي خلال العقد الماضي ، أدركنا تماماً ثمن التقدم ، ولكن بعد آلام قاسية مبرحة . **فنحن نعلم اليوم جيداً ، أن آثار بعض المواد تتضخم بيولوجياً عندما يلق بها في البيئة . فمبيدات الأوبئة مثل مبيد (د . د . ت) تزداد تركيزاً خلال سلسلة الغذاء ، بحيث تشكل خطراً جسيماً على الحيوانات الأعلى ، وعلى الكائنات البشرية** . وعندما يصب الزئبق غير العضوي ، كمخلف صناعي ، في البحيرات والأنهار ، فإنه يتحول إلى صورة عضوية ، أكثر سمية ، وذلك عند دخوله في سلسلة الغذاء .

يمكن تجنب أغلبية السرطانات البشرية

أضف إلى ذلك ما اكتشفناه من أن **القتلة الرئيسيين للبشر ، وهم السرطان ، وأمراض الأوعية الدموية للقلب ، وأمراض الرئة ، على اتصال وثيق بالتعرضات المهنية والبيئية .**

وبالرغم من التقدم الحثيث في العلوم الطبية ، فإن معدلات الوفيات بسبب السرطان في زيادة مستمرة . ولعله ليس من قبيل الصدف أن نجد أنه أعلى ما يكون في مناطق التصنيع الثقيل . وتقدر هيئة الصحة العالمية أنه ما بين ستين في المائة وتسعين في المائة من أنواع السرطانات لها أصول بيئية ، وأن عشرة في المائة على الأقل يسببها التعرض أثناء العمل .

وهذا يعني أن أغلبية كبيرة من السرطانات البيئية يمكن منعها ، ذلك إذا كنا راغبين في اتخاذ القرارات الصعبة اللازمة للتحكم في مسببات السرطان في البيئة .

أخطار « الاسبستوس »

ومن المؤكد أنه ليست جميع مسببات الأخطار البيئية جديدة ، أو نشأت بسبب التصنيع ، كما أن مسببات الأخطار هذه ليست بالضرورة كيماويات . فالأتربة ، والمعادن ، والعوامل الفيزيائية كالإشعاع ، يمكن أن تسبب أمراضاً مزمنة . ولقد تبين أن واحداً من أخطر مسببات الأخطار المهنية هو « الاسبستوس » ، وهو واحد من أكثر المواد انتشاراً في البيئة العامة . ولقد دلت الاختبارات الطبية التي أجريت على جثث الموتى لمعرفة أسباب الوفاة ، على أن ألياف « الاسبستوس » توجد في رئات جميع سكان المدن تقريباً . .

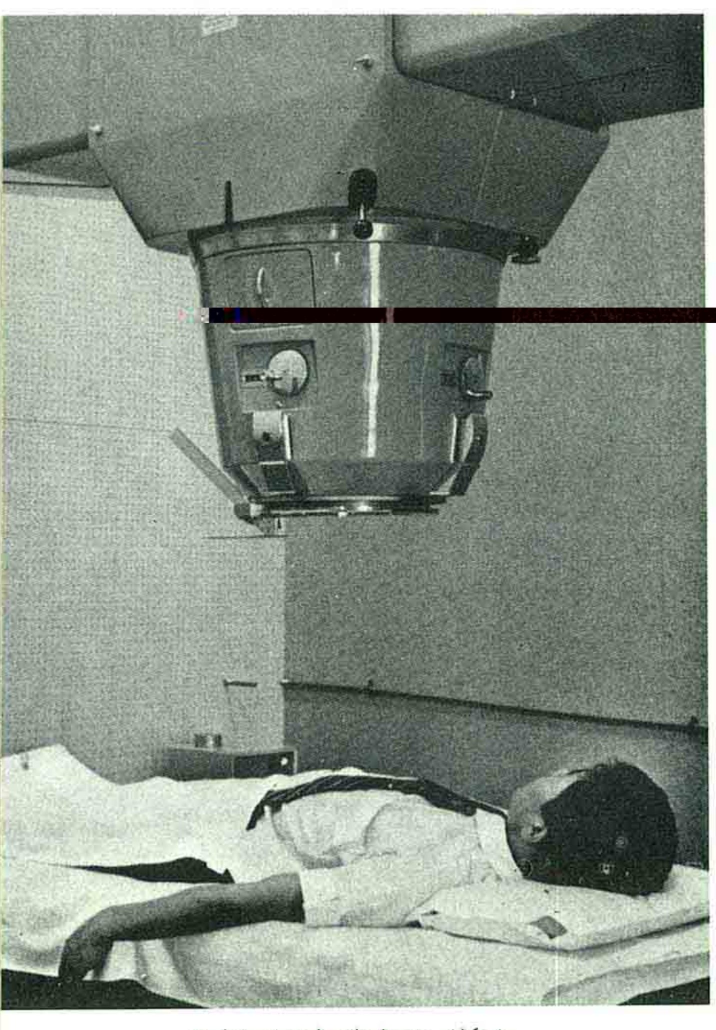
أخطار الرصاص

منذ ألفي عام ، اعتبر الناس عنصر الرصاص سماً . وما زال الرصاص يشكل خطراً يهدد صحة العاملين في مصانع صهر الرصاص ، وفي مصانع البطاريات الحامضية ، التي يدخل الرصاص في صناعة ألواحها ، كما أنه يهدد صحة سكان المدن الذين يستنشقون الهواء الملوث ، وصحة الأطفال الصغار الذين يأكلون قشور الطلاء الذي يحتوي على الرصاص من حوائط البيوت ، في المناطق الفقيرة .

ومنذ عهد قريب ، برز هذا العنصر القديم كموضوع للجدل الاجتماعي والقانوني في مكان العمل ، **ولأن الجميع يعلمون أن عنصر الرصاص يتلف الجنين النامي في رحم أمه ، قررت عدة شركات كبيرة أن تبعد العاملات الوالدات عن الأعمال التي يتعرضن فيها للرصاص ، وذلك بدلا من تنظيف المصانع . وهذا الاتجاه يتسم بقصر النظر ، بالإضافة إلى أن فيه تمييزاً للبعض على البعض ، كما أنه يتجاهل الدلائل التي تؤكد أن عنصر الرصاص يمكن أن يتلف الجهاز التناسلي للرجل .**

الإشعاعات الذرية

وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من بداية العصر النووي ، فما زلنا لا نعلم إلا القليل عن تأثيرات الإشعاع الكهربي المغناطيسي منخفض المستوى .



★ تكاليف علاج السرطان بالمستشفيات باهظة ★

فقد أجريت مؤخراً دراسة في ترسانة البحرية في مدينة **بورتسموث** في **نيوهامبشاير** ، دلت على أن عمال الترسانة الذين يقومون بإصلاح الغواصات النووية ، يقاسون من معدلات مرتفعة من « الليوكيميا » . لذلك ، بدأ المعهد القومي الأميركي للصحة والأمن المهني ، في دراسة التقارير الصحية عن هؤلاء العمال ، وشهادات الوفاة ، ابتداء من الخمسينات ، لمعرفة أبعاد هذه المشكلة .

العلاقة بين المهنة والمرض

ما من شك في أن العمال الذين ينتجون المواد المسببة للأخطار ، أو يتعرضون لها ، هم أول الناس وأسوأهم تعرضاً لهذه المواد . ولهذا فقد أصبح هؤلاء العمال بمثابة حيوانات التجارب للتكنولوجيا الحديثة ، ويموت منهم مائة ألف على الأقل كل عام بسبب الأمراض المهنية .

وفي بعض الأحيان نجد أن العلاقة بين المهنة والمرض واضحة جلية . وعلى سبيل المثال ، نجد أن نوع سرطان الكبد النادر المعروف باسم « انجيوساركوما » له علاقة مباشرة بمركب « كلوريد الفينيل » . أما « الميزو ثليوما » ، وهو سرطان الغشاء المغلف للرئة ، فسببه التعرض



★ في كل عشرين دقيقة ، تنتج معامل الأبحاث مادة كيميائية جديدة ، يحتمل أن تكون ذات أخطار على الصحة والبيئة ★

« للاسبستوس » . كما أدين مركب « البنزيدين » بصفة قاطعة في حالات سرطان المثانة . ولا يستطيع أحد أن ينكر مسؤولية تراب الفحم وتراب القطن عن أمراض الرئة السوداء والرئة البنية .

وغالباً ما نجد أن العلاقة بين السبب والتأثير تغلفها غمامة من التأثير المشترك الناتج عن التعرض المزدوج . إذ تستطيع مادة معينة أن تضاعف التأثير السرطاني ، أو التأثيرات السامة الأخرى ، لمادة ثانية . مثال ذلك أن عمال « الاسبستوس » الذين يدخنون ، تجدهم معرضين للإصابة بسرطان الرئة ، وبسرطان « الإيزوفاجوس » . ثمانية مرات أكثر من زملائهم الذين لا يدخنون .

حساب عدد الضحايا

وكثير من العاملين في مجالات الصحة المهنية والصحة البيئية ، يخشون أن معلوماتنا الحالية في هذا المجال لا تمثل سوى قمة جبل ثلجي ضخم ، يختفي معظمه تحت الماء . ذلك أن نتائج التعرض لبعض المواد ، وخاصة « الكارسينوجينات » ، لا تبدو واضحة إلا بعد مرور خمسة عشر عاماً ، أو أكثر .

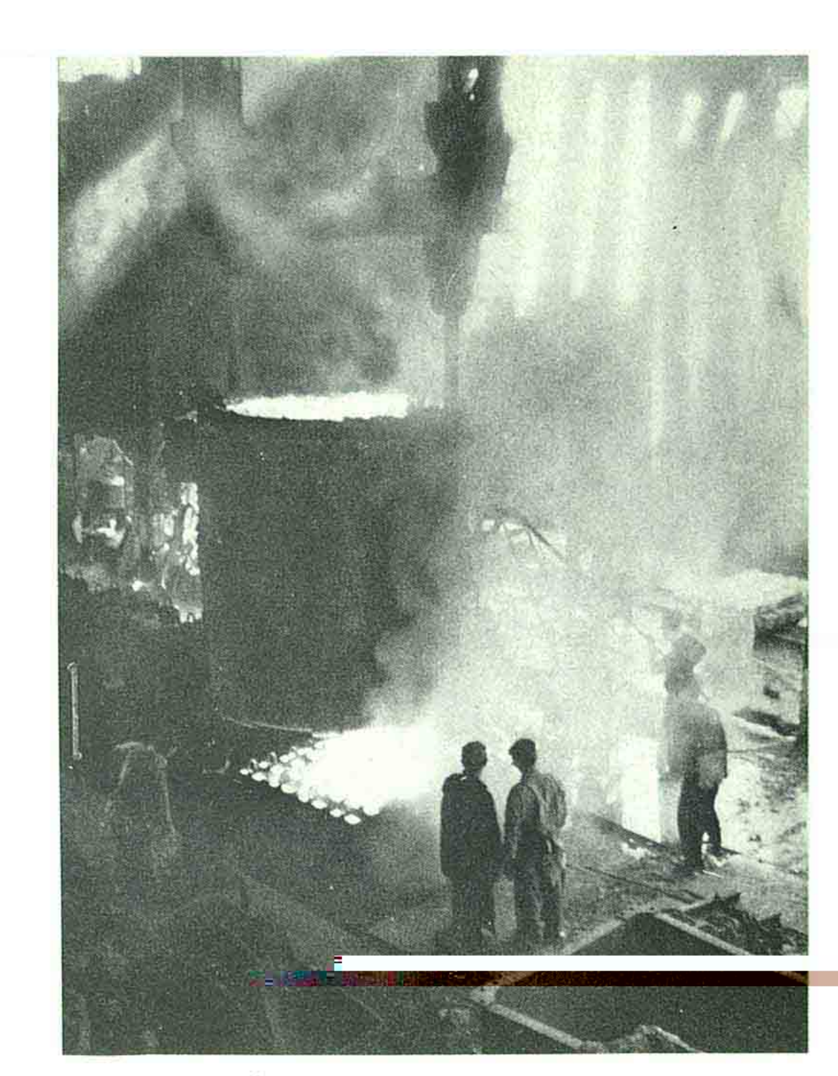
ومن المحزن أن نعلم أن معظم ما نعلمه اليوم عن الأمراض المهنية ، لم نحصل عليه إلا من حساب عدد الضحايا .

كذلك ، نجد أن إدارة الأمان والصحة المهنية كثيراً ما تخطر عن مسبب جديد للأخطار ، وذلك من خلال معاناة مجموعة معينة من العمال الذين يتعاملون مع مادة معينة .

مثال ذلك أن التجارب التي أجريت على الحيوانات قد بينت بجلاء أن « كلوريد الفينيل » مركب ضار . ولكن الأمر احتاج إلى إعلان درامي صدر في عام ١٩٧٤ م ، عن العمال الذين يموتون من سرطان الكبد . وكان من الضروري صدور هذا الإعلان حتى نقتنع بالآثار المدمرة لهذا المركب .

وشاهدنا مؤخراً تراجيديات العمال الذين تسمموا بمبيدات الأوبئة المسماة « كيبون » ، « لبتوفوس » ، د . ب . س . ب .

وفي خلال العام الماضي ، تبين أن حافزاً كيميائياً يستخدم في صناعة منتجات رغوة « البولي يوريتان » ، قد سبب مشاكل فسيولوجية ونويرولوجية ، بين العمال ، في ولايتي **ماريلاند ، ومساشوستس** ، الأمريكيتين .



★ يتعرض العمال في المصانع لغازات وأبخرة تسبب لهم أمراضاً خطيرة ★

تكاليف باهظة وأضرار عظيمة

ويلاحظ أن الكثير مما كتب عن الأمراض المهنية قد تركز على السرطان، الذي يقتل أكثر من ألف أميريكي كل يوم، والذي يكلف الولايات المتحدة وحدها خمسة عشر بليوناً من الدولارات، موزعة بين تكاليف العلاج بالمستشفيات، والنقص في إنتاجية العمال.

أما ما يكلفه ذلك الداء من معاناة بشرية، فهذا أمر لا يمكن تقديره.

ولكن التعرض المهني يسبب صوراً أخرى من الضرر الذي لا يمكن علاجه. ولعل الاختلال العصبي هو واحد من أنواع العجز التي لم تقدر حق قدرها، ذلك أنه قد تبين أن ثلاثة من أربعة مواد كيميائية تعد من أهم مسببات الأضرار المكتشفة حديثاً (وهي «الكيبون»، و«اللبتوفوس»، والعامل الحافز دايمثيل أمينو بروبيو نيتريل) تؤثر في الجهاز العصبي، مسببة ضعف العضلات ونقص التنسيق بينها، والتخدير.

ويقاسي كثير من العمال من أمراض الرئة، التي تسبب العجز باضطراد، والتي كثيراً ما تؤدي إلى الوفاة. هذه الأمراض يسببها «الاسبستوس»، و«السيليكا»، و«البريليوم»، وأتربة القطن والفحم.

إن العامل المتقاعد الذي كان يعمل في مصنع للقطن في كارولينا الجنوبية، والذي أصبحت رئتاه من الضعف بحيث لا يمكنه السير إلى ناصية المبنى، لا يمكن اعتباره إلا إحصائية مهنية، ولا يختلف في ذلك عن إحدى ضحايا السرطان المهني.

أمراض الحساسية

وبالرغم من أن الحساسية الرئوية نادراً ما تسبب الوفاة، إلا أنها تؤثر في حياة كثير من العمال تأثيراً عميقاً. وعندما تصبح أنسجة الرئة حساسة لمادة كيماوية معينة، مثل «داي أيزو سيانات التولوين»، فإن أقل مستوى من مستويات التعرض لهذه المادة، يمكن أن يؤدي إلى رد فعل في الجهاز التنفسي.

ويلاحظ أن هذه الحساسية يمكن أن تنتقل إلى مواد أخرى، بحيث تعوق العامل عن ممارسة عدد من أنشطة أوقات الفراغ، التي تدخل فيها البويات، والمذيبات، والكيماويات الأخرى.

كما أن حساسية الجلد مصدر من مصادر الضيق المزمن لآلاف العمال الذين يعملون في المواد الأكالة أو المهيجة. وفي الواقع، نجد أن التهاب البشرة هو أكثر الأمراض انتشاراً.

وبالرغم من أن الكثيرين يعتبرونه مضايقة صغيرة، إلا أن متاعب البشرة كثيراً ما تكون العامل الرئيسي في وقت العمل الضائع. أضف إلى ذلك أن هناك من الشواهد على أن الامتصاص عن طريق البشرة هو طريق رئيسي للتعرض لكثير من المواد السامة. ويشتبه الكثيرون في أن العقم الذي يسببه مركب (د. ب. س. ب) المدخن، إنما ينتج عن طريق الامتصاص من خلال البشرة والرئتين.

آثار على العائلة والأصدقاء

ولسوء الحظ، نجد أن أمراض المهنة لا سوقف عند أبواب المصنع. ذلك أن الزوجات والأبناء والأقارب الآخرين لعمال «الاسبستوس» يموتون بسبب السرطان، نتيجة للتعرض «للاسبستوس» الذي يوجد في ملابس العمل.

كذلك نجد أن أبناء العمال الذين يعملون في مصانع الرصاص، قد ارتفعت نسبة الرصاص في دمائهم، نتيجة للتعرض للأتربة العالقة بثياب آبائهم، وبأحذيتهم.

أما العاملون في مصنع «الكيبون» في ولاية **فرجينيا** الأميريكية، فإنهم لم يمرضوا وحدهم، ولكن المرض أصاب زوجاتهم وأبناءهم كذلك.

كما لوحظ أن القاطنين حول مصنع لصهر النحاس يتعرضون لسرطان

الرئة بأعداد كبيرة ، ولعل ذلك يرجع إلى « الزرنيخ » الذي يوجد في هواء هذه المناطق .

وعلى الأجيال المقبلة

وتمتد اليد الطويلة للأمراض المهنية لتصل إلى الأجيال المقبلة . ويقدر المعهد القومي الأميركي للصحة والأمان المهني أنه **من بين ستة عشر مليوناً من السيدات العاملات في سن الحمل ، فإن مليوناً منهن معرضات لكيماويات يمكن أن تضر بالجنين الذي لم يولد بعد .**

ولكن الأخطار التناسلية ليست قاصرة على النساء وحدهن . فإن مواد مثل الرصاص ، و « الكيبون » ، ومركب (د . ب . س . ب) يمكن أن تسبب العقم للرجال ، كما يمكن أن تفقدهم القدرة الجنسية . فكلا الجنسين معرضان للأضرار الوراثية التي يمكن أن تظهر على صورة مواليد مشوهين فيما بعد .

فهناك من الدلائل ما يشير إلى أن زوجات العمال المعرضين للرصاص ، و « كلوريد الفينيل » ، والغازات المخدرة التي تستخدم في غرف العمليات بالمستشفيات ، يفقدن أجنتهن ، أو يولد لهن أطفال مشوهون بنسبة تزيد عن المتوسط .

منع الأخطار

نحن لا نستطيع أن نتوقف لنشاهد هذه الأخطار المهنية والبيئية ، ونتأثر بها ، دون أن نفعل شيئاً . يجب أن نبدأ بحماية الناس من التعرض لمصادر الأخطار .

وفي **الولايات المتحدة** ، صدر قانون الصحة والأمان المهني ، وقانون التحكم في المواد السامة ، كخطوتين هامتين في هذا الاتجاه .

ولكن التقدم كان بطيئاً .. ففي خلال الأعوام الستة الأولى ، أصدرت إدارة الصحة والأمان المهني الأميركية أربعة قواعد صحية رئيسية ، تغطي « الاسبستوس » ، و « كلوريد الفينيل » ، وغازات « أفران الكوك » ، ومجموعة تتكون من ١٤ « كارسينوجيناً » .

وفي العام الماضي ، وضعت هذه الإدارة قواعد لحماية العمال من مركب د . ب . س . ب ، ومن « البنزول » ، وهو مادة تسبب سرطان الدم ، وتدخل في صناعة كثير من المركبات الكيميائية ، و « مركب اكريلو نيتريل » ، وهو « كارسينوجين » آخر يستخدم في صناعة الألياف الصناعية ، والمطاط ، واللدائن . كما أنه يجري إعداد القواعد الصحية الخاصة بأتربة القطن ، والزرنيخ ، والرصاص ، وسوف تعلن قريباً .

لقد بات واضحاً أن وضع القواعد الصحية لمادة واحدة في المرة الواحدة ، لن يمكننا من احتواء العدد المتزايد من المواد السامة . ولقد صرح وزير العمل الأميركي بأن ذلك يشبه إطفاء حريق في غابة ، إذا أطفأنا النار في الأشجار شجرة تلو شجرة . لذلك اتجهت هذه الإدارة إلى وضع القواعد الصحية اللازمة للتحكم في مجموعة من أبرز مسببات الأخطار المهنية .

وفي ضوء الدلائل على التأثيرات الضارة « للكيبون » ، و « اللبتوفوس » ، ومركب (د . ب . س . ب) ، و « الإيثيلين داي بروميد » ، تقوم هذه الإدارة بوضع قاعدة شاملة لحماية العمال الذين ينتجون أو يتعاملون في أكثر من ٣٣ ألف مبيد للأوبئة مسجل في **الولايات المتحدة** .

كما تكونت لجنة استشارية لدراسة مسببات الأضرار للبشرة ، ولاقتراح القواعد اللازمة للتعامل الآمن بالمواد الآكلة والمهيجة .

مشاركة العمال في المعلومات

وفي حربنا ضد مسببات الأخطار البيئية ، كما في أي حرب أخرى ، فإن معرفة العدو هي نصف المعركة . ذلك أنه لا يجري تعريف العمال والموظفين بطريقة واضحة بالمواد الخطرة التي يتعاملون بها . ذلك لأن البطاقات الملصقة على عبوات آلاف المواد الصناعية لا تفصح عن المكونات الكيميائية التي تقف خلف الأسماء التجارية . وكثيراً ما يبقى العمال في الظلام ، حتى إذا كان الموظفون يعلمون مدى خطورة هذه المواد ، لأن تركيبة منتج معين قد تكون سراً تجارياً .

ولضمان حق العمال في معرفة هذه الأخطار ، تقوم إدارة الصحة والأمان المهني الأميركية بإعداد القواعد التي تلزم أصحاب المصانع بتمييز جميع المواد المسببة للأخطار التي تدخل المصنع ، ووضع بطاقات خاصة على عبواتها . كما توجب هذه القواعد على الموظفين إخطار العمال بالأخطار التي يواجهونها .

ولقد دلت التجربة على أن العمال هم خط دفاع مهم للغاية ضد الأخطار المهنية . إن حادثة « الكيبون » في ولاية **فرجينيا** ، ومشكلة « اللبتوفوس » في ولاية **تكساس** ، وموضوع مركب (د . ب . س . ب) في ولاية **كاليفورنيا** ، هذه التراجيديات الصناعية التي أعلنت مؤخراً قد أبلغت إلى إدارة الأمان والصحة المهنية عن طريق عامل من كل من المصانع الثلاثة . هذا ، ويجب على الموظفين أن يفهموا مسببات الأخطار في مصانعهم ، وأن يشاركوا العمال في معلوماتهم .

ومن خلال الحكومة الفدرالية الأميركية ، تشترك إدارة الأمان والصحة المهنية مع وكالات أخرى تهتم بنفس المشاكل ، ولها نفس الأهداف ، ألا وهي وكالة حماية البيئة ، ولجنة الأمان للمنتجات الاستهلاكية ، وإدارة الأغذية والأدوية .

وتعمل هذه الوكالات معاً حتى تتقاسم المعلومات ، وتتجنب تكرار الجهود ، وحتى تتأكد من أن واحدة من مسببات الأخطار الجسيمة لن تفلت منها .

إن التعاون الوثيق بين هذه الوكالات ، بالاشتراك مع المعونة التي تقدمها المعامل الفدرالية ، ومعامل الولايات ، والمعامل الخاصة ، وإدارات البحوث الطبية ، يمكن أن تؤدي إلى هجوم واسع في هذه المعركة ، ذلك الهجوم الذي يمكن أن يؤدي إلى عكس اتجاه التقدم السريع لمرطان وغيره من الأمراض المهنية .



ألم حقيقي يداهمه حين تناول البارد أو الحلو ، يبدو أن هناك نخراً في إحدى أسنانه .. قال : إنه يريد قلع تلك السن !. لماذا ؟. إنه غير مقتنع بالمداواة ، وفقدان السن لديه خير من أن يعذب نفسه في جلسات معالجة لا يرى فيها جدوى !.

● هذا رأي لأحد المرضى ! .. لكن الكثيرين يحملون الفكرة ذاتها ، ويعيشون الوهم نفسه .. والسبب ـ على ما أتصور ـ عائد لنقص في الثقافة الصحية السنية .

● هناك مثل يقول : **آخر الدواء الكي** .. ويكاد هذا الأمر ينطبق على أسنان الإنسان ، بمعنى آخر يمكننا أن نستخلص قولا ثانياً : **آخر الدواء القلع !..**

نعم .. فما دامت السن يمكن معالجتها ضمن إمكانات المريض والطبيب ، فقلعها خسارة لا تعوض ، وفقدانها فقدان لوظائفها العديدة التي لا يمكن إيجاد بديل حقيقي لها !..

أسباب القلع

١ ـ نخر واسع لا يرمم .
٢ ـ تخلخل السن نتيجة امتصاص النسج المحيطة بها .
٣ ـ تقيّح السنخ الشديد .
٤ ـ موت اللب وتعذر المداواة اللبية لعوامل عديدة .
٥ ـ احاطة السن بخراج أو ورم أو تموّت العظم .
٦ ـ تهدم لا يمكن علاجه .
٧ ـ جذور سنية متبقية .
٨ ـ سن مؤقتة معيقة لبزوغ السن الدائمة .
٩ ـ سن نخرة عديمة الفائدة ، أو حائلة دون بعض المعالجات الفموية .

وأسباب أخرى ، لا يتسع المجال لذكرها .

● إذن .. **التهدم البسيط أو الكسر السطحي** يمكن علاجه ، **والرعال** الذي ما زال في بدايته يمكن شفاؤه ، **واللطوخ الملونة** التي تظهر على سطوح الأسنان يمكن تلافيها ، **والسحل والتآكل** اللذان يكشفان العاج يمكن أن نجد لهما حلاً ، **والارتصاف** الشاذ للسن أو شكلها غير الطبيعي له وسائل تجميلية خاصة ، **والنخر** الذي لم يتجاوز العاج باستطاعتنا حفر مكانه وتنظيفه وترميمه ، بل النخر الذي اخترق طبقة العاج كلها ووصل إلى **حجرة اللب** يمكن الوقوف في وجهه وحماية السن منه عن طريق استخدام أدوات دقيقة تنزع اللب وتحشو أقنيته !..

● والمرض الأخير .. قد يثير في مخيلة الإنسان عدة استفسارات ، والحقيقة أن لكل سؤال جواباً ، فتعالوا لنناقش تلك الأسئلة :

ـ إذا نزع اللب ، هل تموت السن ؟

ـ كلا .. السن لن تموت ، لأنها تملك مصادر أخرى للدم والغذاء والحس تأتي عن طريق النسج ، فاللب مصدر واحد للأعصاب والدم ، وعندما يزال فإن المصادر الأخرى تقوم بوظائفها .

طبيب

بقلم: د. موفق أبو طوق

– هل تسود السن بعد المعالجة اللبية؟

– كلا .. وإنما يمكن للونها أن يصبح أغمق مما كان .. فمعظم الأسنان لا تسود بعد المعالجة، وإذا حصل مثل هذا، يمكن إعادة السن إلى لونها الطبيعي بعد عملية تبييض خاصة.

– كم من الزمن سوف تبقى السن بعد المعالجة اللبية؟

– هذا يعتمد على حال السن ومقدار تخرب العظم المحيط بها، وقدرة الجسم على **الترميم** .. على كل حال؛ فوق ٩٠٪ من الأسنان المعالجة لبياً تستمر في صمودها كالأسنان الأخرى التي لم تتطلب معالجة لبية ".

– هل يمكن علاج تعفن الأقنية دائماً؟

– في بعض الحالات، لا يمكننا الوصول إلى الجراثيم الكامنة في القناة اللبية وبالتالي التأثير عليها دوائياً .. إذ يمكن أن تكون القناة ضيقة جداً بحيث لا تستطيع أصغر أداة من اختراقها، ولا يمكن للتعفن أن يحد أو يوقف .. وفي بعض الحالات؛ حين يكون رأس الجذر متشعباً أو متصلاً بآفة ذروية، فإن حشو قناة الجذر قد لا يكفي، وفي مثل هذا الوضع فإن عملية بسيطة في رأس الجذر تنقذ السن.

– هل يمكن استعمال سن ذات قناة جذرية معالجة كدعامة لجسر؟

– نعم .. فعندما يحدث شفاء عادي، فإن السن التي أجريت لها معالجة جذرية تستخدم عادة بشكل مماثل لأية سن صحيحة.

● بعضهم يقول: في بلاد الغرب، المتقدمة علمياً وطبياً، يعمدون إلى قلع أسنانهم وهم ما زالوا بعد في طور الشباب، كي يضعوا مكانها صفيحة سنية!.. الكلام قد يحمل شيئاً من الواقع، إلا أن تفسيره مرتبط بطبيعة الأسنان المقلوعة، وبالأسباب التي أدت لاستبدال عوض صناعي بها .. حيث إن هذا الأمر قد يكون بعيداً عن وضع مرضانا المعجبين بهذه الطريقة.

● الغرب .. وهو الذي سبقنا أشواطاً لا تخفى في تجاربه الصحية، لا يفرط بأسنان مواطنيه كما يدعي البعض .. ولا يمكن لمخيلتنا أن تكون مصيبة عندما تتصور أنهم هناك يقلعون **الأسنان السليمة** لتحل مكانها **أخرى صناعية** .. بتلك السهولة!..

● أضع برهاناً متواضعاً على ذلك؛ هو هذا الخبر الصغير الذي أترك تفسيره لذكاء القارئ: «استنبط فريق من الباحثين السويديين طريقة جديدة لإعادة غرس الأسنان التي استدعت أمراض اللثة خلعها، وحفظت في مختبر لمدة أربعة أشهر.

فبفضل التقنية التي استخدمها البروفيسور **براوستن** والمهندس **بيير أوتيسكونغ**، تنزع الأسنان التي تكون قد تخلخلت في المراحل الأخيرة، وتنظف بعناية من السموم البكترية .. وبعد ذلك يصار إلى إلصاق خلايا مأخوذة من فم المريض بهذه الأسنان، مما يوجد من جديد الرباطات التي تمسك السن وتثبتها، وعندما يحين الوقت تعاد هذه الأسنان إلى فك المريض».

● إن علماء **الصحة السنية** مقتنعون بأن **العوض** لن يكون ذا صفات مماثلة تماماً للسن الطبيعية، بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القلع والتعويض يكلفان عادة أكثر من المعالجة اللبية وحشو السن .. على كل

حال ؛ لا أريد أن يُفهم من قولي معارضة للعوض الصناعي ، فهناك حالات مرضية لا حل لها غير تركيب هذا العوض .. ما أريد قوله : **لا تفرطوا في أسنانكم ما دام هناك أمل في بقائها واستمرار وظيفتها .**

في عيادة طبيب

الورم المتشكل في خدك يكبر شيئاً فشيئاً ، والألم الناشئ عن سنك المتهدمة يكاد يزهق روحك ويقطع أنفاسك !.

وأنت تتقلب على فراش النوم .. بل أي نوم هذا !. لقد فارقك دون موعد للرجوع ، والصباح ما زالت تباشيره بعيدة ، وأنت تنتظر بفارغ الصبر قدوم أول بصيص من نوره .

● الساعة الثامنة تماماً ، وأنت أمام العيادة السنية .. ما كاد الطبيب يفتح الباب حتى اندفعت صارخاً .. لم يعد هناك مجال للصبر !..

يهدئ الطبيب من روعك بكلماته اللطيفة ، يطلب منك — بهدوء — الجلوس على الكرسي والاستسلام لفحوصه الطبية .. أسرع ، أقلعه لي .

لا يجيب الطبيب إلا بابتسامة عريضة ، يتابع عمله بانسجام غريب ، يطرق السن ، يمس مكان الورم .. سأعطيك دواء (...) ، **ألديك حساسية منه ؟.**

تنظر إليه فاغراً فاك .. لا أريد دواء ، اقلعه ، انقذني من آلامه .

— لكنه ملتهب ، ولا أستطيع قلعه الآن .

— ولكنني .. تناولت ذلك الدواء من قبل !.

— متى ؟!.

— منذ أسبوعين ، على أن أعود بعد أيام ثلاثة .

— ولم تعد وقتذاك !؟.

— ذهب الورم وقتها ، وذهبت معه آلام السن ... قلت لنفسي لا حاجة للعودة فقد شفيت ... لكن الأعراض تكررت الليلة !..

يبتسم الطبيب ، ويقدم علبة جديدة للدواء نفسه ... اسمع يا صاح الدواء المضاد للالتهاب يزيل الورم والآلام لفترة معينة مرتبطة بدوام تأثير هذا الدواء على خلايا الجسم ، ونحن — معشر الأطباء — نستفيد من فترة (**سكون الالتهاب**) هذه لنقلع سنك ...

حيث يمكن أن تتأثر بالمخدر المعطى قبل القلع .

وتخف آلامك بشكل ملحوظ أثناء القلع .

ويقل الدم النازف من الجرح المتشكل بعد القلع .

ولا يكون هذا الجرح طريقاً لجراثيم الالتهاب تدخل منه وتسري في جسدك .

لكن عندما تمر تلك الفترة ولا تُقلع السن (المسبب الرئيسي للالتهاب) ، فإن تأثير الدواء يزول ، ومع زواله يعود الألم والورم .. فنضطر — آسفين — أن نعود إلى نقطة البداية .

خذ دواءك ، واستعمله بنظام ، وعد بعد ثلاثة أيام !!.

ولماذا الخوف ؟

أمسكتُ بالمحقنة ، وهممتُ أن أدخل الإبرة في نسج الفم ، فاصطدمت بنظرات الامتعاض تبدو جلية في عيني المريض !..

أكثر من مرة حدث ذلك !!..

بل إن بعضهم يبالغ في خوفه ، تراه يرجو بلسان مرتجف أن تعفيه من إبرة المخدر تلك ، وإلا غيَّر رأيه وقرر عدم الاستمرار في عملية القلع أو المداواة .. حتى أن كثيرين يفضلون أن تُقلع أسنانهم بدون تخدير ، مستعدين أن يتحملوا آلام القلع ومضاعفاته ، ولا يتعرضوا لآلام تلك الوخزة الصغيرة التي تسببها إبرة المحقنة !..

● أنا أستغرب أمر أولئك ، خاصة وأن بعضهم من المعروفين بتجلدهم وشجاعتهم .. ولا أدري ؛ **ألإبرة التخدير تلك خاصة غريبة غامضة ؟**.. أم أن **الأمر عائد لعقدة لازمتهم منذ أيام طفولتهم ؟!!..**

على كل حال .. فالتخدير العلاجي نعمة من نعم الله سبحانه ، ولولاه لما تمكنا من إجراء الكثير من العمليات الجراحية سواء أكانت داخل الفم أو في أنحاء أخرى من الجسم البشري .

فقد عرف الإنسان منذ القدم طرقاً متعددة للتخدير .. منها الإنشاق بالدخان ، وتطبيق الضغط ، والمنومات ، والتبريد ، والتنويم المغناطيسي .

وللعرب الأسبقية في فن التخدير .. لقد عرفوا الإسفنجة المخدرة ، التي توضع في بعض المحاليل ونبات البنفسج ، ثم تجفف .. وعند استعمالها ترطب وتوضع على أنف المريض ، فتمتص الأنسجة المخاطية المواد المخدرة ، ويدخل المريض في سبات عميق يحرره من أوجاع العملية الجراحية .

● اليوم ؛ نستعمل عدة مواد للتخدير ، منها **البروكائين والنوفوكائين** .. التي تؤثر في **النهايات العصبية الحسية** ، فيحدث ضياع الحس ، وعدم الشعور بالألم .

هي ممزوجة عادة بمواد أخرى تحول دون سرعة امتصاصها ، فيطول زمن التخدير ، وتحول دون حدوث أنزفة تعيق العمل الجراحي .

● قلع الضرس .. سابقاً ؛ كان مضرب مثل في الصعوبة والوجع ، أما اليوم ؛ فإن التخدير العلاجي قد غيَّر النظرة كثيراً .

● إبرة المخدر .. التي تنقل عبر قنيّتها المادة المخدرة .. تفيدك كثيراً ، تحمّلْ وخزتها البسيطة مقابل أن تنعم بعمل جراحي أو علاجي مريح .. لا تخف من شكل محقنتها ، فهو حقاً كبير وغريب .. لكن ؛ كثيراً ما تكون إبرة الفم أقل إيلاماً من الإبرة المستعملة في العضل أو الوريد .

● أغمض عينيك ، افتح فمك .. لحظات ، وينتهي كل شيء .. وتعيش وقتاً مفعماً بالطمأنينة والراحة بين يدي جراحك أو طبيبك الموثوق .



بقلم : أحمد زياد محبك

النسر

ثارت عاصفة هوجاء ، أحنت لها الأشجار العظيمة رؤوسها ، وهربت من هولها الوحوش الكاسرة إلى أوكارها . وفي عش مشيد بالطين والأعواد الصغيرة ، معلّق على غصن قوي ، في شجرة بلوط كبيرة ، كانت الريح تعصف بالزغب الناعم ، لفرخي نسر ، ينتظران رجعة أبيهما ، من رحلة البحث عن الطعام ، وقد التصقا ، بعضهما ببعض ، وأخفى كل منهما رأسه تحت جناحيه .

وطال بهما الانتظار ، والعاصفة تشتد ، ولما حاول أحدهما رفع رأسه ، ليستطلع الأفق ، لعله يرى أباه قادماً ، طوّحت به الريح القوية ، ورمته إلى أسفل ، **فاصطدم بالأرض ، وفارقته الروح** . واحتمى الفرخ الآخر بطرف العش ، وتشبث فيه بمخالبه الصغيرة .

وبعد هنيهة حطّ النسر على عشه ، وغطى فرخه الوحيد بجناحه القوي الدافئ ، وقد رمق شلو فرخه الميت ، بنظرة واحدة ، **فيها شيء من الكبرياء** ، وقد ظل رافع الرأس ، يواجه العاصفة بعنفوان ، وشمم ، والريح تثير بعض الريش ، في طرف جناحيه القويين .

وحين اطمأن الفرخ الوحيد إلى الدفء ، وقد بدأت الريح تهدأ قليلاً ، تململ ، وأطل من تحت جناح والده ، إلى أسفل ، فلم يكد يتبين شلو أخيه ، وهو يطل من علو شاهق ، فتفكّر قليلاً ، ثم سأل أباه :

ـ لماذا لا تتخذ لنا وكراً يا أبي ، كالعصافير ، في شقوق الجدران ، نتقي بها العاصفة ، ونأمن فيها على أنفسنا ، في غيابك ؟

فانتفض الأب غاضباً ، وطوى جناحيه ، وقفز إلى غصن عال ، ثم قال لفرخه الوحيد :

ـ كم أود **لو أن الريح قد قذفت بك ، مثل أخيك** ، قبل أن تسألني مثل هذا السؤال .

دهش الفرخ لغضب أبيه ، وقبل أن يقول شيئاً ، كان أبوه يحدثه بصوت فيه الحزم والقوة :

« استمع إليّ ، لقد روى لي جدّي ، أنه منذ زمان بعيد ، ربما قبل جدّ جدّي ، بعشرة جدود ، أو أكثر ، كانت تعيش جماعة من الطير ، في أحد الحقول ، **ولا يزيد حجم الواحد منها على حجمك أنت** ، وكانت تلتقط من الحقل حبّ الزرع ، وثمر الأشجار ، وتصطاد من الأرض حشراتها وديدانها ، ثم قدم الإنسان إلى هذا الحقل ، فابتنى فيه بيوته ، وكان **لا يتورع عن قتل الطيور ، وتكدير عيشها** ، والغريب أن معظم هذه الطيور قد **ألفت الإنسان** ، وعاشت بقربه ، لما يرميه لها من **فتات** تعيش عليه ، وهي مهددة دائماً بالخطر ، على حين فرّت قلة قليلة .

أما الكثرة التي بقيت ، فقد استسهلت الحياة ، واكتفت من الطعام بالحب ، وما يلقيه الإنسان ، واتخذت لها أوكاراً من شقوق الجدران في بيوته ، ومرت الأيام ، حتى نسيت الصيد ، وعافت اللحوم ، **فضمرت مخالبها ، وذوت أجنحتها ، وضعفت مناقيرها** ، وأخذ جسمها يتضاءل شيئاً فشيئاً ، حتى غدت عصافير صغيرة .

أما القلة القليلة ، التي هاجرت ، فقد سكنت قمم الجبال ، وذرى الأشجار ، وآثرت **العناء والشقاء ، على السهولة واللين** ، فما كان لها إلا أن تتخذ الصيد وسيلة لعيشها ، فكانت تمعن في التحليق ، وتحوّم طويلاً ، بحثاً عن فريسة ، ولكثرة ما حلقت ، وحوّمت ، وانقضّت وافترست ، **قويت أجنحتها ، ونمت مناقيرها ، واحتدت مخالبها** ، ولتغذيها باللحوم ، أصبحت قوية عظيمة كبيرة ، تلك هي **النسور** التي تؤثر حياة القوة ، على حياة الضعف والخضوع » .

وصمت الأب ، وعندئذ أدرك الفرخ السرّ في غضب والده ، وكان يصغي إليه بعناية واهتمام ، فبادر إلى الاعتذار إليه ، ثم قال :

ـ لن أفكر بعد اليوم ، يا أبي ، بحياة العصافير ، وأعدك أن أكون مثلك ، النسر القوي .



بقلم: د. عزت الصباغ

أجساد.. في الزمن الميت

تحرك النعش من على أرض الماضي والحاضر والمستقبل السديم.

إنه أحد الوكلاء المؤتمن؛ انتقل من موتٍ إلى موت، كان مدفوناً معنا في الزمن الميت؛ والساعة مأواه التراب.

مجهول:

★ ألا تشيعه معنا؟

ــ شيعت أمثاله الكثيرين ونفسي طويلاً؛ تعبت من تشييع الجنازات.

★ كيف؟

ــ إنها حالة حاضرة ماضوية في آن.. وما تشييعه إلا عملية تكرار، حتى الجنازات المستقبلية لن أشيعها.

★ إلى متى؟

ــ ......!

ــ تحرك النعش خارج حركة التاريخ، انصرف المجهول وراءه، وأوليت ظهري، أسير متلمساً في السديم قانطاً، وأثقال الدنيا جميعها، قد حطت فوق صدري حابسة أنفاسي.

★ كيف نموت؟ كيف تقدمت؟ متى تحسست؟ تساءلت.. وبتعجب!

عاودت التساؤل بحيرة، انبطحت، عانقت الأرض، وضعت عليها أذناً مرهفة؛ التمس الجواب..

إنه شيء مختلف عما كان الجواب عليها؛ لا تقليد ولا متابعة، وعاودت عناق الأرض بحرية؛ إنها تغذي رؤيتي وآمالي جميعاً، الحركة في داخلها شيء يتراوح ما بين العقل والعاطفة؛ إنه ما أريد، إنه التخيل، وخطوة الإبتكار الواسعة.

نهضت تركت داخل الأرض، عدت عليها؛ وعاد الزمن من جديد إلى تقلصه وانكماشه.

تذكرت سؤال المجهول: إلى متى؟



وأنا أعرف الجواب ، في كل ضحكاتي الصفراوية ، ويمنعني القرف من التفوه به .

★ **من أنت ، أيها الغريب القلق ؟**

التفتُ ؛ مجهول آخر من على أرضنا .

لمحت بيده علم الأرض ، لم أقرأ على قماشه إلا ألوانه التي يخيم عليها السديم المحيط .

★ **يبدو أنك تنفذ الأوامر فقط أيها الثابت كالصخر ؟**

ــ لم لا . . !؟ قد وكلت أمري وفاعليتي لتنفيذ الأوامر .

★ **أما من حركة حرة تملكها وحدك ؟!**

ــ إنني أؤدي واجباتي المحددة ، والنمو هو التقليد والمتابعة . .

ــ . . . . . !

بصقت أرضاً ، وتابعت وحدي ، عاودت تذكر علم الأرض ، لم أقرأ على ألوانه انتصاراً واحداً ، ولا وعداً واحداً تحقق . . تابعت وتابعت . .

نور من السماء أنار قلبي ونفسي ؛ فاتحاً للفكر آفاقاً بانتشاره على الأرض ؛ والزمن ميت ، والقبس في داخلي . .

عاودت معانقة الأرض ، تجليت داخلها جميعه ؛ حتى تجسد في داخلي ، حدثني بموضوعات شتى ، حثني لحركة بل لحركات جديدة ؛ نفذتها ؛ خف الظلام .

الحضارة لم تكن تكراراً إلا في أذهان صعاليك التفكير الجبناء الكسالى في آن .

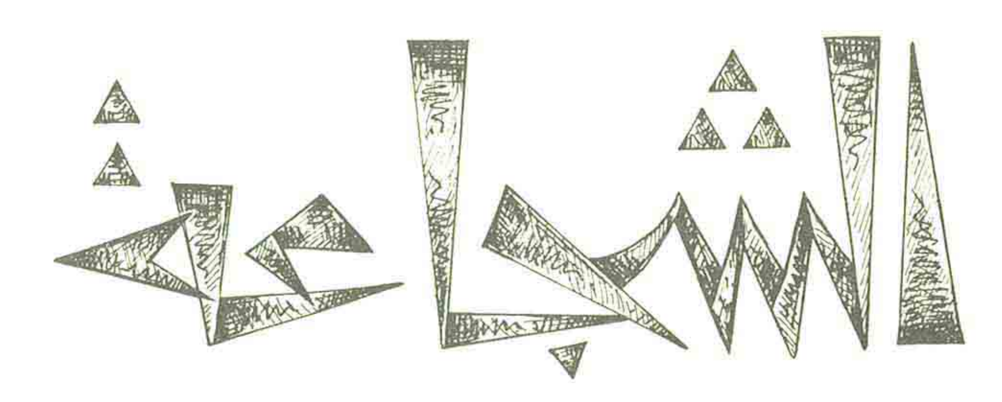
قبس نور يقترب رويداً رويداً ؛ لم أكن وحدي إذن في هذا الاتجاه ، فرحت . . ها هي . . ها هي . . قفزت فرحاً ، ها هي . . إنها تقترب . . نفوس حية . . نفوس حية ؛ متحركة للجديد ؛ حقيقة كالحلم . . لا مجال لمعاودة سؤال المجهول :

ــ إلى متى ؟ . .

يبدو أن الفرح للنفوس الحية أكبر من أن يقاس . . وتلك الأجساد « الماضية ــ الحاضرة » ــ منذ حين قريب ــ قد دفنت في الزمن الميت .



بقلم : نادر السباعي



الشجاعة

يا لهذا الصمت الغريب ، المرعب ، الذي يخنق الروح !

القرية المنثورة . . لا تزال الحياة عامرة فيها . هي كنجوم مرشوقة بعفوية في أديم السماء .

جلباب الظلام قد غطى الحقول . . وكذلك الغابة !

كل بيت بسيط يحكي قصة . .

انطفأت الأنوار !

كل قصة تحكي حياة . . كانت القرية تعيش في دعة وأمان . . والأحلام الجميلة قد تبددت .

صوت أقدام ضالة ، توحي بكوابيس مفزعة . . وكل حياة تعلن عن شمعة مهملة . . وفيها يخنق اللهب . عبوس الليل فيه وحشة . . ربما نسمع حركة غريبة !

نباح الكلاب يملأ أطراف القرية ، الملطخة بالتراب . . والحكاية الموجعة ، المبكية تتكرر . تخاطب ضمير الزمن ، والنحيب ينسل منها بقسوة . ربما نحن مع أغنية البيت المزروع في وسط الحقول . . والقريب من الغابة . وما ينفك الأب وهو ينصح ابنه برجاء :

ـ بني لا تهجر أرضك !

★ إني أبحث عن مستقبل أفضل يا أبي .

تابع الأب الكلام بأناة :

ـ أجل بني . . الموت نهاية كل حي . علينا أن نكون أشد التصاقاً بالأرض !

★ رزقنا هنا معدوم يا أبي . أرغب في الهجرة مثل أغلب شبان القرية .

عقب الأب متأملاً :

ـ لكنك صغير ، وعودك يانع . والغربة سيفها بتار !

★ لا يهم . . إني أكبر بسرعة يا أبي .

ـ علام الاغتراب والرزق وفير في أرضنا ؟

الليلة الجريحة ، تنام في كهوف الصمت . صوت قرع على الباب ، في ساعة متأخرة من الليل . صاح الأب فزعاً :

ـ من أنت أيها الطارق ؟

تدور في خلد الابن كلمات غريبة ، يطلب لها تفسيراً سليماً :

★ ما بالك يا أبي قد أخذتك الرعدة ، وامتقع وجهك ؟

ـ أبداً يا بني ، ولكن في مثل هذه الساعة لم نتعود أن نستقبل أحداً .

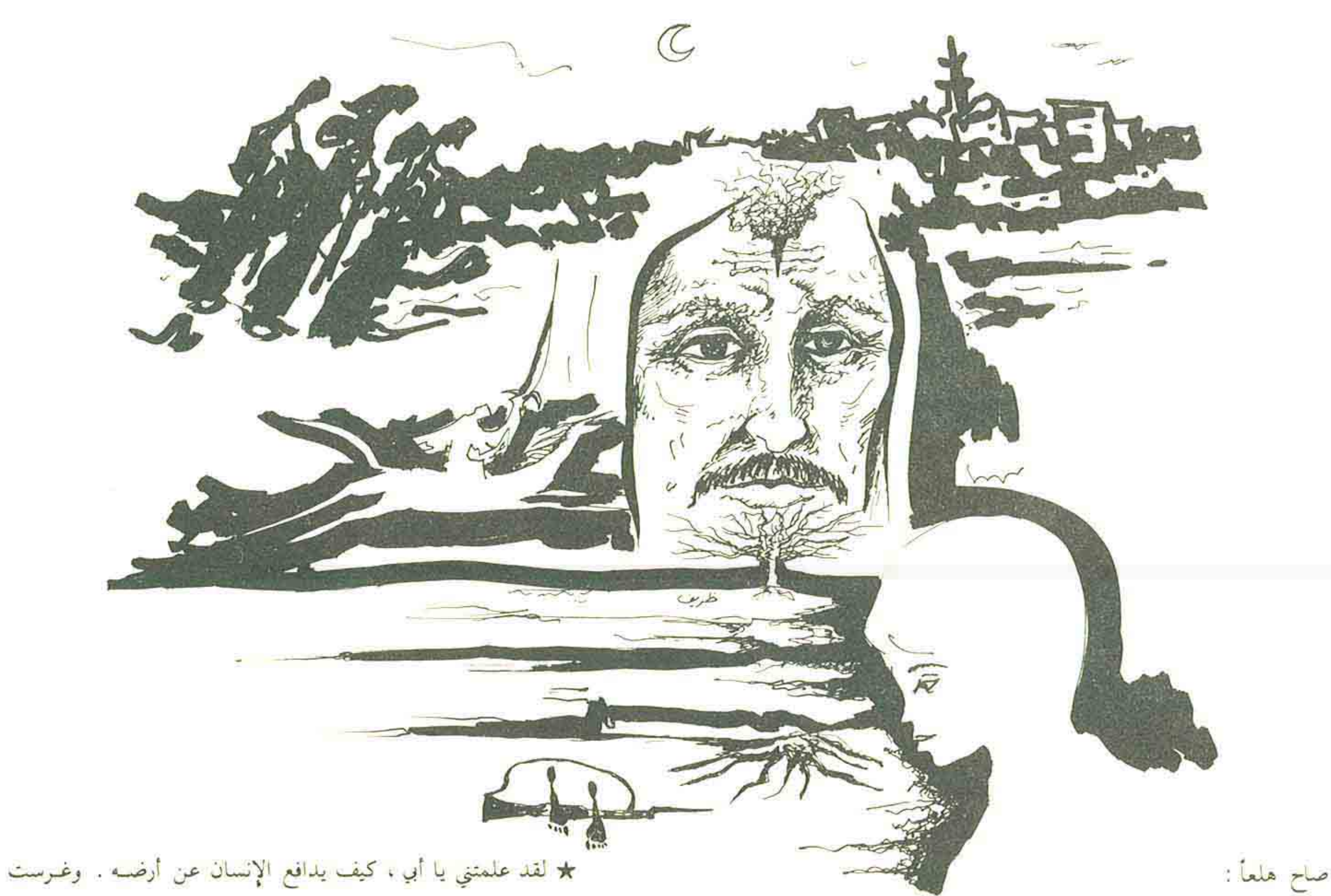
لكن الظلام حالك دامس . . قطع الابن حبل الصمت . قال مخاطباً والده :

★ ولكني أسمع وقع أقدام !

تحرك الابن إلى مصدر الصوت . فتح الباب . . عاين المكان ثم رجع . قال باستغراب :

★ لم أجد أحداً يا أبي !

الابن لم يرتح لتلك الحركة . أخذ ينظر من النافذة باتجاه الحقل . ثم



صاح هلعاً :

★ أرى أشباحاً هناك في الحقل يا أبي !

ـ صه يا بني . . لا ترفع صوتك حتى لا توقظ أمك ! !

أمعن الأب النظر باتجاه الحقل . أعلن في سرّه : (إذن هؤلاء)

★ من هم يا أبي ؟

قال الأب بحرج :

ـ العابرون في أرضي . آثار أقدامهم تملأ الحقل .

احتج الابن بالحاح :

★ لكنهم لصوص يا أبي !

عقب الأب بخوف ظاهر :

ـ اسكت

★ كيف نتركهم هكذا ؟

أجاب الأب بعصبية مكتومة :

ـ قلت لك اسكت . إنك لا تعرفهم !

★ لكنهم يسلبون مالنا ؟

ـ إنهم يا بني عصابة كبيرة تسكن الغابة (أشار بيده نحو النافذة) انظر إليهم . ألم تر ما يوجد فوق أكتافهم وحول خصورهم ؟

وثب الابن بحماسة ، ثم أعلن ببراءة :

★ لقد علمتني يا أبي ، كيف يدافع الإنسان عن أرضه . وغرست في نفسي معاني الشجاعة الحقة . لماذا لا نتصدى لهم (عقب) معك بندقيتك ، وأنا عندي قطعة حادة من الزجاج !

« . . النشوة تخامر الأب . . زوابع الحماسة وحرارتها ، تنبعث في قلبه من جديد ثم تنطفئ » .

جلس مشدود الأعصاب (ضحك بألم) خاطب ابنه بحيرة :

ـ هذا عمل جنوني يا بني ! الشجاعة الحقة ليست التهلكة ؟

الكلاب تنبح في الحقل . .

★ أبي . إني لا أحتمل رؤية اللصوص !

ـ عليك بالتعقل يا بني .

« . . دفقة الذكريات تداعبه بحنان عبق . أيام الثورة ضد الغزاة ، قد عايشها خطوة خطوة . . ما أروعها من أيام »

بنفاذ صبر ، صاح :

★ أبي . . إن لم نجابههم الآن ، سوف يتمادون ثانية !

ـ علينا التذرع بالحيطة والحذر وعدم التورط . (أتبع) إنهم أقوياء يا بني !

★ لا . . ونحن لسنا ضعفاء . .

« . . دون التواء يعود بفكره إلى أيام العزة والأنفة . . »

أرخى رأسه . انساحت عيونه في وجه ابنه المبرق المرعد . ثم قال

بوقار :

ـ إليك هذه النصائح يا بني . عليك أن تضعها نصب عينيك .

« . . قفز بنفسه في معركة يائسة غير مبال . بندقية قديمة يقارع بها أسلحة الغزاة الحديثة » .

أشار الأب بيده نحو النافذة ، بينما هو يلقن ابنه بعض النصائح :

ـ انظر !

★ إلى أين ؟

ـ إلى هؤلاء !

★ ما بهم ؟

ـ إن عقولهم في أصابعهم يا بني !

★ ماذا تقصد ؟

أتبع الأب مستفسراً :

ـ كيف يمكننا أن نتصدى لهم ؟

« . . كانت المعركة حامية الوطيس . . الشبان ينقضون كالصقور على الآليات الحديدية » .

ألح في استفساره المرعب :

★ تقصد أن نتركهم ينهبون ثمرة جهدنا الطويل . . يا أبي ؟

ـ لا يا بني !

عقب الابن متأوهاً :

★ آه . . لو تجتمع القرية على أمر واحد ، لعجز اللصوص عن مواجهتنا !

« . . ما أروع مناطحة القمم في الأعمال البطولية ! قلب لا يعرف الوجل . . وسواعد مفتولة . . وكلمة واحدة ضد العدو المغتصب ! ترى هل تعود هذه الدفقات المباركة إلى قريتنا ؟ » .

الحركة الغريبة ما زالت مسموعة في القرية . قال الابن باستهزاء :

★ انظر يا أبي إلى قريتنا . أنوارها مطفأة ، وعيون أهلها مفتوحة مرتعشة !

في الكهولة . تركن النفوس إلى الهدوء والسكينة . يتساءل بحسرة : ما أمضى سلاح الشباب ؟

ـ مرض الصمت قد أصابهم جميعاً . الحركة الغريبة التي نسمعها ، هم أيضاً قد سمعوها وصمّوا آذانهم عنها !

★ حقاً ما تقول . أهل القرية استمرأوا الأنانية ، وقد انغرس في لحومهم حب الحياة . (أتبع الأب مضطرباً) اعذرني يا بني . . هناك حقائق كثيرة يصعب قولها !

« . . حرارة الشجاعة ما أنقاها ؟ كانت السيف المسلط على الأعداء » .

تفجرت في الابن دفقة مرعدة :

★ هل نقف مكتوفي الأيدي هكذا ؟

عقب الأب والوجل يملأ كيانه . قال بروية :

ـ يجب أن نعالج أمورنا بحكمة . .

صاح متمرداً :

★ أي حكمة تنفع الآن يا أبي ؟ علينا أن نمزقهم بأسناننا !

ـ اصمت يا بني ولا تتعجل بأحكامك . يبدو أن الارهاق اليوم قد أخذ منك مأخذاً كبيراً !

★ لا يهم !

ـ أرى التهور يجري في شريانك . حقاً إني قد غرست بك أصول الشجاعة الحقة ، ولكن هل نسيت كيف تعودنا أن نناقش أمورنا بحكمة وتعقل ؟

★ عذراً يا أبي .

تسمرت الأقدام . خفتت شعلة الروح المتمردة . تابع الأب قائلاً :

ـ عندما يكون الإنسان مرهقاً يا بني ، قد يشك في صحة حواسه أحياناً !

★ لست أفهم ما تقول ؟

ـ حسن يا بني ! في البداية تراءى لنا بأن الباب يقرع . . أليس كذلك ؟

★ ربما . . لا أدري ؟

ـ إذن رؤيتنا للأشباح ، قد تكون رؤية مرضية وغير واقعية ؟

عقب الابن بحيرة :

★ لم أدرك مقصدك يا أبي !

ـ أخطاء الحواس توقعنا بالارتياب في صحة الأشياء . والارهاق الجسدي قد يمدنا بخيالات قريبة من الواقع ، تشعرنا بأنها حقيقة فعلاً !

عقب متيقناً :

★ لا يا أبي ! إن حواسنا سليمة ، ولكن قلوبنا التي أصبحت مريضة ! ! (أتبع متأوهاً) آه يا أبي . . لو اجتمع أهل القرية على كلمة واحدة ؟

قرر الأب في وهن واستسلام :

ـ هون عليك . . عند الفجر لا بد أن يرحلوا !

في ذلك الليل الكئيب . . كان أطول ليل . نسمع دقات الفجر في رعشة هادئة . نلمح فوق الربى ، خيوط الشمس البنفسجية .

بكل صفاء .. لقد أسفر الصبح .

القرية المنثورة .. ظل يدق فيها أجراس القلق الصامت . نأت عن ترابها الأقدام المرعبة الفظة ! طوال الليل كان غصن الزيتون .. يهتز غاضباً ، وقلوب أهل القرية ساكنة .

ابتعدت الأشباح .. طلع ضوء النهار .. تنفس الصبح . تنفس أبناء القرية .. الصعداء !

★ ★ ★

الليل يمضي بطيئاً .. الحقول الواسعة المغمورة بالخضرة ، تعبث بها الأقدام الشقيّة !

صاح الابن :

★ أسمع صوتاً يا أبي !

عقب الأب مطمئناً :

ـ إنها نسمات الريح ..

بعد برهة ، القلوب واجفة تنبض بالقلق ..

ألح الابن قائلاً :

★ يبدو أنهم أعادوا الكرّة !

ـ ما بك بنيّ .. أراك كثير التوهم ؟

صاح الابن باستغراب :

★ إنني لفي عجب !

ـ ممن ؟

★ الصمم !

ـ ماذا تقول يا بني ؟

★ المرض الشائع هذه الأيام !

عقب الأب بنزق :

ـ أي مرض تقصده ؟

قال الابن بسخرية :

★ مرض الصمم !

ـ هل تسخر مني يا بني ؟

الخطوات الغريبة تقترب من البيت ... غصن الزيتون يتململ حائراً . القرية غائصة في ليلها القاسي !

حس مرهف بجناحه :

★ وقع الأقدام يقترب من الدار يا أبي !

ـ ....

الأب في وجل . لم ينبس ببنت شفة ..

يعقب الابن معاتباً :

★ هل رأيت ما حدث يا أبي ؟ في المرة الأولى سرقوا الغلال .. وفي المرة الثانية سطوا على حظيرة الدجاج .. وفي الثالثة أخذوا المواشي !!

ـ ....

« في لحظاته اليائسة ، يغدق في فكره أريجاً من أزاهير الماضي .. يحسها الآن كحلم بعيد المنال » .

الصوت يتعاظم .. الخطوات تحدث جلبة . التفت الابن مصيخاً نحو مصدر الصوت .

أعلن باستهزاء :

★ نسمات الريح تصدر أصواتاً غريبة يا أبي ؟

ـ اخفت صوتك

بصوت مبحوح :

★ لماذا يا أبي ؟

ـ حتى لا توقظ أمك !

أحس بحبال القهر تضغط على عنقه . قال بقسوة :

★ هل أنت ساهر على راحة أمي ، أم أن فرائصك ترتعد منهم ؟ (أتبع) انظر يا أبي ماذا يجري الآن .. هذا كله نتيجة تهاونك في البداية !

يسمع ضجيجاً خشناً ، انفجر في تلك اللحظة ..

انكمش الأب . كف عن التنفس برهة . وتجتاح الابن موجة عارمة من الاستياء . والعقل قلق حيران .

أخذ يذرع الخطوات الغاضبة ، في أرجاء الغرفة . يغمغم بذهول وهو يخاطب والده :

★ أبي .. لمحت أشباحاً حول الدار !

ـ ....

الصخب يقترب .. الخطوات القاسية ترتع دون رادع ! أعصاب الابن مشدودة وهو في قمة الغضب والتمزق . الأب يخلد إلى السكون ، فلا

نأمة ولا همسة . صاح الابن ثائراً :

★ أبي .. يجب أن نقاومهم .. (أشار بيده) إنهم يقتربون !

هزّ رأسه ومط شفتيه . قال الأب بهدوء بعد أن تمالك نفسه :

ـ مالي أراك مضطرباً ؟

★ إنهم في دارنا . لقد سمعت حركة من الغرفة المجاورة !

لبث الابن لحظة وهو في دهشة ، يراقب سكون والده ووهنه . أعلن في سره : ويلاه .. أهذه الدرجة يرتع الجبن في القلوب ؟ (في حيرة واستغراب) أهذا أبي الذي علمني معاني الشجاعة الحقة ؟

جلبة عنف مقززة ، تنبعث من الغرفة المجاورة .. أسرع الابن إلى شق الباب ، أخذ ينظر بهلع :

★ رباه .. ما هذا ؟ إنها أمي !

الأم تقاوم بشدة . قوبلت بعنف ضار ...

الابن تختلط عليه الأمور . لم يصدق رؤياه .. أحست بالوهن ، وهي تدافع عن نفسها .. سيل الغضب يتوزع في جسده .

أغمضت عينيها خجلة .. هول الرؤيا صفعه بشدة . التفت إلى أبيه قائلاً بصوت متهدج :

★ الأشباح في غرفة أمي !

عقب الأب عليه بحذر :

ـ لا تصرخ ! اخفت صوتك وهدئ من روعك . عرفت الليل مقبرة الأسرار !

★ ماذا تقول يا أبي ؟

ـ ....

بعد برهة .. الابن في حيرة . عاد إلى شق الباب . نظر بلوعة المكبل ، والدم يغلي في عروقه .

كانت ممددة تحت حيوان بلهث . مغمضة العينين تتلوى ، والجوع يصرخ في عيونهم ...

خيل إليه أنه سمع هديراً . صاح دون وعي ، والدموع قد بللت عينيه :

★ أسمع هدير ثيران هائجة يا أبي !

ـ ....

★ ألم تسمع ما أسمع ؟ ليتك ترى ما رأيت !

ـ ....

بكت الأم دونما صوت ، بينما اختلج جسدها تحت أجساد الأشباح . كف الجسد عن الحركة .. نظروا إلى جسدها الهامد العاري بعيون نهمة .

أحس بالنظرات الحادة ، الموجهة نحو أمه ، كأنها نصال تنغرس جميعها في لحمه .. نهض مرتعداً .. لقد دوت فيه عاصفة غيظ مرعدة .

(الأب جاثم دون حركة) اتجه نحو الصندوق القديم .. الدم يدفق بحرارة في شرايينه !

أخرج بندقية أبيه . حملها بصعوبة بالغة . صاح الأب فيه :

ـ ماذا تفعل ؟

صرخ بأعلى صوته :

★ سأقاومهم !

في الجلبة الغاضبة ، انفتح الباب بقسوة . أطلت منه الوجوه الكالحة . لقد جاؤوا بوجوه تحمل شفاهاً مطبقة . والعيون تنضح صديداً حاقداً !

ارتجف الأب ..

تمكن الابن أن يوجه البندقية نحوهم . خرست الشفاه ، وهلعت الأصابع والزنود الممدودة . بحرارة .. يريد أن يفرغ حقده دفعة واحدة . وبطلقة واحدة ، يريد أن يخرس قوى الشر المتسلطة !

تك .. انبعث صوت الأمان .. البندقية لم تكن مشحونة بالرصاص !

فهقهة الرجال بعد هلع واصفرار . تقدم أحدهم باتجاه الابن . بدا كجلاد قاسي القلب ، متوحش الملامح :

ـ ويحك يا هذا أتجرؤ ؟

بركلة واحدة أرداه بعيداً وكومة في الأرض كتلة صغيرة ..

انتشر الأشباح في الغرفة . صاح الأب متشفعاً :

ـ أرجوكم .. إنه ابني !

جأر أحدهم فيه بخشونة :

ـ جاء دورك .. إنها لحظاتك الأخيرة في الحياة !

ـ ماذا فعلت ؟

ـ إنك لا تستحق الحياة !

ـ إنني بريء ..

الخطوات الصاخبة تقترب والأصابع على الزناد . والوجوه قاسية غاضبة . يسترحمهم بملق :

ـ أخذتم مالي .. وعبثتم بحرمة بيتي .. ماذا تريدون مني أكثر من ذلك ؟!

ـ لهذا سنعاقبك على ارتخائك البليد !

الخطوات تقترب . والوجوه ممتقعة مزمجرة ..

ـ ارحموني !

طلقة البندقية تلعلع في أرجاء القرية الهادئة ...

« الأحلام العطرة ، تناثرت من ذلك الرأس .. إلى الأبد ضاعت الأغنية . شجرة الزيتون ساكنة طرية .. كأنها في عرس !





نقدّم للقراء الكرام في هذه المرة كتاباً تراثياً جليلاً بعنوان «**رصف المباني في شرح حروف المعاني**» للإمام **أحمد بن عبد النور المالقي** المتوفي عام (٧٠٢هـ) الذي وصفه «**لسان الدين بن الخطيب**» بقوله : «رصف المباني ، من أجلّ ما صنّف ، ومما يدل على تقدمه في العربية» ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ **أحمد محمد الخراط** وأصدره **مجمع اللغة العربية بدمشق في مطبعة زيد بن ثابت** عام (١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م) . ويقع هذا الكتاب في (٥٠٨) صفحات من القطع الكبير[1] ، ويضم في آخره الفهارس التالية :

١ ــ فهرس القرآن الكريم ، ٢ ــ فهرس الحديث الشريف ، ٣ ــ فهرس الأعلام ، ٤ ــ فهرس المذاهب النحوية ، ٥ ــ فهرس الشواهد الشعرية ، ٦ ــ فهرس مادة الكتاب ، ٧ ــ ثبت بمراجع التحقيق ، بالإضافة إلى جدول للخطأ والصواب في آخره . أما المراجع التي اعتمدها «المحقق» فقد بلغ عددها (١٧١) مرجعاً ومصدراً .

التعريف بالكتاب

دراسة حروف المعاني جانب بارز من جوانب النحو العربي ، انكب عليه النحاة العرب بالدرس والتفصيل فشهد مناقشات غزيرة بينهم ، وكشف عن مسائل خلاف واسعة النطاق .

وكتابنا هو محاولة جادة لدراسة حروف المعاني وما تكون عليه في كلام العرب .

والمؤلف في خطبته يشير إلى أهمية الحروف فهي «أكثر دوراً» ومعاني معظمها أشد غوراً ، وتركيب أكثر الكلام عليها ، ورجوعه في فوائده إليها ، ثم يشير إلى جهود العلماء للتأليف في هذا الباب فيقول : «**فوجدت منهم من أغفل بعضها وأهمل ، ومن تسامح في الشرح**

وتسهل ، ومن اختصر منها وأسهب ، ومن ركّب البسيط وبسط المركّب ، ومن شتت ألفاظها وعدّد ، وأطال الكلام لغير فائدة وردّد » .

ونستطيع أن نخرج من هذا إلى أنّ هناك تراثاً ضخماً كان أمام المؤلف حين نوى التأليف في هذا الباب ، ويبدو أن ذلك التراث كان ينقصه الرجل الذي يفيد منه ، فيجمع قواعد كل أداة في باب خاص ، وما تقع عليه في كلام العرب ، وما تردد حولها من مناقشات وآراء ، ولسنا مغالين أو بعيدين عن الحكم العلمي إذا قلنا : إن المالقي كان هذا الرجل في مصنفه الذي نحن بصدده .

ولقد اتخذت محاولات العلماء لدراسة حروف العربية شكلين من التأليف ، فقد كانت معظم كتب النحو واللغة تذكر الحروف في ثنايا حديثها عن قواعد النحو إجمالا ، فهي إذاً لا تفصل الأدوات عن القواعد الأم ، وإنما تنظر إليها على أنها جزء وثيق منها . فكتاب **سيبويه** ، مثلاً ، غني بمباحث الحروف وأشكال ورودها في كلام العرب ، ولكنه لم يعقد فصلاً خاصاً بكل أداة ، ليعدّد معانيها ويذكر أحكامها ، وإنما تتفرق فيه هذه المعاني بين ثنايا الكتاب ، فهو قد يذكر الأداة ضمن أسرتها كقوله : « **باب ما يعمل من الأفعال فيجزمها وذلك لم ولما واللام التي في الأمر** » ، أو يتحدث عن جانب من الأداة كأن يقول : « **باب الفاء : اعلم أن ما انتصب في باب الفاء ينتصب على إضمار أن** » ، أو يذكر الحروف التي قد تلتقي على ظاهرها ما ، كأن يقول : « **باب الحروف التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء ويجوز أن يليها بعدها الأفعال وهي : لكن وإنما وكأنما وإذ . . .** » وهذا ما نجده في كتب النحو الأخرى المتقدمة والمتأخرة .

أما الشكل الثاني لهذه المحاولات فيبدو في تأليف كتب تختص بالحديث عن الأدوات ومعانيها وما قد يرد عليها من مناقشات ، ومن هذه المحاولات : **منازل الحروف للرمّاني** ، ويقع في خمس وعشرين صفحة ، عرض فيه لأهم الأدوات العربية ، فذكر المعاني المشهورة لها وضرب مثلاً لكل معنى ، ولكننا لا نجد تمييزاً بين الأسماء والحروف منها ، وهذا ما تصنعه كتب الأدوات الأخرى ما خلا الرصف ، **وللهروي** مصنف قيم في هذا الجانب سمّاه « **الأزهية في علم الحروف** » ، حاول فيه أن يستقصي أحوال ما يعرضه من حروف المعاني في كلام العرب ، ولكنه يبقى غير وافٍ بالغرض ، أما **الزجاجي في كتاب اللامات** ، فهو يمثل رغبة النحويين في جمع الأحكام التي تتعلق بحرف معين ، وذلك عن طريق فصل ما تناثر من هذه الأحكام عن الكتب العامة وضمّها في كتاب خاص .

والواقع أن جميع المحاولات التي سبقت المالقي كان ينقصها أمران ضروريان هما : **الرصد والشمول** ، فلم تكن غاية هذه المحاولات رصد جميع معاني الأداة من ناحية ، وشمول جميع الأدوات من ناحية أخرى ، لذا كان لا بد أن يكون أمام الدارسين مصنف يدرس حروف العربية على منهج فيه استقصاء وترتيب ، ويستفيد من المادة المتفرقة ، فيبوبها ، ويجمع في كل باب ما يختص بكل حرف ، ويذكر أقوال العلماء وما كان بينهم من مناقشات وجدال ، وكان المالقي هو رائد هذه المحاولة ، ونحن إنما نقول ذلك لأننا لا نعلم مصنفاً قبل « رصف المباني » امتاز بالرصد والشمول ، الأمران اللذان أشرنا إليهما .

ثم إن المالقي أراد أن يكون أكثر تركيزاً في بحثه ، فاختص بالحروف وبحثها على نهج شامل لجميع حروف العربية ، فأهمل بذلك الأسماء وتركها لكتب أخرى .

أما مصادر المالقي في كتابه فيبدو لنا أن الرجل قد اطلع على المؤلفات التي سبقته ، ونعني بها شكلي التأليف اللذين أشرنا إليهما ، ولكنه للأسف لم يكن ينص على ما أخذ من كل منها ، وهذا ما يجعل أمامنا الطريق صعبة لكشف مصادره وتعيينها ، فقد اطلع على كتاب سيبويه ، ونص عليه في كثير من المواضع ، وهو يجلّه أيما إجلال ، ويحاول أن يتقرب منه ويدعم آراءه به ، وهو يناقش **المبرد** في مسائل من « **المقتضب** » ، كما وجدت مثلاً في نقضه لمذهب المبرد في مسألة « **بل** » ، أما **ابن جني** فقد أفاد من كتابيه : **سر الصناعة ، والخصائص** ، أما « سر الصناعة » فهو يشير إليه أكثر من مرة ويعتمده في كثير من المسائل وينقل عنه ، حتى إن تصحيح كثير من التحريفات التي وقعت لنسخة الرصف كان بالرجوع إليه ، كما أن المؤلف يشير إلى « الخصائص » أكثر من مرة ، كما اطلع المؤلف على كتاب « اللامات » وذكره بقوله : « **وألف بعض البغداديين فيها كتاباً سماه كتاب اللامات عدّد لها فيه نحو الأربعين معنى بحسب اختلافها أدنى اختلاف** » ، ويبدو أن المؤلف قد قرأ قراءة واعية كتابَيْ **ابن الأنباري** : « **الانصاف** » و « **أسرار العربية** » ، ولذلك نجد في رصفه كثيراً من الردود على الكوفيين والعلل والأقيسة التي نرجّح أنه اقتبسها من الكتابين المذكورين ، بل إن التشابه بين بعض النصوص يكاد يكون حرفياً في باب ما وفي باب لا وباء القسم من « أسرار العربية » .

ولعل **المقرّب** هو الكتاب الأول الذي تأثر به المالقي ، حتى إن اطلاعه على هذا الكتاب يتجاوز مرحلة التأثر إلى مرحلة النقل الحرفي لبعض أبوابه كاملة ، وهذا ما نجده مثلاً في بحوث : **إلا والفاء وحتى** ، ولعله قد اطلع أيضاً على **ممتع ابن عصفور** ، إذ إنه يفيد منه في الجوانب الصرفية لأن الممتع يختص بالتصريف[2] .

وثمة كتب أخرى أفاد منها المالقي ، منها كتاب **الإيضاح للفارسي** ، إذ يرد على أبي علي في مسألة « **ليس** » بنص منه[3] ، كما أنه يذكر « **البصريات** » لأبي علي ، كما اطلع على كتاب **شرح الجمل لأبي زيد السهيلي** ، وانتقده بأنه خرج على أصول العربية في بعض مسائله ، وهو يذكر أيضاً كراسة ألفها **الجزولي** عن الحروف الواقعة جواباً ، كما ينقل عن « **التبصرة** » **للصيمري** وذلك للرد على الفارسي في مسألة « **أما** » ، ويرد في الكتاب ذكر سريع لبعض الكتب الأخرى **كأمالي القالي ، والعين للخليل ، وكتاب الشجرة للزجاج ، وكتاب مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي** .

هذا بعض ما نستطيع أن نعدّه من مصادر المؤلف، وغيرها كثير طبعاً، ولكن المؤلف لا ينص عليها، ولعل معظم مصادره كانت أندلسية وذلك لأنه نشأ في ديار الأندلس وبين علمائها.

والحقيقة أن الكتاب ترك أثراً طيباً في أذهان العلماء، كما ترك الكتاب أثره الواضح في الكتب التي جاءت من بعده، فقد نقل المرادي عنه في «**الجنى الداني**» أكثر من أربعين موضعاً، كما نقل **ابن هشام** عنه خمسة مواضع في المغني، كما نقل عنه **أبو حيان في البحر المحيط، والأشموني في شرح الألفية، والسيوطي في الأشباه والنظائر، والأزهري في شرح التصريح على التوضيح، وابن السمين في «الدر المصون»**.
وليس من شك أن الكتاب كان يؤلف المرجع الرئيسي لكل من بحث في الحروف بعد المالقي، ومن هنا كانت مادته ورصده لمعاني كل حرف المرجع الأول للكتابين اللذين ظهرا من بعده، وأعني بهما: «الجنى الداني» و«مغني اللبيب»، فهو الذي فتح لهما الطريق.

التعريف بالمؤلف

لقد لقي المالقي ظلماً بطمس معالم شخصيته فقد أغفل النقاد الكتابة عنه ولم يقدموا لنا صورة مضيئة عن حياته العلمية، لذا كانت كتب التراجم تغفل ذكره أو تقدم عنه إشارة سريعة، ومن هنا يعسر على الباحث أن يحيط بالشيخ المالقي ويعرف الكثير عنه.

ويعد كتاب «**الإحاطة في أخبار غرناطة**» أغزر الكتب مادة في الحديث عنه، ولعل هذا يعود إلى قرب مؤلفه **ابن الخطيب** منه في الزمان والمكان ولذلك نجد كتب التراجم الأخرى تستقي من «الإحاطة» حتى أنها لا تكاد تزيد شيئاً على ما قاله.

اسم المؤلف ونسبه وكنيته

هو أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي، ويكنى أبا جعفر وتعترضنا في هذا الاسم النقاط التالية:

١ ـ ترجم له **ابن شهبة** بقوله: «رشيد أبو جعفر المالقي»[٤]، ونحن نرجح أن يكون ابن شهبة قد وهم في تسميته برشيد لما يلي:

أ ـ إجماع المؤرخين الذين ترجموا له على الاسم الذي أوردناه.

ب ـ قال صاحب «الإحاطة»: «وقال شيخنا **أبو البركات**: نقلت اسم هذا من خطه»[٥].

جـ ـ صاحب «الإحاطة» أقرب الناس إليه زماناً ومكاناً وقد ترجم له بالاسم الذي أوردناه.

وقد تكون تسمية ابن شهبة له برشيد قد جاءته من تحريف اسم جده الذي هو راشد، كما حرّفه صاحب «**البلغة**» بقوله: «أحمد بن عبد النور ابن رشيد المالقي»[٦].

٢ ـ ترجم له صاحب «**طبقات القراء**»[٧] بقوله بعد ذكر نسبه: المالكي، وهذا يحتمل أحد أمرين:

أ ـ أن يكون تحريفاً عن «المالقي» وهذا ما نرجحه لأن الثابت عنه أنه ولد في مالقة.

ب ـ أن يقصد نسبته إلى مذهب مالك، ولكن صاحب «**الديباج**» الذي ترجم للمالكية لم يذكره.

ملامح من حياته

ولد أحمد بن عبد النور في غرة رمضان المبارك من عام ثلاثين وستمائة، في بيت مشهور يعرف **ببني راشد**[٨] في مدينة مالقة. وتوفي **بالمرية** في يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة، ودفن بخارج **باب بجاية بمقبرة** من تربة الشيخ ابن مكنون.

ومالقة[٩] مدينة على **شاطئ البحر الأبيض المتوسط** من بلاد الأندلس وكانت عامرة آهلة، كثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها، وقد نسب إليها غير واحد من العلماء[١٠].

نشأ أحمد وليس له من الدنيا سوى حب المطالعة، يمضي جل وقته فيها حتى إن تفرّغه التام أوجد عنده جهلاً بأسباب الدنيا يكاد يصل إلى الغفلة، وله في ذلك حكايات كثيرة سائرة على ألسنة الثقات من الملازمين له «لولا تواترها لم يصدق أحد بها» منها أنه اشترى فضلة ملف، فبلّها فانتقصت كما يجري في ذلك فقاسها بعد البل فوجدها قد انتقصت، فطلب بذلك بائع الملف، فأخذ يبيّن له سبب ذلك فلم يفهم، ومنها أنه طبخ قدراً فوجدها تعوز الملح فوضع فيها ملحاً غير مطحون، ثم ذاقها قبل أن ينحل الملح فزادها حتى صارت زعاقاً[١١].

وعاش الرجل فقيراً منصرفاً لعلمه، ثم رحل من بلدة مالقة إلى **سبتة**، وأقرأ **بوادي آش** مدة، وتردد بين **المرية وبرجة وغرناطة**، وعمل في القضاء وقتاً من الزمن نيابة عن بعض القضاة.

والفترة التي عاشها المالقي من (٦٣٠ ـ ٧٠٢هـ) شهدت في الأندلس أوسع مظاهر الاضطراب السياسي، وقد عاصر الرجل **حكم الموحدين** الذي انتهى سنة (٦٦٨هـ)، ثم استلم الحكم من بعدهم **بنو مرين**، ويبدو أن هذه الفترة لم تعرف الاستقرار، ويتضح هذا من كثرة عدد الخلفاء، ومن كثرة الحوادث الداخلية ووضوح الغزو الخارجي، وبعبارة أخرى: كانت الأندلس تحتضر[١٢].

ويبدو من الاطلاع على ترجمة المالقي أنه اطلع على ثقافات عصره المتنوعة، بل إنه يتفرّغ لهذا الاطلاع، ويعيش حياته منصرفاً عن أسباب الدنيا وما يتعلق بها.

فهو يشارك في المنطق على رأي الأقدمين كما ذكر في الإحاطة، وهو يطالع في الفقه وإن لم تنص كتب التراجم على مذهب معين له[١٣]، وهو يتعمق في فرائض العبادات، وتتضح ثقافته الفقهية في نصوص عديدة من

كتابه ، كما تبدو في كتابه آثار ثقافته الأصولية أيضاً مما يوحي أنه قد اطلع على مضمون هذا العلم ، أما في القراءات فقد فقه الرجل قراءة **أبي عمر الداني** ، وأخذ هذه القراءة عن **أبي ريحانة المربلي** ، وروى عنه تيسير الداني المذكور ، وقد تردد الرجل بين المريّة وبرجة ، يقرئ بهما القرآن الكريم ، حتى إن صاحب « طبقات القراء » ينص عليه بأنه المقرئ ، ويشارك المالقي في بعض المعارف الطريفة من مثل التنقير عن اللغوز وفك المعمّى .

وكان المالقي ينظم الشعر أحياناً وقد وصف لسان الدين بن الخطيب شعره بقوله : « شعره وسط بين طرفي الغث والسمين ، وكان لا يعتني به ولا يتكلفه ، ولا يقصد قصده وإن ذلك لعذره في عدم الإجادة » ويضيق صدر بعض أصحابه بشعره فيصفه بأنه أشبه بنعب الغراب .

مؤلفاته

١ ــ رصف المباني في شرح المعاني وهو الكتاب الذي سبق عرضه وقد تسقط بعض كتب التراجم كلمة « شرح » وما أثبتناه أوثق إذ هو مقيد على الورقة الأولى من النسخة المحققة كما أن المالقي نفسه قد نص على ذلك في خطبته وهذا الكتاب هو الذي بقي من مؤلفاته بين أيدينا .

٢ ــ « **الحلية في ذكر البسملة والتصلية** » أو « التحلية » وقد نص عليه في رصفه .

٣ ــ **شرح الكامل لأبي موسى الجزولي** ، وقد وصفه صاحب « الإحاطة » بأنه نحو الموطأ في الحجم .

٤ ــ « **شرح الجزولية** » وقد كان هذا الشرح بإشراف أستاذه ابن مفرج المالقي وقد أطلعه على بعضه .

٥ ــ كتاب **شرح مقرّب أبي عبد الله ابن هشام الفهري** المعروف بابن الشواش ولم يتمه انتهى فيه إلى همزة الوصل وهو نحو حجم الايضاح لأبي علي .

٦ ــ **جزء في العروض وجزء في شواذه** .

٧ ــ **تقييد على الجمل** ، لم يتمه .

٨ ــ **إملاء على مقرّب ابن عصفور** .

٩ ــ **شرح الجمل الكبيرة للزجاجي** .

تحقيق الكتاب

يذكر المحقق الأستاذ أحمد محمد الخراط ما لاقاه من صعوبة في تحقيق الكتاب وذلك لأنه بحث عن نسخة ثانية مخطوطة للكتاب كي تساعده على الضبط والتحقيق فلم يعثر عليها ولقي العنت الشديد في تحقيق مخطوطة الكتاب لأنها سقيمة مليئة بالتصحيف والتحريف إلا أن رغبته في أن تصل الأضواء إلى هذا الكتاب الذي تناول الحروف العربية جميعها من ناحية ، ورصد معاني هذه الحروف على نحو شامل من ناحية أخرى .

ولقد أعان الأستاذ المحقق في مهمته أنه راجع بالإضافة إلى **بروكلمان** ما وقع عليه من فهارس المكتبات في العالم علّه يجد نسخة ثانية له ، وقد أفاد في ذلك من « **مركز تحقيق التراث** » **بدار الكتب المصرية** ، ومن « **معهد المخطوطات** » التابع لجامعة الدول العربية ، ولكنه لم يظفر بشيء .

وعلى هذا فإن النسخة التي تم التحقيق عليها فريدة ، وهي في **مكتبة تيمور** الملحقة بدار الكتب المصرية برقم / ٢٦٥ / نحو ، وقد صورتها دار الكتب برقم / ٦١٥٧هـ / ، وهي نسخة كاملة ليس فيها نقص ، ووقع فيها بعض الخروم في أماكن متفرقة لا سيما الورقة الأولى ، مكتوبة بخط أندلسي ، وقد تم الفراغ من نسخها في يوم الخميس الثاني من شهر ذي القعدة من عام واحد وأربعين وسبعمائة ، أي بعد وفاة المؤلف بنحو أربعين سنة ، ولكن ناسخها لم يكن رجل علم ، وهذا يبدو من كثرة أخطائه وجهله الواضح بأبسط القواعد النحوية واللغوية . ومما زاد في صعوبة العمل كثرة أخطائه التي تتعلق بالضبط ، بالإضافة إلى التصحيف والتحريف ، ولم يكن يراعي قواعد النسخ ، كما كان يدخل الشعر بكلام المؤلف ويمزج الآيات القرآنية بعضها ببعض ، ومن هنا يعسر على الباحث أن يفيد من المخطوط من غير أن يتمرس فيه . وليس على النسخة أية تعليقات أو إجازات ، خلا ما قيده الناسخ في آخر الكتاب بأنه نسخه لنفسه ولمن بعده ، وما قيّده مالك النسخة في الورقة الأولى من أبيات شعرية متفرقة .

منهج التحقيق

ذكر الأستاذ المحقق أنه لم يظفر بنسخ أخرى للكتاب ، وذلك لإجراء المقابلة بينها ، الأمر الذي جرى عليه المحققون . وهذا ما جعله يثبت في المتن نص النسخة الوحيد التي اعتمدها . وقد لخّص عمله في النقاط التالية :

(١) **تخريج الشواهد** : كان الكتاب غزيراً في شواهده المختلفة .

أ ــ **القرآن الكريم** : أشار الأستاذ المحقق إلى السورة ورقم الآية ، وأكمل الآية في حال الضرورة ، وضبطها ضبطاً تاماً ، ومن ثم رجع إلى كتب القراءات كي يشير إلى صاحب القراءة التي استشهد بها الإمام المالقي .

ب ــ **الحديث الشريف** : أشار « المحقق » إلى الكتاب الذي روي فيه الحديث ، مستعيناً بالمعجم المفهرس أو بكتب دارت مادتها حول الحديث الشريف ، كما أنه ضبط الحديث وأكمله إن كان ثمة ضرورة .

جـ ــ **الشعر** : بلغت الشواهد الشعرية أكثر من ستمائة بيت ، وكان الأستاذ المحقق يضبط البيت ، ويكمله في التعليقات إن أورده المؤلف ناقصاً ، فإذا لم ينسب المؤلف البيت إلى صاحبه أشار إلى ذلك مستنداً إلى المراجع المختلفة ، وإن لم تسعف قال « لم أهتد إلى قائله » ، وإن كان البيت لشاعر له ديوان مطبوع أشار إلى وروده فيه ، وإلا خرّجه من كتب النحو واللغة تخريجاً لا يستقصي فيه ، وذكر الروايات المختلفة للبيت ، ولم يكن ذلك على سبيل الحصر أيضاً ، فالحصر من عمل محقق الديوان ، وشرح الأستاذ الخراط

الألفاظ الصعبة أو أورد المعنى العام للبيت ، وقد يذكر الشاهد في البيت إن كان ثمة ضرورة ، وفي بعض الأحيان كان ينبه إلى بعض التعليقات الضرورية التي كانت للعلماء حول البيت ، ويضع رقماً متسلسلاً بجانب كل بيت ، وهذا ما يفرض سهولة الرجوع إلى التحقيقات وفي حال تكرار البيت يقول : تقدم برقم كذا .

د ـ **أقوال العرب وأمثالهم :**

وقد عهد الأستاذ الخراط إلى تخريج هذه الأقوال والأمثال ، ما خلا المشهورة المتداولة ، مع ذكر الروايات الأخرى وضبطها .

(٢) النص :

حاول « المحقق » قدر المستطاع أن يصل إلى النص كما أراده المؤلف ، دون محاولة لتحسين أسلوبه ، فليس هذا شأن المحقق ، وذلك في ضوء الملاحظات التالية :

١ ـ ضبط ما وجد ضرورة لضبطه من المتن .

٢ ـ صوّب التحريف والتصحيف ، وهما أمران كثر ورودهما ، لأن الناسخ لم يكن رجل علم ، وهذا التصويب لم يكن ليدفعه إلى اجتهادات لا تحتملها الكلمة المحرّفة أو المصحفة ، بل كان يصوّب مستنداً إلى رسم الكلمة ذاتها ، وإذا تراءى له أن ما أثبته الناسخ من رسم الكلمة غير جائز في سياق النص أثبت الأصل ، وأشار في الهامش إلى ما يحتمله السياق ، غير أن جملة التصحيحات كان الخطأ فيها واضحاً ويعود إلى التحريف الصرف ، كما كان يرجع إلى الكتب التي كان المؤلف ينقل عنها أو تنقل عنه ليستعين في تقويم النص .

٣ ـ وإذا وقع خرْم في النص وضع بضع نقاط ، كما أثبت الأستاذ الخراط في الهامش ما يحتمله موضع هذا الخرم دون أن يثبت اجتهاده في المتن ، وذلك للمحافظة على أصل النص .

٤ ـ وإذا وقع سقط من النص ووجد ضرورة ماسة لإقامته وفق ما تقتضيه الفكرة كان يضع الزيادة بين معقوفتين كبيرتين .

٥ ـ أشار المحقق إلى نهاية الصفحة في المخطوط الأصل بإشارة (: /) ليسهل الرجوع إليها لمن أراد ، وكان يعد اللوحة في المخطوط صفحتين ، لسبب يعود إلى خطأ في تجليد الكتاب في مكتبة تيمور ، وقد نبّه على ذلك في محله .

٦ ـ كما يذكر الأستاذ الخراط أنه صادف أثناء التحقيق كثيراً من الكلمات غير الواضحة وهي في جلها لا تتعدد فيها الآراء ، وعلى الرغم من ذلك كان يشير إليها بعبارة : قوله . . غير واضح في الأصل ، وذلك كي يكون أميناً في عرض المخطوط كما هو .

٧ ـ نقل صاحب « الجنى الداني » أكثر من أربعين موضعاً عن المؤلف نقلاً حرفياً ، كما كان المؤلف ينقل عن صاحب « المقرب » أبواباً بكاملها ، ولذلك كان يعد نقول الجنى ونص المقرب بمثابة النسخة الثانية للكتاب ، وقد أفاده ذلك في تصحيح بعض المواضع التي أخطأ الناسخ في رسمها ، وكان ينبّه على ذلك في محله .

(٣) كان يعمد الأستاذ المحقق إلى شرح مقصود المؤلف من عبارته إن دعت الضرورة ، كما كان يذكر آراء العلماء فيما يقرره المؤلف ، وهذا مبثوث في كتابي **الجنى والمغني** بشكل خاص ، كما أشار إلى الكتب التي عالجت الفكرة التي يعرضها ، وذكر ما ينقله المؤلف من الكتب النحوية ، سواء أشار إلى ذلك أم لم يشر ، كما أنه كشف عن المذهب الذي يعتمده ، أي فيما يتعلق بتردده بين البصريين والكوفيين ، وذكر العلماء الذين نقلوا نصوصاً أو آراء من الكتاب ، وخرّج أقوال العلماء من كتبهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وذكرت المراجع التي يمكن الرجوع إليها في الحرف الذي يعرضه المؤلف ، وذلك في مطلع كل باب ، وكان يختار أبرز هذه المراجع ليستعين بها القارئ ، وشرح الألفاظ الصعبة التي قد يتعذر فهمها دون الرجوع إلى المعاجم ، وترجم للنحويين والقراء ترجمة موجزة مع إيراد أهم المراجع التي يمكن الرجوع إليها في ترجمتهم .

(٤) الفهارس والمراجع :

وفي نهاية التحقيق وضع المحقق الفهارس التي سبق ذكرها .

وبعد ، فإن كتاب « رصف المباني » الذي أعطينا عنه هذه اللمحة ، يعتبر من أهم الكتب العربية في شرح حروف المعاني .

وقد وفق المحقق الفاضل باختياره كما أحسن مجمع اللغة العربية بدمشق بطبعة للإفادة منه .

الحواشي

١ ـ قام بتهيئة هذه الفهارس المحقق .

٢ ـ انظر الممتع ، ص ٣٤٠ ؛ والرصف ، ص ٥٥ .

٣ ـ رصف المباني ، ص ٣٠٠ .

٤ ـ انظر طبقات النحاة واللغويين ، الورقة ١٨٣ ؛ وكتاب رصف المباني لمحققه الأستاذ أحمد محمد الخراط .

٥ ـ الإحاطة ١/٧٩ .

٦ ـ البلغة ص ٢٥ .

٧ ـ طبقات القراء ١/٧٧ .

٨ ـ الإحاطة ١/٧٩ .

٩ ـ حالياً تشكل مرفأ في جنوب إسبانيا على البحر المتوسط سكانها (٣٢٥,٠٠٠) نسمة .

١٠ ـ انظر نفح الطيب ومعجم البلدان .

١١ ـ الماء المر لا يطاق شربه .

١٢ ـ انظر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ٤/١٣٨ وما بعد .

١٣ ـ أما إذا اعتمدنا ترجمة صاحب طبقات القراء فهو مالكي .



الفلكية



الأسد : (برج)

يُطلق في الفلك على البرج الخامس والكوكبة التي يحتويها ، وهو مشتق من **أسد نيميان** الذي قتله **هرقل** كما تقول **الأساطير الإغريقية القديمة** ، وألمع نجمين في الكوكبة قلب الأسد والصرفة ، وبها أربع منازل قمرية هي الصرفة والجبهة والزبرة والطرف .



الباطية : (كوكبة)

توجد في منطقة قلب الأسد ، التي تحتوي أجزاء كبيرة من كوكبات **الباطية (الكأس)** والشجاع (الحية المائية) والسرطان ، **وهي تمثل صورة من قصة الطوفان الذائعة** .



التنين : (كوكبة)

تتجمع حول القطبية والدب الأصغر ، وهي **كوكبة مألوفة لأنها لا تغرب أبداً** ، فهي بمرأى منا في كل وقت من أوقات الليل ، وفي كل فصل من العام . وعندما كان **محور الأرض** فيما مضى (٥٠٠٠ سنة) يتجه في اتجاه مخالف لاتجاهه اليوم ، كانت السماء تدور حول نقطة **في كوكبة التنين** .



ثور : (برج)

كوكبة تقع **في البرج الثاني** ويمثلها الجزء الأمامي من الثور ، وتذكر **الأساطير الإغريقية** ، أن **زيوس** اتخذ هيئة الثور ، أو أرسل ذلك الحيوان ليحمل **يوروبا** فوق البحر إلى **جزيرة كريت** . وبالكوكبة نجم عملاق أحمر هو **الدبران** ، كان يهتدى به قديماً **في الملاحة** . وبها عنقودان هما : الثريا والقلاص .



الجدي : (برج)

كوكبة جنوبية في البرج العاشر ، **بها المنزلة القمرية (سعد الذابح)** ، ويطلق اسم **مدار الجدي** على أقصى دائرة عرض جنوبية على سطح الأرض ، تتعامد عليها **الشمس** عندما تقع في ذلك البرج ، والكوكبة تقع بين كوكبتي الدالي والقوس ، ويمثلها القدماء بصورة جدي أو نصف جدي ذيله سمكة .



الحوت : (برج)

كوكبة تقع تحت المرأة المسلسلة مباشرة ، ويمثلها الأقدمون بسمكتين بين ذيليهما رباط ، وهي **تقع في البرج الثاني عشر** ، وكان تقهقر الاعتدالين سبباً في انتقال **الاعتدال الربيعي** غرباً من كوكبة **الحمل** إلى **الحوت** . وألمع نجوم الكوكبة نجم مزدوج .



خلية النحل :

أو النثرة ، **جمع من النجوم يعرف بالنثرة أو خلية النحل** ، يمتاز بضوئه الساطع ، **ويقع في برج السرطان** ، ولا يرى بالعين المجردة إلا كبقعة غير واضحة بين التوأمين والأسد .



الدلو : (برج)

أو ساكب الماء ، **أحد البروج الاثني عشر** ، تنزله الشمس في أواخر **يناير** (كانون الثاني) وأوائل **فبراير** (شباط) ، **وتقع فيه ثلاثة منازل للقمر** ، هي : سعد السعود ، وسعد بلع ، وسعد الأخبية ، ولقد تخيل القدماء الكوكبة الواقعة في هذا البرج ، وهي بنفس الإسم ، رجلاً يسكب الماء من قدر .



الذنب :

نجم يقع في **منطقة الطائر** التي تحتوي أجزاء كبيرة من كوكبات : **العقاب والحية والحواء والرامي والسهم** . وهو **أحد أجزاء المثلث البهي المكون من النجوم الثلاثة** : النسر الطائر ، والنسر الواقع ، وأنف الدجاجة أو الذنب .



الرامي :

أو القوس ، **كوكبة في البرج التاسع** ، تحل فيها الشمس قرب المنقلب الصيفي ، ويقع جزء منها في **الطريق اللبنية** ، وتحتوي على كثير من السدم والعناقيد والنجوم المتغيرة ، ويمثل الكوكبة مخلوق نصفه رجل ونصفه حصان ، وقد جذب قوسه لكي يطلق سهماً ، **وثاني نجوم هذه الكوكبة اللامعة يسمى عرقوب الرامي** .



الزهرة : (كوكب)

ثاني كوكب في البعد عن الشمس ، ويقع بين **عطارد والأرض** ، وهو ألمع جرم سماوي باستثناء الشمس والقمر ، **وأكثر الكواكب اقتراباً من الأرض** ، وله أوجه كالقمر ، ويتغير حجم قرصه ، يصغر إذا ما صار **بدراً** ، ويكبر وهو **هلال** ، وذلك لبعده عنا في الحالة الأولى ، واقترابه في الثانية .



السفينة : (كوكبة)

كوكبة تضم عدداً عظيماً من النجوم ، ويطلق عليها اسم (**أرجو**) نسبة إلى السفينة التي قاد فيها البطل **جاسون** بحارته وراحوا يبحثون سدى عن **الجزة الذهبية** ، كما تقول **الأسطورة الإغريقية القديمة** . وكوكبة السفينة من الكبر بحيث تقسم عادة إلى ثلاث كوكبات صغيرة هي القرنية ، والمؤخرة ، والشراع .



الشجاع : (كوكبة)

كوكبة جنوبية ، **تقع أسفل كوكبات الغراب والباطية والعذراء والأسد والسرطان** ، يمثلها ثعبان طويل ملتو ، وألمع نجوم هذه الكوكبة **عنق الشجاع** ، وهو نجم مزدوج لا ترى أفراده إلا بالمنظار الفلكي .



الصليب الجنوبي : (كوكبة)

تقع في منطقة الصليب الجنوبي ، التي تحتوي على كوكبتين هما **قنطورس والصليب الجنوبي** ، ولما كان الصليب الجنوبي يحوي عدداً من النجوم اللامعة في منطقة صغيرة نسبياً ، اعتبر من مميزات **السماء الجنوبية** ، كما أن **الدب الأكبر** من مميزات **السماء الشمالية** . هذا والخط الطويل في الصليب الجنوبي يشير من ناحية إلى **القطب الجنوبي** ، ومن الناحية الأخرى إلى باء الغراب ، عابراً قنطورس .



الضوء القرمزي :

يكون ضوء الشمس عقب مغادرته لها وأثناء سريانه في الفضاء قبل التقائه بالأرض ، مزيجاً من جميع الألوان التي يحلله إليها جو الأرض ، هذا الفعل ، فعل الجو في **تحليل ضوء الشمس** ، يرجع إليه كثير من جمال الأرض ، يرجع إليه **زرقة** السماء ، **وشروق** الشمس وغروبها ، وألوان السحب عند الشروق والغروب ، **والضوء القرمزي الذي هو أبهى الألوان جميعاً** .



الطريق اللبني :

أو سكة التبانة ، **منطقة عريضة تشبه طريقاً أبيض في السماء** ، يحتوي على عدد كبير من النجوم ، فضلاً عن عدد من المجموعة الشمسية ، والمعروف أن **المجرة** تدور حول محور عمودي على مستوى الطريق اللبني ، **في حوالي مائتي مليون سنة ضوئية** ، ويوجد بها بضع مناطق مظلمة تسمى **بالسدب المظلمة** ، تقسم الطريق اللبني جزءين لمسافة تبلغ ثلث امتداده .



العقرب : (كوكبة)

تقع في البرج الثامن ، تشبه العقرب إلى حد ما ، وفيها **نجم عملاق أحمر هو قلب العقرب** ، يرافقه **نجم أخضر** ، **وبالكوكبة ثلاث منازل قمرية** ، هي الإكليل ، والقلب ، والشولة .



الغول :

أو باء فرساوس ، **ثـاني نجـم في اللمعـان في كوكبـة فرساوس** ، وهو نجم متغير ، كان تغيره معروفاً من قديم الزمان ، وهـو مجموعة ثنائية تتألف من نجمين ، أحدهما **لامع** والآخر **مظلم** ، يـدور كل منهما حول الآخر مرة في كل يومين وإحدى وعشريـن ساعة ، ويكسف أحدهما الآخر في خلال ذلك الدوران .



الفرس الأعظم : (كوكبة)

كوكبةٌ شمالية **تقع جنوب غربي المرأة المسـلسلة** ، يمـكن مشاهدة أربعة نجوم لامعة على هيئة مربع ، ثلاثة منها تابعة ، أما الـرابع فهو ألمع نجم في المرأة المسلسلة ، **وألمع نجوم الفرس الأعـظم هـي** ، متن الفرس ، ومنكب الفرس ، وجناح الفرس ، **وبـالكوكبة مـنزلتان قمريتان** هما الفرع الأول والفرع الثاني .



قنطورس : (كوكبة)

كوكبة ضوئية ، بها ثالث نجم لامع في السماء ، هـو رجـل قـنطورس الأول **الشعرى اليمانية** ، والثاني **سهيل** ، وبالكوكبة أقـرب نجمـين إلى المجموعة الشمسية هي : رجل قنطورس ، والأقرب القنطوري .



كلاب الصيد : (كوكبة)

تقع كلها تقريباً في منطقة ٥ ، وهي تحتوي النجم المزدوج ألف كلاب الصيد ، الذي يمكن تعيينه في السماء برسم خط من ألف الدب الأكبر إلى جيمه ، ثم مده إلى مثل طوله مرة ونصف مرة . والنجم الرئيسي في هـذه الكوكبة هو من المرتبة الثالثة ، وتحتـوي هـذه الـكوكبة كذلك **السـديم اللولبي** الذي يعرف عادة باسم « **الدوامة** » .



اللورا : (كوكبة)

أو السليان ، **وتقع في المنطقة السابعة** ، وتحتوي على نجم ساطع من المرتبة الأولى هو **ألف اللـورا** أو النسر الـواقع ، وهـو ألمع نجـم في السماء الشمالية . ويرى بسهولة من جميع أنحـاء نصف الـكرة الشمالي ، وكذلك من جزء كبير من نصف الكرة الجنوبي .



المرأة المسلسلة : (كوكبة)

أو أندروميدا ، **تقع في جنوب ذات الكرسي** ، وفي غرب الفـرس الأعظم ، بها ألمع سـديم حلـزوني ، وألمع نجـوم الـكوكبة ، **رأس المسلسلة** ، **والرشا** ، **ورجل المسلسلة** . وقد سميت **أنـدروميدا** نسبة إلى مـا جـاء في **الأسطورة الإغـريقيـة القـديمة** ، الـتي تصـور أندروميدا مشـدودة مـن ذراعيها الممدودتـين بسـلسلة إلى صـخرة في البحـر .



النهر : (كوكبة)

من أكبر الكوكبات ، **يحتوي على نحو (٣٠٠) نجم ترى بـالعين المجردة** ، ومع ذلك فليس فيها غير آخر النهر نجم فوق المرتبـة الثـالثة في اللمعان . **والكوكبة تمتد صوب الجنوب** ، بحيث يصب النهر في كوكبة الشجاع .



هالة :

الضوء الدائري المحيط بالشمس أو بالقمر ، الذي يظهر تحت ظـروف بعينها ، ويساعد على ظهوره وجود مـواد معلقـة في **الغـلاف الجـوي** ، ويتلون **الضوء** في بعض الأحيان نتيجـة الانـكسار ، والهـالة عـادة أكثر وضوحاً قرب القطبين .



وحيد القرن : (كوكبة)

أو مكورن ، **تقع في المنطقة المسماة الشعرى اليمانية** ، وهـي المنطقة التي تحوي طائفة من الكوكبات تمثل **الجبار** محوطاً بحيوانات ، وهو يشمل كل كوكبتي الجبار **والكلب الأصغر** ، كما يشمل أجزاء كبيرة من كوكبات **الكلب الأكبر والثور والأرنب** ، وأهمها جميعاً كوكبة مـكورن أو **وحيد القرن** ، نسبة إلى الحيوان ذي القرن الواحد ، الـذي يسـكن وسط **إفريقيا** .



اليمامة : (كوكبة)

تقع ضمن مجموعة عظيمة مـن الـكوكبات ، تشـمل **أرجـو أو السفينة** ، **والغراب** ، **والأرنـب** ، **والشجاع أو الحية المائيـة** ، **والباطية أو الكأس** ، ويرى البعض أن **كوكبة اليمامة تمثل صـورة من قصة الطوفان الذائعة** .

مناقشات و تعليقات

الكتابة العربية

كتب **الدكتور خليل محمود عساكر** في عدد **الفيصل** الثامن والثلاثين مقالته المطولة بعنوان « **الكتابة العربية بين نموها الرأسي ، ونمو أفقي مقترح** » ، وكانت لي هذه الملاحظات على ما كتب . راجياً التكرم بنشرها إن أمكن .

لم نواجه دعوات تدعو إلى إحداث تغييرات في لغتنا الجميلة في أيامنا هذه فقط ، بل إن أقلاماً كثيرة كان لها السبق في هذه الدعوات . وقد تعددت الاتجاهات والاقتراحات للقيام بهذا الأمر منذ عهد بعيد . فكثيراً ما قرأنا أو سمعنا أن فلاناً دعا إلى الاستغناء عن اللغة الفصيحة الصحيحة واستبدالها بلهجة عامية تخص قطراً عربياً أو آخر . وآخر يدعو إلى استبدال الحروف العربية الأصلية كلها أو بعضها بحروف لغة أو لغات أخرى بحجة تيسير قراءة لغتنا (عسيرة القراءة) . وثالث يدعو إلى إضافة بعض الحروف التي تتناسب ولغات أخرى لا تمت إلى لغتنا بصلة وذلك لتمكين أبناء العربية من قراءة اللغات الأجنبية باللغة العربية على حد زعمهم .

ولا أحسب دعوة الدكتور عساكر في مقاله أو في جزء منه إلا دعوة من هذه الدعوات

ولتسمحوا لي وليسمح لي الدكتور عساكر بإبداء الملاحظات التالية :

١ ــ إن الدعوة إلى استخدام الشكل في كل المجالات التي تكتب فيها اللغة العربية من كتب ومجلات وصحف . . الخ ، ما هي إلا دعوة للقضاء على النحو العربي وزيادة ضعفنا وضعف أبنائنا ضعفاً في لغتنا . إن هذه الدعوة هي إيذان بجعل أبناء العربية أناساً متواكلين مقلدين لا مبدعين ولا متفكرين .

وإنني لأتساءل أيكون من يدعو إلى ذلك ممن يشكون ضعفاً في قراءة اللغة العربية ؟!

٢ ــ إن الدعوة إلى استخدام علامات الشكل بالطريقة التي اقترحها الأخ الدكتور عساكر سواء بالشكل المختصر أو الكامل هي دعوة إلى القضاء على آخر أمل ننشده في تربية جيل يعيد للعربية عزتها وسؤددها عن طريق القراءة السليمة والكتابة الصحيحة حيث التناقض فيما ذهب إليه الدكتور الكريم يبدو واضحاً ، فهو من خلال دعوته يدعو إلى التخفيف على القارئ (كما يظهر) بينما يؤدي استخدام العلامات المذكورة إلى تعقيد وتخبط كبيرين . فرب كلمة تحتاج إلى ثلاث علامات شكل أو أكثر ستبدو وكأنها كلمات مختلفة لا تمت إلى بعضها البعض بأدنى صلة عند وضع شرطة لكل علامة تفصل أجزاء الكلمة الواحدة كما اقترح الدكتور عساكر .

٣ ــ إن **القرآن الكريم** مورد اللغة العربية الأول والأمثل كتاب علم وتعليم في شتى الأمور ومنها علوم العربية . وقراءته على الوجه الأكمل أمر واجب والاستهانة بذلك أمر خطير . ولذلك كان الشكل في القرآن الكريم ، وهو الذي لم يكن فيه الشكل إلابعد أن امتدت رقعة العالم الإسلامي ودخل في الإسلام شعوب شتى أثرت على السليقة العربية الأصيلة لدى العرب سلبياً ونشرت اللحن بين الناس إلى أن تدارك علماء العربية الأمر وقرروا علامات الشكل التي نعرفها .

ولكن ذلك لايعني مطلقاً أن من يدرس لغته على أصولها لايستطيع قراءة القرآن الكريم دون علامات الشكل ، حتى لو كان يقرأه لأول مرة .

٤ ــ استشهد الدكتور الفاضل بثلاثة نصوص من ثلاث لغات ليعقد مقارنة بين أم اللغات وبين تلك اللغات . وأحسب أنه أراد أن يقول لنا بأنه يتكلم الألمانية والإنجليزية والفرنسية . . . ولكن يجب أن لا ننسى أو نتناسى بأن تلك اللغات تنتمي إلى عائلة لغوية أخرى غريبة عن العائلة التي تنتسب إليها لغتنا بحيث يكون مجرد مقارنتها بلغتنا أمراً غير مقبول ولا مستساغ .

لقد تساءل الدكتور عساكر عن موقف **الإنجليزي** مثلاً حين يقرأ نصاً بلغته دون وجود الحركات . وقد أورد الدكتور النص في مقالته . ويعني بالحركات أحرف العلة . ولكن المعروف في **علم الصوتيات في اللغة الإنجليزية** أن هناك إدغاماً يتم بين حرفي علة حيث يشكلان صوتاً واحداً أو يكتبان متّصلين . . ويدعى هذان الحرفان باللغة الإنجليزية diphtong . بينما في لغتنا العربية يكون الحرف آحادياً ومستقلاً دائماً ولايرتبط بغيره ليشكل صوتاً واحداً .

ولهذا كان الشكل في العربية والذي يمكن الاستغناء عنه بالتعلم أو بالسليقة كما كان أسلافنا .

ووددت لو أعلم أخيراً هل بعث الدكتور بمقالته إلى المجلة بعلامات الشكل أم بدونها ؟!

عبد الكريم هندي
عمان ــ الأردن

تصحيح أخطاء

وبعد فإني أرجو إصلاح الأخطاء الآتية التي وردت في العدد ٣٩ من مجلة الفيصل :

١ ــ جاء في الصفحة ١٢ : (حين تتمزق الظلال ، مجموعة قصصية تأليف يحيى حقي) والصواب : تأليف الدكتور بديع حقي .

٢ ــ ورد في المسابقة في الصفحة ١٦٠ في السؤال الثاني اسم كتاب (مشوار المحاضرة) والصواب : نشوار المحاضرة .

والاسم الكامل لهذا الكتاب : جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبع الجزء الأول منه بمصر بمطبعة هندية سنة ١٩٢١ م ، بتحقيق المستشرق مرجليوث . وطبع المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الثامن منه سنة ١٣٤٨ هـ و١٩٣٠ م . وحقق أجزاءه الثمانية الأستاذ عبود

مناقشات و تعليقات

الشالجي وطبعتها دار صادر ببيروت بين ١٩٧١ و١٩٧٣م . ونغض الطرف عن إيراد اسم المؤلف حفظاً على سلامة المسابقة .

٣ ــ ذُكر تحت السؤال العاشر من المسابقة في الصفحة ١٦٠ ما يلي : (قام « روبرتس رتننسز » بأول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم) .

والذي في الصفحتين ١٢٣ و ١٢٤ من كتاب (المستشرقون) الجزء الأول ، وهو للأستاذ نجيب العقيقي : (روبرت أوف تشستر ROBERT OF CHESTER) هو اسم من قام بهذه الترجمة هو وصديقه هرمان الدلماطي واستعانا فيها باثنين من العرب .

وكتاب « المستشرقون » من إصدار دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م .

وفي الختام تقبلوا فائق التحية والاحترام من صديق المجلة .

وهيب ديـاب
دمشق ــ سورية

تعقيب على موضوع النمر

في مقال **الدكتور أحمد عبد القادر المهندس** عن « **النمر** » الذي نشر في العدد (٣٦) من **مجلة الفيصل** الموقرة بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ ، الموافق أبريل ــ مايو (نيسان ــ أيار) ١٩٨٠م ، **ورد استفسار في نهاية المقال عن وجود النمر في السعودية** . وقد ذكر الكاتب بأنه قد رأى بعض هذه الحيوانات وهي محنطة ، ووجد أنها فهوداً مبقعة أو معرقة وليست نموراً . ونظراً لكوني مهتماً بدراسة **الثدييات في المملكة العربية السعودية** أود توضيح الآتي :

إن النمور الموجودة في العالم في الوقت الحاضر يقسمها علماء التصنيف إلى أربعة أنواع هي :

١ ــ **النمر المخطط أو الببر** Tiger واسمه العلمي Panthera tigris ، ويتواجد في أواسط وجنوب شرقي آسيا وشبه القارة الهندية بالإضافة إلى إيران وأفغانستان وسيبيريا وكوريا الشمالية .

٢ ــ **النمر المبقع** Leopard واسمه العلمي Panthera pardus ، ويتواجد في مناطق كثيرة في آسيا وجنوب غربي آسيا ، وفي شمالي إفريقيا ، وإفريقيا جنوبي الصحراء .

٣ ــ **نمر الجليد** Snow Leopard واسمه العلمي Panthera uncia ، ويتواجد في المناطق الجبلية في أواسط آسيا .

٤ ــ **النمر الأميريكي أو الجاغوار** Jaguar واسمه العلمي Panthera onca ، ويتواجد في جنوبي أميريكا الشمالية وأميريكا الوسطى والجنوبية .

إن النمر موجود في المملكة العربية السعودية ، وهو من النوع المبقع واسمه العلمي Panthera pardus nimr . وكلمة nimr التي تشير إلى الاسم العلمي لتحت النوع هذا مأخوذة من الكلمة العربية نمر . وقد أطلقنا على تحت النوع هذا اسم النمر العربي لتمييزه عن تحت الأنواع الأخرى ، حيث إنه يوجد فقط في **شبه الجزيرة العربية** .

ويتواجد النمر العربي في الوقت الحاضر في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية من المملكة في جبال الحجاز وعسير وسهول تهامة المتاخمة لسفوح الجبال ، كما أنه يتواجد في **اليمن الشمالي واليمن الجنوبي وفي دولة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة** . وتوجد نماذج محنطة من هذه الحيوانات في **متحف العلوم بكلية التربية في أبها** تم جمعها من **تهامة قحطان** ، ومن قرب **رجال المع** عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) . هذا وقد ذكر **هاريسون** في كتابه عن الثدييات العربية (١٩٦٨م) بأنه قد تم اصطياد نمر في أوائل الستينات قرب **مدينة العلا** شمالي الحجاز .

ويمتاز النمر المبقع بلونه الأصفر أو البني الفاتح وشعره القصير ، وكون أغلب البقع السوداء الموجودة على جسمه تشكل تجمعات حلقية . كما يمتاز النمر العربي بصغر حجمه ولونه **الأصفر** الباهت في جهته الظهرية ، أما جهته البطنية فتميل إلى **البياض** .

أما **الفهد** Cheetah واسمه العلمي Acinonyx jubatus ، فقد كان موجوداً بأعداد قليلة في شمالي المملكة العربية السعودية حتى أوائل الخمسينات . ولكن المعتقد في الوقت الحاضر بأنه قد انقرض أو في طريقه إلى الانقراض من المملكة . وإذا كان الفهد لا يزال موجوداً في المملكة ، فمن المحتمل تواجده في بعض المناطق الشمالية .

ويمتاز الفهد عن النمر المبقع بأن البقع السوداء الموجودة على جسمه لا تشكل تجمعات حلقية ، ويوجد به خط أسود يمتد من كل عين إلى زاوية الفم ، كما أن أطرافه أرفع وأطول من أطراف النمر المبقع .

دكتور إياد عبد الوهاب نادر
كلية التربية في أبها

التدخين .. أضراره على الأوعية القلبية ، وعلى الدم !!

إن سماً **كالنيكوتين** يؤثر على جميع أعضاء الجسم وإفرازاته بما في ذلك الأعضاء التي تتكون فيها **كريات الدم (العظام والطحال)** لا بد من أن يؤثر على الدم أيضاً ويصيبه ببعض الأضرار الصحية .

والقسم المزمن بالنيكوتين يخفض بالفعل عدد **كرياته الحمراء** نسبة **(مادة الهيموكوبين)** فيها ويسبب ذلك فقراً في الدم والذي يؤدي إلى إصابة المدخن **بنقص شهيته للطعام** ويصاب جلده بالأضرار الحقيقية ويصاب بالخمول والتعب السريع عند المشي أو العمل .

أما **كريات الدم البيضاء** فترتفع فيها نسبة **الكريات البلغمية** إلى

مناقشات وتعليقات

(٣٠ ـ ٤٠ ٪) ، علماً بأن نسبتها في الحالة العادية (٢٠ ـ ٢٥ ٪) ، وهذه البلغميات الجديدة يكون منشؤها العقد البلغمية وليس (نقي) العظام .

وكذلك فإن **التدخين يرفع سكر الدم** لأنه يزيد كمية **الادرينالين** في لب الكظر ، وهذا الارتفاع في سكر الدم يعطي المدخن شعوراً بالنشاط في بداية التدخين ، ولكن مع مرور الزمن والادمان على التدخين فإن مدخرات الجسم من السكر تقل وبالتالي يشعر المدخن بالتعب الدائم وانحطاط عام في الجسم .

وقد درس **العالم (سيدناي ـ بورنس)** في كلية الطب ايلنوا في أمريكا مقدار سكر الدم في (٣٠ ـ ٤٠) مريضاً يشكون من انحطاط عام مزمن في الجسم . فوجد أن سكر الدم أقل من الطبيعي عند (٥٨ ٪) من هؤلاء . وتبين أن معظم هؤلاء من مفرطي التدخين .

وكذلك **يسبب التدخين اضطراباً في آلية التخثر الدموي** . لذا يتعرض المدخنون لاستمرار النزف عند اصابتهم بالجروح .

أما بالنسبة لمرض الأوعية القطبية **فهو مسؤول عن وفاة أكثر من مليون شخص في العام في الولايات المتحدة ،** ويقول **الدكتور آلتون أوشنر رئيس مستوصف أوشنر المعروف في نيو أورليانز لمعالجة سرطان الرئة ،** إن عدد الوفيات الناجمة عن الأوعية الدموية بسبب التدخين قد سجل أرقاماً هائلة في السنوات الأخيرة ، وتعود الأسباب لتلك الاصابات إلى الحالات الطبية الثلاث التالية :

١ ـ الاختناق بسبب نقصان الأكسجين :

ومن أكثر حالاته الشائعة «مرض النفاخ» وهو خاص بالمدخنين يصيب جيوب الرئة ويتلفها .

٢ ـ خفقان القلب :

يزيد النيكوتين من معدل دقات القلب الطبيعية بحوالي ١٠ آلاف دقة في اليوم الواحد زيادة عن المعدل العادي مما **يتعب القلب ويؤدي لتوقفه نهائياً .**

٣ ـ مشاكل التنفس :

وهي الضربة الأخيرة التي يوجهها النيكوتين لقلب المدخن ، **فهو يضيق الأوعية الدموية ويقلل من تدفق الدم إلى أطراف الجسم .**

وقد أصبح من المسلم به أن **التدخين يساعد على تقلص أو ضيق الشرايين** وذلك يؤدي إلى إضعاف الدورة الدموية التاجية فيساعد ذلك على حدوث الألم .

فهو يعمل على إحداث تصلب في شرايين القلب مما يضاعف من أخطار حدوث **الجلطة القلبية ،** كما أنه يمهد لحدوث **الذبحة القلبية** وتفجرات أساسية في تخطيط القلب الكهربائي لدى المصابين بأمراض الشرايين الاكليلية .

وكثير من المرضى سألوا أطباءهم : «بعض الأطباء يدخنون وبشراهة . . كيف يحدث ذلك وهم يتحدثون دائماً عن خطورة التدخين ؟» .

والرد هنا ببحثٍ أُجري على أطباء إنجلترا ، ومن البحث اتضحت هذه العلاقة الوثيقة جداً بين عدد السجائر التي يتم تدخينها يومياً . . وعدد السنوات التي تقضيها في التدخين ، ثم علاقة كل ذلك بأمراض القلب .

وعندما روجعت سجلات الوفاة بين أطباء إنجلترا اتضح أن أعلى نسبة وفيات بسبب القلب كانت بين هؤلاء الأطباء المدخنين ، وتابع البحث هؤلاء الأطباء واتضح أنهم أخذوا على عاتقهم الحد من التدخين ، فكانت النتيجة أن معدل الوفيات بسبب أمراض القلب بين الأطباء قد انخفض إلى حد كبير .

وكما ذكر ما للتدخين على إحداث داء تصلب الشرايين ، ولكي نلقي ضوءً على خطورة هذا الداء نذكر هذه الإحصائية عن **عدد الوفيات بسبب تصلب شرايين القلب في أمريكا ،** ولكي ندرك خطورة التدخين نرفق هذه الإحصائية بإحصائية عن **معدل الاستهلاك السنوي للسجائر في العالم :**

العام	عدد الوفيات بتصلب الشرايين	عدد السجائر المستهلكة سنوياً للفرد الواحد
١٩٤٠	٢٧٣٠٠٠	١٨٢٨ سيجارة
١٩٥٠	٣٩٦٠٠٠	٣٣٢٢ سيجارة
١٩٦٠	٥٧٨٠٠٠	٣٩٨٦ تقريباً

يظهر لنا من قراءة هذا الجدول أنه كلما ازداد استهلاك التبغ ازداد عدد الوفيات بتصلب الشرايين للقلب .

ومن الثابت أن نسبة المصابين بتصلب الشرايين بين المدخنين أعلى بكثير من مثيلتها من غير المدخنين وأن خطر حدوث مرض في الأوعية **الدماغية** أو تضيق الأبهر يزداد لدى المدخنين .

ويقول بعض العلماء بأن التدخين يرفع التوتر الشرياني وذلك :

(أ) لتأثيره على الشرايين فورياً لتقبضها . ومن المعروف أن تقبض الشرايين يرفع التوتر .

(ب) يؤثر على لب الكظر مسبباً زيادة اطلاق مادة الأدرينالين التي ترفع التوتر الشرياني عن طريق تقبيض الشرايين وتسريع القلب .

(ج) تخفيف الإدرار بمعنى أنه يقلل من كمية البول المطروحة خارج الجسم وهذا يؤدي إلى ازدياد حجم الدم وبالتالي ارتفاع التوتر الشرياني .

ضياء تاج
سورية



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

موقف الإسلام من الأغنياء والفقراء

صدر للأستاذ **محمد الزمزمي** من المغرب كتاب «**موقف الإسلام من الأغنياء والفقراء**». قسم كتابه إلى فصول عرض خلالها مسألة الفقر وموقفة الإيجابي منها، وبحث في فصوله ظاهرة الإسراف والإنفاق المعتدل، وكفالة الأغنياء أقاربهم، ووجوب مواساة الجار، وأوضح أهمية بيت مال المسلمين في حل قضية الفقر.

إصدارات شركة الربيعان بالكويت

«**خالد الفرج حياته وآثاره**» الطبعة الثانية، تأليف الأستاذ **خالد سعود الزيد** عبارة عن تعريف ودراسة بالنشاط الأدبي للمرحوم الشاعر الكويتي خالد الفرج، وقد قسم كتابه إلى قسمين، ترجم في الأول منها لحياة الشاعر الاجتماعية والوظيفية وأسفاره، وفي القسم الثاني اختار أبياتاً من شعره كما اختار قطعاً من نثره وعرَّف بها من الناحية الموضوعية ثم ألحق بكتابه رسالة في رسم الحروف العربية باسم «**علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية**» كان الشاعر خالد الفرج قد كتبها وأشار المؤلف أنها أهم آثار المرحوم النثرية. يقع الكتاب في (٢٠٠) صفحة من القطع المتوسط.

وصدر عن نفس الدار للأستاذ **أحمد علي** مؤسس مكتبة التراث الموسيقي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب كتاب «الموسيقى والغناء في الكويت» وهو **دراسة موسيقية لنص الأغنية الكويتية القديمة**، وقد قام المؤلف بتدوين الأصوات والألحان على النوتة الموسيقية وأودع كتابه صوراً للآلات الموسيقية التي صاحبت الألحان في تلك الحقبة. يقع الكتاب في (١٢١) صفحة من القطع الكبير.

التعليم العالي في المملكة العربية السعودية

كتاب صدر عن **وزارة التعليم العالي بالرياض** يعرِّف بقطاع التعليم والمؤسسات التعليمية والجامعات داخل المملكة لعام ١٤٠٠هـ، والكتاب حافل بالمعلومات التفصيلية عن مختلف التخصصات بالكليات والدراسات العليا وطرق الانتساب بها وينقسم الكتاب إلى أربعة فصول عرَّف من خلالها أهداف التعليم وسياسته وعدد الجامعات وكلياتها وألحق به ملاحق تبين أمكنة الجامعات. يقع الكتاب في (٣١١) صفحة من القطع المتوسط.

أعلام الجغرافيين العرب

صدر عن **دار الفكر بدمشق كتاب «أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم» للدكتور عبد الرحمن حميدة**، تتبع مؤلفه الفكرة الجغرافية منذ العصور الأولى حتى عام ١٣٦٥هـ، بالتقريب متوخياً إبراز جهود الجغرافيين العرب مدعماً كتابه بمقتطفات من آثارهم الجغرافية. يقع الكتاب في (٥٧٤) صفحة من القطع المتوسط.

أبو الحسن التهامي

صدر عن **مكتبة المعارف بالرياض، كتاب «أبو الحسن علي بن محمد التهامي.. حياته وشعره» للدكتور محمد ابن عبد الرحمن الربيع**. ينقسم الكتاب إلى أربعة فصول درس فيها الشاعر وعصره والأضواء السياسية والثقافية التي أثرت في حياته وإنتاجه ثم خص الفصل الثالث بموضوعات شعره وتحليلها ثم ألحق بالأخير ديوانه بتحقيقه. يقع الكتاب في (٢٥٦) صفحة من القطع المتوسط.

من معين التربية الإسلامية

صدر عن **مكتبة الحرمين بالرياض، ومكتبة دار الأرقم بالكويت** كتاب «**من معين التربية الإسلامية**» **للأستاذ منير محمد الغضبان** عرض فيه مؤلفه أساليب التربية الحديثة على ضوء الإسلام ثم أورد نماذجاً من التربية القرآنية اعتبرها أسساً ونبراساً يهدي النشء المسلم، يقع الكتاب في (١١١) صفحة من القطع الصغير.

وصدر عنها كتاب «**المرأة المسلمة الداعية أحاديث ونماذج» للأستاذ محمد حسن بريغش**. يرسم الكتاب الطريق الصحيح لإعداد المرأة المسلمة مؤكداً ضرورة الوعي والإلتزام في السلوك وفق منهاج التربية الإسلامية مع التمثيل بنماذج من صور المرأة بالأمس المشرق. يقع الكتاب في (١١٦) صفحة من القطع الصغير.

كما صدر عنها ضمن سلسلة نماذج من نساء العقيدة كتاب «**الأخوات المؤمنات» للأستاذ منير محمد الغضبان**. يقدم الكتاب نماذج من جليل المؤمنات برزن في التاريخ الإسلامي بقصد احتذاء الفتاة المسلمة اليوم طريق أختها الصحيح عملاً بهدي الإسلام. يقع الكتاب في (١٤٠) صفحة من القطع الصغير.

وكذلك صدر عنها كتاب «**نسيبة بنت كعب المازنية أم عمارة» للأستاذ محمد حسن بريغش** تحدث فيه عن نسبها ومواقفها الرائعة في **بيعة العقبة وغزوة أحد** وعرض لجهادها ومكانتها كصحابية جليلة. يقع الكتاب في (٨٠) صفحة من القطع الصغير.

للقارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً .

وتأتي الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً .. والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا – عند الفوز – يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب .. لأن الحكمة تقول : « المال تحرسه ، والعلم يحرسك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ويختار في أي الإجابتين أصح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، وبخط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد .. وهذه الكلمة للتنبيه .. والله الموفق .. وهو من وراء القصد .

المجلة

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ – قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ – الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب – الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ – الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ – المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً – إن أمكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ – ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ – أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ – من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الفرق لغوياً بين : بُرْهة ، وبَرْقَة ، وبُرْشُم ؟

السؤال الثاني :

أين يعيش « البوشمن » ؟

السؤال الثالث :

أين تقع مدينة « جند » .. ومن بنى جامعها الكبير ؟

السؤال الرابع :

مات أبوه وهو صغير فقير .. عكف على دروس شيخه أبي حنيفة حتى نبغ وصار في منصب قاضي القضاة .. له كتاب « الخراج » . ما اسمه ؟

السؤال الخامس :

« تاريخ الأدب العربي » عنوان لخمسة كتب صدرت في أزمان متلاحقة .. اذكر أسماء المؤلفين ؟

السؤال السادس :

من المصطلحات في مجال السفن العربية قولهم « شُحنت السفينة » ، و « ماهت السفينة » .. ماذا يعنون بهما ؟

السؤال السابع :

يعد الكتاب الصيني للتراتيب من أقدم المؤلفات في علم الأعداد .. متى ألف .. وكيف قسم الأعداد الصحيحة ؟

السؤال الثامن :

ما الفرق لغوياً بين :

سام السِّلعة ، وسام الماشية ، وسام الأمر ؟

السؤال التاسع :

ما المقصود بحاجز الحرارة في مجال الملاحة الجوية ؟

السؤال العاشر :

سموه أمير الزجل الأندلسي .. توفي عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) .. اقتبست الأغاني القشتالية كثيراً من مقطوعاته ، وأزجاله .. ما اسمه ؟



الاســم : ------------------------------------

المهنـة : ------------------------------------

العنـوان : ------------------------------------

نتائج مسابقة العدد الواحد والاربعين

● فازت بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخت خديجة محمد حديدة – جدة .

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ الساعدي العربي ابن عمر ، مكتبة التوفيق ، روض العروس ، ساحة علي بن حمدوش ، رقم ١٧ ، مراكش – المغرب .

● وفاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ محمد علي عبد الله ، جامعة الخرطوم ، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية – السودان .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من سورية – حلب ، الجميلية الأخ محمد بن عمر أشتر ، أمين مكتبة ثانوية المأمون .

● من مصر – الإسكندرية ، جامعة الإسكندرية ، كلية الحقوق الأخ خليل محمود محمد أبو زينب .

● من تونس الأخ محمد الصيادي ، كدية مالك ، عدد ٥٣١ ، رقم ٣٤ – سوسة .

● من لبنان الأخ محمود مصطفى زيد ، مركز إنعاش المخيم الفلسطيني قرب السفارة الكويتية – بيروت .

● من الأردن الأخت فاطمة أحمد عمر الحلبي ، الوحدات – عمان .

● من الرياض الأخ عبد الله يسلم بن لسود ، جامعة الرياض ، كلية الآداب ، قسم الإعلام .

● من سورية الأخت مي يوسف تميم – دمشق .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من مصر الأخ خالد علي أحمد ، مدينة نصر ، الحي السادس ، كلية الصيدلة ، جامعة الأزهر – القاهرة .

● من الجزائر الأخت عليوة سلوى – قسنطينة .

● من المغرب الأخ فزاكة مصطفى ، شارع سركوحة ، دكان عبد السلام ، رقم ٤٨ – تطوان .

● من تونس الأخت تيسير بنت محمود داود – صفاقس .

● من الأردن الأخ هشام مصطفى محمد الفار ، الزرقاء ، ص . ب (١١٨٨) .

● من مكة المكرمة الأخت عزيزة بشير المغربي .

● من سورية الأخ مصطفى عمر بستاني ، ادلب ، جسر الشغور ، قرية الجانودية .

● من الكويت الأخت مجد محمد مراد .

● من السودان الأخت سكينة حسن محمد زين عبد الله ، شندي .

● من اليونان الأخ أحمد محمد الخروبي :

Mr. AHMAD MOH. ALKHAROUBI
'Jereo S Athanasioo – Pia 24
'Ajios Dimitrios Athens – GREECE

أجوبة مسابقة العدد الواحد والأربعين

ج ١ الخلائط المعدنية المستخدمة في زراعة الأسنان : التنتال – التيتان – خليط كروم كوبالت مليبدين – الذهب – خليط الذهب مع البلاتين – خليط كروم نيكل .

ج ٢ أسماء مؤلفي الكتب التالية :
دار الطراز : ابن سناء الملك .
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : أبو العباس الناصري .
الوزراء والكتّاب : الجهشياري .
تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين .

ج ٣ حرب الفجار كانت بين كنانة وقيس عَيْلان ، وسميت كذلك لأن الجانبين استحلاَّ القتل في الشهر الحرام .

ج ٤ مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيَهُ
لا يذهب العرفُ بين الله والناس

قائل هذا البيت الحطيئة . وقال عنه أبو عمرو بن العلاء لم تقل العرب بيتاً أصدق منه ؟

ج ٥ قدامة بن جعفر كان مثل أبيه من كتّاب الديوان العباسي ببغداد . كان أول أمره نصرانياً ثم أسلم على يد الخليفة المكتفي (٢٨٩ – ٢٩٥ هـ) اشتهر بعلمه بالفلسفة والمنطق ، ألف كتاب «الخراج وصنعة الكتابة» واشتهر بكتاب آخر اسمه «نقد الشعر» ، توفي سنة ٣٣٧ هـ .

ج ٦ سيرة ابن هشام .. يرجع أصل تأليفها إلى محمد بن إسحاق بن يسار ، مولى قيس بن مخرمة .

ج ٧ بريم ، جزيرة محصنة تقع في مضيق باب المندب .

ج ٨ عبد الله بن الزبير بن العوام أول مولود من أبناء المسلمين بعد الهجرة .

ج ٩ التضخم في علم الاقتصاد ظاهرة ناتجة عن تزايد الأسعار وزمنها يسمى زمن التضخم ، ولوحظت بصورة واضحة خلال فترات الحروب وبعدها .

ج ١٠ لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن أكرمهم سيوفا
فإن أُحبس فقد عرفوا بلائي
وإن أُطلق أجرعهم حتوفا

القائل أبو محجن الثقفي ، وكان مولعاً بالخمر فحبسه سعد بن أبي وقاص حتى إذا احتدمت المعركة توسل إلى سلمى زوج سعد أن تطلقه ليحارب ثم يعود إلى حبسه ، وقال ذلك بعد أن أبلى بلاء حسناً ثم عاد إلى سجنه .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص. ب (٣)
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ _ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



EUROPE – AMERICA – ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription	: S.R. 150
Others	: S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض